

المستشار الدكتور علي جبريشة

الإنجازات الفكرية المعاصرة

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ش.م.م

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

الطبعة الثانية : ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثالثة : ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة شرعية

الإحارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده لجامعة الأزهر

٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٤٢٧٢١ ت

المكتبة : أمام كلية الطب ت. ٢٤٧٤٢٢ من ب. : م ٣٣ فاكس DWFA UN 24004



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه

مقدمة الطبعة الثانية

* هذا الكتاب شقيق لكتاب سبقه (أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى) والذي شاركنى فيه عالم جليل (فضيلة الشيخ الأستاذ محمد شريف الزئبق) طبعت منه حتى الآن خمس أو ست طبعات ، وإن لم يشأ الناشر أن يشير إلى ذلك .

وكنت أعتقد أن هذا الكتاب بما جنحت إليه فيه من عمق .. سوف يبقى قاصرا على الدارسين والمتخصصين ، خاصة وأنه يدرس بفضل الله كمنهج للدراسات العليا فى أكثر من جامعة .

لكن سرعة توزيعه ، وإقبال غير المتخصصين عليه .. أعطانى أكثر من مؤشر .. إن الأمة عامة ، وأبناء الدعوة خاصة قد زاد وعيهم ، ومن ثم زاد اتجاههم إلى ما هو أعمق !

وثانيهما .. أن الكتاب رغم ما فيه من محاولة للتعمق أشبع الخاصة لكنه لم (يند) عن العامة ومن ثم أقبلوا عليه .. !

إنها نعمة من الله .. ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ .

وإنه فضل الله .. ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ .

* وقد لحقت بالكتاب وهو على أبواب المطبعة فأسرته أسرا ، لأشارك فى المراجعة ، ولأتناول بعض النقاط ببعض التعديل ، ثم لأؤكد على عدم وضع (صورة

ولو كانت كاريكاتيرية) عليه ، فذلك يؤذى بعض الشباب ، وقد احترمت وجهة نظرهم ، وأمرت بعدم الصور خروجاً من الخلاف !

* وبعد ، فها نحن نقدمه مرة أخرى لأمتنا المشوقة إلى الحق ، الباحثة عن الحقيقة .. لعلها تدرك من ورائه ما يراد بها وما يراد لها .. ولعلها تعرف الطريق إلى دين ربها فتسعد وتعز مرة أخرى .

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

القاهرة

١٢ من ذى الحجة ١٤٠٨ هـ

٢٥ من يوليو ١٩٨٨ م

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فاتحة

١ — اعتاد الناس أن يطالعوا مع كل كتاب أو مؤلف فاتحة له تشير إلى فحواه أو مضمونه ولقد كان ترتيب القرآن رائدا في هذا المجال إذ كانت فاتحته متضمنة معانيه الرئيسية على نحو ماأبان الشارحون .^(١)

وفي هذه الكلمات نشير إلى المحتوى ثم أهمية هذه المادة

ونود قبل أن نسترسل في هذا المجال أن نؤكد أننا بإذن الله نلتزم المنهج العلمى المتسم بالموضوعية بعيدا عن التأثير أو التأثير العاطفى ، وبعيدا كذلك عن التجريح ... يقينا بأن هذا المنهج هو الأقرب إلى بلوغ الحق ومعرفة الحقيقة ، فضلا عن أنه منهج الإسلام ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، قل لا تسألون عيما أجرمنا ولا تسأل عما تعملون ﴾^(٢) ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم .. ﴾^(٣) ﴿ ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء ﴾^(٤) ﴿ ما بال أقوام قالو كذا وكذا .. ﴾^(٥) ولعل هذا هو الأنسب لمرحلة النضج الفكرى التى نكتب لها أو نكتب فيها ..

ونعرض بعد ذلك عما تساقط فيه الآخرون — الذين سوف نعرض لهم — حيث «تعمل المحاباة العاطفية فعلها فى هذه « الرصانة الغريبة » بصور تكاد تكون دائمة وثابتة فتضطرب وتختل^(٦) ، رغم ما نلاحظه من التزامهم « بالرصانة والالتزام »^(٧) ، حين يكتبون عن أديان أو حضارات غير دين الإسلام

(١) راجع الإمام ابن القيم فى كتابه القيم « مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين » .

(٢) سبا آية ٢٤ — ٢٥ .

(٣) الأنعام آية ١٠٨ .

(٤) الترمذى ٨ / ١٤٩ وقال حديثا حسن غريب .

(٥) مسلم ٢ / ١٠٢٠ رقم ١٤٠١ .

(٦) ، (٧) محمد أسد — الطريق إلى مكة — ترجمة عفيف البعلبكي — الطبعة الأولى بيروت سنة ١٩٥٦ =

وحضارته » .

٢ — ولقد يبدو — مما سبق — أن المادة شائكة ، فلقد خاض فيها البعض عن علم^(١) ، وخاض البعض الآخر بغير علم ، أو علموا وضلوا وآثروا الخلط أو الكتمان . وسوف نحاول أن نأخذ هؤلاء بما كتبت أيديهم أو نرد عليهم بشاهد من أنفسهم .

ولقد نعلم من ذلك أننا نعرض لتيارات فكرية سارت أو سارعت في الغرب أو الشرق ثم قدمت إلينا فصارعت في عالمنا الإسلامي عقيدة الإسلام وشريعته . ولقد يستبين من ذلك أهمية الموضوع وخطورته .. إنه ليس « ترفا فكريا » أو كإليات عقلية .. إنه قد يرتفع إلى مرتبة الحاجة أو الضرورة !

(أ) فلا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، ولا يستبين الحق أو الرشد من لم يتبين الباطل أو الغي .

(ب) كذلك لا ينافح عن الإسلام من لم يعرف أعداءه ومحاربيه ، ومن لم يدرس خططهم و« تكتيكهم » ، ولا يقدر على الحرب من لم يتعرف أرض المعركة

(ج) وإنها معركة ليست أقل من المعارك الحربية التي خاضها المسلمون

= ص ٢٠ ، أشار إليه د / عرفان عبد الحميد في « المستشرقون والإسلام » نشر المكتب الإسلامي — الطبعة الثانية ص ٣ .

(١) إلى وقت كتابة هذه الكلمات « مع مطلع عام ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) — لم تكن تحت أيدينا مادة متكاملة حول هذا المنهج ، وإنما كنا نبحث مع كل فصل ، وأحيانا مع كل مبحث في عدة كتب ، ولم يكن سوى محاولة طيبة للدكتور / عبد الرحمن عميرة لكنها لم تكن شاملة كل المنهج فضلا عن تغاير في أسلوب تناول المادة . وبعد الانتهاء من هذه الكلمات وجدنا أثرين جديرين : كتاب للأستاذ محمد قطب يحمل عنوانا قريبا من هذا العنوان ويتناول أغلب موضوعات هذا المنهج ، ومذكرة للدكتور جمعة الخولي — رحمه الله — حول هذا الموضوع ، وقد كان بودنا أن نكتفي بأحدهما — لولا اختلاف طريقة تناول . ونرجوا أن يكون هذا الكتاب شقيقا ثالثا أو رابعا يري هذه المادة الهامة بمحاولة متواضعة اتسمت بالموضوعية والتعمق ، وسوف يضطرنا ظهور الكتابين الكريمين بعد انتهائنا من محاولتنا أن نشير إليهما في الهامش . حتى لا يفوتنا الخير ، وحتى لا يضطرب المتن الذي انتهينا منه قبل الاطلاع عليهما . مع أسفنا العميق لهذا التناول . والله المستعان

ولا يزالون في بعض الأماكن ، إن الأخيرة قد استهدفت بالدرجة الأولى الأرض والتراب ، أما هذه — وهنا مكنم خطورتها — فإنها تستهدف القلب والفكر والوجدان وهي — لعمرى — أعز على الله وأعز علينا من الأرض والتراب .؟

٣ — ولسوف نقدم بإذن الله في باب تمهيدى للغزو الفكرى الذى تعرض له العالم الإسلامى ونعرض — فى اختصار — معه للإستشراق والتبشير .

ثم نثنى بدراسة مستفيضة للتيار الوافد من الغرب حاملا معه العلمانية فكرا أو « أيدلوجية » ، والديمقراطية شعارا سياسيا ، والرأسمالية شعارا اقتصاديا ، والوجودية أو الإباحية شعارا اجتماعيا .. ونعرض بعده للتيار الوافد من الشرق حاملا « المادية الجدلية فكرا ، أو ايدلوجية ، ودكتاتورية البروليتاريا شعارا سياسيا ، والاشتراكية العلمية أو الشيوعية شعارا « اقتصاديا » ، وشيوعية النساء وإلغاء الأسرة شعارا اجتماعيا .

ونحسبنا بعد ذلك عارضين للماسونية بأفكارها وخداعها وتلونها ومؤسساتها وعارضين لما وراءها من الفكر الصهيونى المتلوى والمتلون .. وأخيرا نعرض لما عرف فى المنطقة الإسلامية من تيارات إسلامية قاصرة أو مقصرة .. ثم تيارات أصيلة صارت الغزو الفكرى من الخارج ، والمروق العقدى والخلقى والتطبيقى من الداخل — والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

المؤلف

المدينة المنورة

جمادى الأولى عام ١٤٠٥ هـ .

الباب التمهيدي
الغزو الفكري للعالم الإسلامي
ونبذة عن
الاستشراق والتبشير

تقدمة

٤ — يأسى الناس حين يسمعون بغزو عسكري لبلد آمن .. مع أن مثل هذا الغزو يستهدف بالدرجة الأولى الأرض والتراب ، وقد يكون وراءه أغراض أخرى .. اقتصادية أو سياسية .. بيد أنهم لا ينتبهون إذا تعرضوا للغزو الفكرى ولا يأسون إذا أحسوا ذلك الغزو .. مع أن هذا اللون من الغزو يستهدف أشرف مافى الإنسان .. قلبه وعقله ، عقيدته وفكره ، ولقد يكون ذلك راجعا إلى ما يسلكه الغزو من سبل التدسس والتدلس الأمر الذى قد لائحسه الشعوب حتى تفاجأ بعد ذلك بنتيجته الأليمة .

ولقد يصحب الغزو الفكرى غزو عسكري وقد يسبقه وقد يتلوه ، وكل ذلك تعرضت له الأمة الإسلامية .

٥ — ولقد كان بدء التفكير فى الغزو .. مع ما أحسه الغرب من خطر الإسلام^(١)

(١) يقول المبشر : لورنس براون : « لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررالمثل هذه المخاوف ، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى وبالخطر الأصفر ، وبالخطر البلشفي ، إلا أن هذا التخوف كله لم يتفق كما تخيلناه إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا فكل مضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفر فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها ، ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام ، وفى قدرته على التوسع والإخضاع ، وفى حيويته ، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأورى » نقلنا عن : أجنحة المكر الثلاثة للأستاذ عبد الرحمن حبنكة ص ٦٧ .

وفى صحيفة الحرز لم بوست الصهيونية كتب حايم هيتزوغ السفير اليهودى السابق لدى الأمم المتحدة « إن ظهور حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة قد أظهرت بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية وقبل هؤلاء جميعا وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تغط فى سبات عميق » ٢٥ / ٩ / ١٩٧٨ م .

وفى تعبير صريح يقول ابن غزويون « نحن لانخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات فى المنطقة ، نحن فقط نخشى الإسلام هذا المارد الذى نام طويلا وبدأ يتململ من جديد »
ويقول الكاتب اليهودى « شعيا بومان » : « إن على أوربا أن تظل خائفة من الإسلام ذلك الدين الذى ظهر فى مكة لم يضعف من الناحية العددية ، بل هو فى ازدياد واتساع ، ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب بل إن من أهم أركانه الجهاد ، وهذا مايجب أن تنتبه له أوربا جيدا » (المرجع السابق ص ١٣١) .

أو مأسماهم بعضهم « المصيبة الإسلامية »^(١) ، وأحسوا معها أن الغزو العسكرى لن يجدى مع هذه العقيدة الزاحفة ، ومن ثم انتهى فكرهم إلى أنه لا بد للشجرة أن يقطعها أحد أبنائها .^(٢)

لعل في هذه الكلمات ما يجيب على سؤال : متى كان الغزو ؟ ولعلها تجيب على سؤال : لم كان الغزو ؟

٦ — ولقد يكون لازما بعد ذلك أن نعرض لألوان هذا الغزو ومراحله :—

(١) يقول المستشرق « ليون كاتيانى ١٨٦٩ — ١٩٢٦ م ، فى حوليات الإسلام » : إنه يفهم من عمله ذلك (يقصد المؤلف الذى كتبه) سر المصيبة الإسلامية « كاتاستروميكا إسلاميكا » التى انتزعت من الدين المسيحى ملايين من الأتباع من شتى أنحاء الأرض مايزالون يدينون برسالة محمد (ﷺ) ويؤمنون به نبيا- ورسولا .

« راجع د / عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر . ط . دار المعارف بالقاهرة » ويعبر اليهود عن هذه المصيبة الإسلامية تعبيرات عدة — ففى صحيفة أحرزوت فى ١٨ / ٣ / ١٩٧٨ م : إن على وسائل إعلامنا أن لاتنسى حقيقة هامة هى جزء من استراتيجية إسرائيل فى حربها مع العرب ، هذه الحقيقة هى أننا نجحنا بمجهودنا وجهود أصدقائنا فى إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاما ، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا فى منع استيقاظ الروح الإسلامية بأى شكل وبأى أسلوب ، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لاختداد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية فى المنطقة المحيطة بنا .

وفى تعليق لراديو إسرائيل فى الساعة العاشرة والربع مساء يوم ٥ / ٩ / ١٩٧٨ قال معلق الإذاعة للشئون السياسية : « إن عودة الروح الدينية للظهور من جديد فى المنطقة تشكل تهديدا مباشرا لمستقبل إسرائيل وللمستقبل الحضارة الغربية بأسرها » .

(٢) إذا أردتم أن تغزو الإسلام وتخضعوا شوكته ، وتقضوا على هذه العقيدة التى قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها ، والتى كانت السبب الأول والرئيسى لاعتزاز المسلمين وعمومهم وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم ، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم — وكتابهم القرآن وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم ونشر روح الإباحية وتوفير عوامل الهدم المعنوى ، وحتى ولو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها فى القطع أحد أغصانها . « غزو العالم الإسلامى للمستشرق : شاتلى ص ٢٦٤ نقلا عن الأستاذ حينكة — المرجع السابق » .

وقد سبق أن أشرنا إلى ما تردده إسرائيل عن الإستعانة « بأصدقائنا فى المنطقة » 11

أما ألوانه فيذكرون فيها : الاستشراق والتبشير (أو التنصير) كما يرى البعض تصحيح هذا المصطلح حتى لاينخدع الناس بما يحمله لفظه من معنى البشارة أو البشرى ومايحمله التنصير من تحديد للهدف بعد تحديد اللفظ ... بيد أننا نرى :-

(أ) أن التبشير الحديث لم يعد يعتمد « التنصير » « مخططا وحيدا » إن لم نستطع أن نقول إنه لم يعد يعتمد (المخطط الرئيسي) .

(ب) أنه إذا شاع مصطلح (التبشير) على مايجرى من محاولة (التنصير) وعلى ماأعقبها من تطوير — فإننا لانرى مانعا من بقاء المصطلح مادنا قد اتفقنا على محتواه ، ولامشاحة في الاصطلاح .

فضلا عن احتمال استعمال التبشير في غير الخير سواء بسواء* ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ .^(١)

وإذا جاز لنا اعتبار هذين الأمرين .. فإننا نخالف أكثر الكاتبين في تقديم الاستشراق على التبشير بما نظنه من سبق زمني للأول على الأخير ، ونزولا على اعتبار التبشير عند البعض^(٢) إحدى وسائل الاستشراق .

بيد أننا نجعل مرحلة جديدة للتبشير ، أسميناها « التبشير الحديث »^(٣) وأسمائها غيرنا (التحديث) أو (التغيير الاجتماعي) ،^(٤) وهي الصورة الأخيرة والغالبة للغزو الفكري في عالمنا الإسلامي — فيما نحسب ، والله أعلم .

(١) الانشقاق آية ٢٤

(٢) دكتور عبد النعيم حسنين في بحثه القيم عن الاستشراق ، والمقدم إلى المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة .

(٣) بحثنا « الأساليب التبشيرية في العصر الحديث — مقدم إلى المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة » .
(٤) الأول والثاني يرد في كتابات الأمريكيين « مثل مورو بيرجر ، مايلز كوبلاند » ويغلب الأول على الكتابات الرسمية « راجع وثيقة مجلس الشيوخ الأمريكى الذى ضمت بعض لجانه » « بالإبطاء في التحديث » حتى لايقع رد الفعل الذى حدث في إيران حين سارعت في التحديث .

(*) معنى التبشير لغة سوف يرد بإذن الله عند حديثنا عن التبشير « راجع الفصل الثانى من هذا الباب » .

وسوف نعرض لهذه الصور والمراحل على التوالي .. إن شاء الله ، والله
المستعان .



الفصل الأول الاستشراق

معنى الاستشراق وبدايته :—

٧ — الاستشراق يعنى : ^(١) تعلم علوم الشرق ... وتلك كانت بدايته . وأغلب الظن أنها كانت بعد أن فتح الغرب عينيه مع الفتح الإسلامى أو على الفتح الإسلامى ، وبعد ما انتقلت حضارة المسلمين وعلومهم إلى الغرب ... في جامعات : قرطبة ، وطليطلة ، وصقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط الذى صار — بفضل الله — بحيرة الإسلاميه . ^(٢)

(١) ويعرفه المستشرق ميكائيل أنجلو جويدى بقوله : « ليس صاحب علم الشرق أو المستشرق المدير بهذا اللقب بالذى يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب ، بل إنه من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض اتحاد الشرق وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة التى أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية ، هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن أمكنة أن يقدر شأن العوامل المختلفة فى تكوين التجدد فى القرون الوسطى مثلا أو فى النهضة الحديثة » (الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين ص ٨) .

(٢) يقرر الدكتور مصطفى السباعى — رحمه الله — : « لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية ، ولا فى أى وقت كان ذلك ، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا فى مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغتهم ، وتعلموا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم ، وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات . ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى جورث الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ بعد تعلمه فى معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده ، ومنهم الراهب بطرس المحترم ١٠٩٢ — ١١٥٦ ، ومنهم الراهب جراردى كريبون ١١٤ — ١١٨٧ (الأستاذ حينكة ص ٨٩ — ٩٠ المرجع السابق) .

وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة ريمون لول بنشاط كبير فى الترجمة ، ومع الزمن توسع الأوربيون بالنقل والترجمة ... (أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ص ١٩) .

ولعل هذه أكثر دقة مما قيل : من أن الاستشراق بدأ فى أسبانيا فى القرن السابع الهجرى « بعد التاريخ السابق بقرنين تقريبا » ، وذلك مع حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين حيث دعا الفونس ملك قشتالة سكوت =

ثم تأكد الاستشراق وتوسع مع الحروب الصليبية ثم زاد خطره ، وتحدد هدفه بعد الحروب الصليبية كبديل لهذه الحروب مع صنوه وشقيقه التبشير .

مراحل الاستشراق :-

٨ - نستطيع أن نرسم للاستشراق مراحل ثلاثة :

مرحلة أولى - مرحلة استكشاف :

استكشاف لكنه الغزاة الفاتحين (من المسلمين) ولفكرهم وسر تفوقهم ، وفي هذه المرحلة نحسب الاستشراق كان ميالا إلى الموضوعية ، بحثا عن الحقيقة .

مرحلة ثانية - مرحلة مشوبة :

مشوبة بالعدوان وبيان نقاط الضعف لدى المسلمين ، وتوجيه أعدائهم توجيهها ضد مصالح الإسلام والمسلمين ، وهي المرحلة التي ساير فيها الاستشراق الحروب الصليبية وصاحبها .

مرحلة ثالثة - مرحلة العدوان المباشر السافر :

بعد أن ارتضى هؤلاء (العلماء) أن يكونوا بمثابة (المخالب) للغرب الخاقد على الإسلام والمسلمين بعد فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها ، إذ كان التوجيه إلى حرب الفكر والعقيدة بدلا عن حرب السلام ، وكان الوصول إلى القلب والعقل بدلا عن احتلال الأرض والتراب .^(١) واقتترنت هذه المرحلة

= ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم . (أساليب الغزو الفكري للمؤلف بالاشتراك ص ١٩ ، وراجع ماكتبه النيكونت فيليب دي طرازي « كاتب مؤرخ نصراني ») حيث يشير إلى : أن الأبحار والرهبان صاروا يتعلمون العربية بأوامر من البابوات وقرر مجمع فيينا المنعقد سنة ١٣١١ برئاسة البابا إقليميس الخامس أن تدرس دروس عربية وعبرية وسريانية في روما على نفقة الخبير الأعظم ... ويعتبرون من مآثر البابا لادن العاشر أنه افتتح عام ١٥١٤ م أول مطبعة عربية (ص ٨٨ الغزو الفكري د / على عبدالحليم محمود) .
(١) إلى هذا المعنى تشير وصية لويس التاسع الذي أسر في الحملة الصليبية الثامنة في المنصورة بمصر : « الا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية دار الإسلام وصون الحرمات والأعراض .. وأنه لا بد من سبيل آخر وهو : تحويل الفكر الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري ، بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به الفكر الإسلامي ... (أساليب الغزو =

ببداية عقد المؤتمرات التي تسدد الجهود وتخطط الأهداف للمستشرقين ، وكان أول مؤتمر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٧٣ م) ولا تزال المؤتمرات تتوالى حتى اليوم .

٩ — بيد أن لنا بل علينا أن نقرر أنه في كل مرحلة — وبخاصة المرحلة الأولى — غلبت الموضوعية والاعتدال على بعض المستشرقين^(١) ، بل ظهر الإنصاف عند بعضهم ، وبلغ الإنصاف عند جزء من هذا البعض حد دخول الإسلام .^(٢)

أهداف الاستشراق :-

١٠ — يمكن أن نلخص هذه الأهداف فيما يلي :

١ — هدف علمي :

نقصد به ذلك النفر ، الذي نفر إلى تعلم علوم الإسلام بحثا عن الحق وبلوغا إلى الحقيقة ... وهو ما يغلب على المرحلة الأولى التي بدأ بها الاستشراق — فيما نظن والله أعلم — وإن كان معهم من حاولوا تشويه الإسلام ليحولوا دون تأثيرهم في دينهم ، أما بقية المراحل فقد جانبها هذا الهدف في عمومها ، لكنها لم تخل من نفر قليل حاول البحث عن الحقيقة ومن ثم اتسم بالموضوعية والاعتدال ، أو جاوز ذلك فبلغ الحقيقة وتكشف له الحق فدخل الإسلام ، وقد ضربنا له من قبل

= المرجع السابق ص ١٩ .

(١) ومن أمثال هؤلاء : المستشرق رينان الذي أنكر ألوهية المسيح عليه السلام ، كما أثنى على كتب السيرة النبوية وقال إن لها ميزة أكبر من الأناجيل المتداولة والمستشرق كان لایل الذي عد محمدا عليه السلام من الأبطال ، وتولستوى الروسى الذى أعجب بالإسلام .. (راجع أساليب الغزو الفكرى ص ٢٩ ، وفى ص ٢١ يشير الكتاب إلى : « وفى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) عمد المستشرقون إلى تغيير أساليبهم وأرادوا أن يظهروا بمظهر جديد هو مازعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية ، والاتجاه به وجهة البحث العلمى ، بيد أن لنا أن نشير إلى أن هذا ليس صجيحا على إطلاقه ولم يلزم بمثل هذا العمد إلا القليل .

(٢) من أمثال هؤلاء اللورد هيدلى داتين دينة (ناصر الدين) ، وجوتيه (الشاعر الألماني) والدكتور جرينيه (عضو مجلس النواب الفرنسى) — (المرجع السابق ص ٢٩ نقلا عن أوربا والإسلام د / عبد الحليم محمود — رحمة الله —) . وأخيرا هدية الله إلى المسلمين د. رجاء جارودى سكرتير الحزب الشيوعى الفرنسى .

الأمثال

٢ — هدف صليبي :

ولم أشأ أن أقول دينيا ، كما يقع البعض في ذلك التعبير ، لأنه لو كان الهدف دينيا لبلغ الحقيقة ... لكن الهدف هو الانتصار للصليبية^(١) في صورتها المشوهة التي شوهدت بها حقيقة الدين الذي أنزل على المسيح عليه السلام ، والتي اتسمت بالعصبية المقيتة التي دفعتهم إلى الحروب الصليبية شفاء لما في الصدور ... فكانت حركة الاستشراق المصاحبة لهذه الحروب متسمة بنفس الهدف ، وكانت كذلك حركة الاستشراق التالية لهذه الحروب ملبية لهذا الهدف بديلا عن الحروب مساندة ومصاحبة لحركة التبشير التي جمعت نفس الهدف ، كذلك كانت حركة الاستشراق السابقة على الاستعمار (القرن ١٩ م) والمصاحبة له .^(٢)

٣ — هدف دفاعي :

وهو وسط بين الهدفين السابقين .. ونقصد به ما عمد إليه المستشرقون — خاصة في الفترة الأولى — إلى محاولة (مقاومة الإسلام) من أن يغزو بني جنسهم أو أن ينتشر في تلك البلاد التي ليست لها ديانة خاصة ، والتي أشار البعض إلى أنهم ٣٠٠ مليون ، فحاولوا تشويبه عندهم .. وتكروا بذلك للهدف العلمي الذي بدأوا به أو زعموا ذلك .

وسائل الاستشراق :-

١١ — اعتاد الكتاب أن يتناولوا تحت مثل هذا العنوان الإشارة إلى : المحاضرات ،

(١) بهذا سماها المفكر القرنى برنارد شو (راجع كولن ولسن . سقوط الحضارة — ط الثانية ترجمة أنيس زكى حسن ص ١٧٤ وما بعدها) .

(٢) وفي هذا يقول الدكتور على عبد الحليم محمود : « إن حركة الاستشراق واكبت وسانرت حركة الاستعمار ، بل مهدت لها في كثير من الأحيان ، وليس من الحفى على أحد من المثقفين أن أول جماعة أسست لخدمة الاستشراق والانتفاع بمجهود رجاله سياسيا قامت في فرنسا سنة ١٢٠٢ هـ — ١٧٨٧ م تحت إشراف وزارة المستعمرات ، وإن هذه المساندة وهذا التمهيد للاستعمار هو الذى جعل حركة الاستشراق كلها إلا في القليل النادر موضع الشك والريبة .

والاجتماعات والمؤلفات .. إلخ لكنى أقصد الإشارة إلى وسيلتين —
أولهما : تلك التى يمارسها المستشرقون توصيلاً لأفكارهم إلى التجمعات التى
يودون التأثير عليها .. وذلك بطريق مباشر وأكثرها عن طريق الكتابة .. مقروءة
أو مسموعة أو مرئية .

وثانيهما : وهى الأخطر ... لأنها غير مباشرة ، ومستخفية تحت أسماء أكثرها
(إسلامية) وفى أكثر الأحيان يضافى عليها الألقاب مثل : عميد الأدب العربى ..
امير .. الكاتب الكبير .. إلخ .

وخطورة هذه الوسيلة فى استخفائها أولاً ، وفى التمويه الذى صاحب الإعلان
عن أصحابها ثانياً ، وقد كثرت اللجوء إلى هذه الوسيلة فى الفترة الأخيرة ، وأدى
(تلاميذ المستشرقين) أدواراً عجز عن أدائها المستشرقون أنفسهم .^(١)

محاولات التشويه الاستشراقى :-^(٢)

١٢ — لا يكاد مجال من المجالات الإسلامية سلم من التشويه المتعمد من
الحاقدين ، أو التشويه العفوى من الجاهلين ... من المستشرقين ، ثم من
تبعهم من تلاميذهم .. الحاقدين أو الجاهلين كذلك .

وأول هذه المجالات : مصادر الإسلام (الله — رسوله — الكتاب — السنة)
كتاب الله وسنة رسوله ، وشخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، بل
وقبل شخصية الرسول ﷺ ذات الله وصفاته فزعموا فى بعض صفات الله
الغموض^(٣) ، وقالوا كذلك بالتناقض^(٣) ، ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
إناثاً ﴾ ووضعهم فى صفوف المعبودين مع الأصنام .. ونسبوا ذلك التفسير إلى
رسول الله ﷺ .

(١) راجع تحت عنوان (تلاميذ المستشرقين ص ٢٢ — ٢٤ أساليب الغزو الفكرى — المرجع السابق) .
(٢) راجع تفصيلاً كتيب د / عرفان عبد الحميد — المستشرقون والإسلام . طبع المكتب الإسلامى . وكتاب
الأستاذ / نذير حمدان (الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين من سلسلة دعوة الحق) .
(٣) D.B. MACDNALD وما كتبه فى دائرة المعارف الإسلامية (١) ٤ / ٢٤٨ ، وفى نفس المعنى : جب
(المذهب المحمدى ص ٢٥ وما بعدها) .

وزعموا في شخص الرسول ﷺ الكثير ... فقالوا بأنه كان يعتريه الصرع تفسيرا لما كان يحدث له أثناء الوحي — وأنه سمي أحد أولاده « عبد مناف » أى خادم الرب المكي مناف^(١).

وزعموا أنه كان يؤلف القرآن على سجع الكهان . « ! »
وزعموا أنه — عليه الصلاة والسلام — كان شديد الشهوة ... « ! »
وقالوا إن القرآن من عمل محمد — عليه الصلاة والسلام — « ! » ووصفوا الحديث « بالوضع » ، و« التناقض » ، وأنه سجل للجدل الدينى فى القرآن^(٢).

وثانى هذه المجالات — لغة الإسلام أو لغة القرآن .

ونعنى بها اللغة العربية ، فهاجموها فى قواعدها ، ودعوا بالكتابة بالعامية بدلا من الفصحى^(٣) ، وذكروا أن التزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن يؤدى إلى أدب حقيقى أو متطور وأرادوا أن يحصروا اللغة العربية الفصحى فى دائرة الطقوس تشبها بما عندهم « لكن لغة القرآن لا يكتب بها الآن فى أى قطر .. وحتى ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لا يمكن أن يقلقها تبني لغة الحديث بالعامية ، إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى ستظل كما هى فى كل مكان . وزعموا « أن أمل التقدم ضعيف فى مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية — لغة القرآن — كما هى فى الوقت الحاضر^(٤) » ودعوا إلى كتابة حروفها باللاتينية .

(١) هـ . ح . ويلز — معالم تاريخ الإنسانية ٣ / ٦٢٢ وما بعدها — وتعليقا عليه للدكتور / على عبد الحليم محمود ، فى بحثه السابق الإشارة ، وكذلك وليم هوير فى كتابه حياة محمد ، مرجليوث وغيرهم كثير .
(٢) ماكدونالد — المرجع السابق ٤ / ٢٥٥ .

(٣ ، ٤) كتب المستشرق دلهام سيباه (عام ١٨٨٠) كتابا أسماه (قواعد اللغة العربية العامية فى مصر) نقلنا بعض نصوصه فى المتن — وقد عاد المذكور فكتب تقريرا أيد فيه اللورد دوقرين فى هجر العربية الفصحى ، وقد تبع ذلك المستشرق مستشرق آخر هو كارل فواريس الذى تولى نفس منصب سلفه السابق (مديرا لدار الكتب المصرية ..) وكلاهما ألماني وتبعهم المستشرق الإنجليزى سيلون ولمور الذى كان قاضيا بالحكام الأهلية فى مصر ، وكذلك دعا عالم أمريكى وتبعهم المستشرق بادل وكان يعمل قاضيا بالحكام الأهلية المصرية .. المستشرق قيلوت وكان يعمل أستاذا للغات الشرقية فى جامعة كامبردج وقد وضع معا كتاب (المقتضب فى عربية مصر) وتبعهم المستشرق الإنجليزى وليم لكوكس وكان يعمل مهندسا للرى عام ١٨٨٣ =

وقد تبع ذلك تلاميذ المستشرقين .. الذين حملوا لواء الحملة على اللغة العربية الفصحى ، وقد سجل كثير من الزملاء أسماء هؤلاء .^(١)

وثالث هذه المجالات .. كان الفقه الإسلامى :

فوصفوه بالرجعية^(٢) ، كما وصفوه بالقسوة فى الأحكام^(٣) ، كما خلطوا بين المصادر الربانية (الكتاب والسنة) والعمل البشرى (الاجتهاد) .^(٤)



وتولى الإشراف على مجلة الأزهر عام ١٨٩٣ م حيث ألقى محاضرة ربط انحطاط العرب بتمسكهم بلغتهم العربية الفصحى (١١) ، ثم فى رسالته (راجع أجنحة المكر الثلاثة ص ٢٩٥ وما بعدها) .

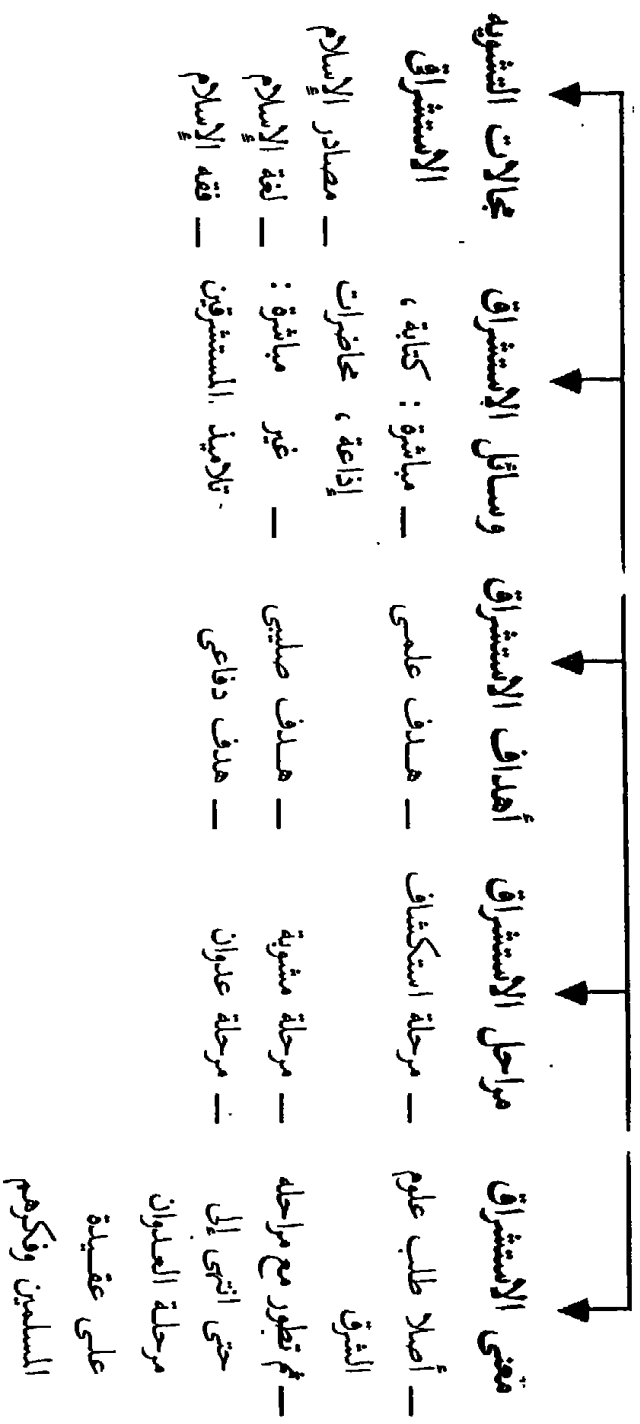
(١) ذكر الأخ عبد الرحمن حبنكة أسماء : لطفى السيد ، عبد العزيز فهمى ، طه حسين ، لويس عوض وغيرهم .. (المرجع السابق ص ٢٩٦ وما بعدها) .

وكذلك د. محمد البهى فى كتابه القيم الاستعمار الغربى والفكر الإسلامى .

(٢) د. على عبد الحلیم محمود — المرجع السابق .

(٤) أساليب الغزو الفكرى — المرجع السابق .

ملخص الاستشراق



الفصل الثانى

التبشير

تعريفه ونشأته :—

١٣ — التبشير .. من البشرى والبشارة ، مصدر لفعل : بشر ، أبشر ، بشر أى أخبر خيرا يؤثر فى البشرية ... وهو يكون بالفرح كما يكون بالحزن إلا أن استعماله الأكثر فى الفرح ، وقد يحمل استعماله فى الحزن معنى التبكيت ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾^(١) هذا معناه اللغوى ..

أما اصطلاحا .. فقد استخدم علما على تلك الحملة التى تولتها الصليبية فيما أسمى « بتعليم الدين المسيحى ونشره » .

وهو تعريف غير دقيق .. لأن التبشير حمل فى نفس الوقت أهدافا أخرى غير « تنصير غير النصرانى » وهو ماسوف نلمحه عند الكلام على مراحلہ بمشيئة الله تعالى .

١٤ — أما نشأته .. فقد تأخرت عن نشأة الاستشراق وإن صاحبه وأثرت فيه وتعاونت معه .. كانت نشأة الاستشراق قبل الحروب الصليبية بحثا فى أحوال الغزاة الذين وصلوا إلى قلب أوروبا ومن قبلها إلى الأندلس ، ثم صحب الحروب

(١) الانشقاق آية ٢٤ .

(١) مختار الصحاح ، الزبيدى تاج العروس ٣ / ٤٥ ، ابن فارس معجم مقاييس اللغة وقد قيل : عند الإطلاق لايعنى إلا الخير ، أما إذا أريد صرفه عن هذا المعنى فلايد من تقييده مثل قوله تعالى (فبشرهم بعذاب أليم) . وكان من أوائل من دعا إلى التبشير بدلا من الحرب ، القديس بطرس الراهب ، ثم أعاد البابا إبنوسنت الثالث سنة ١٢١٣ الدعوة للقضاء على ماأسماه ب « دعوة المسيح الدجال » ثم دعا الفيلسوف روجريكون فى (١٢٦٦ — ١٢٦٨) فى رسالة وجهها إلى البابا مقدما فيها بعض الاقتراحات (راجع المستشرقون فى الإسلام د / عرفان عبدالحميد ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

الصليبية خدمة لها وتبصيرا ، وتوجيها ، ثم كان بعد الحروب الصليبية كذلك ..
وهنا يلتقى التبشير مع الاستشراق .. لقد كان ميلاده مع فشل الحروب
الصليبية تنفيذا لوصية قائد الحملة الثامنة « لويس التاسع » الذى نبه إلى قوة
العقيدة الإسلامية ووقوفها فى وجه أى زحف حربى مثيرة روح الجهاد فى سبيل
الله ..

ومن هنا توجه التبشير .. إلى العقيدة ، محاولة لقتلها بالفكر والختل بعد أن
عجزوا عن قتلها بالسلاح والفتك .^(١) ، وآخاه الاستشراق .. فى أكثر ميادين
وفى أكثر مراحلها ، وحماه الاستعمار العسكرى ، ومن قبله ومن بعده النفوذ
السياسى .. الذى كثيرا مايعتمد على قبضة قوية من الداخل .

وسوف نبين مراحل التبشير .. كيف سار مع العقيدة مناورا كلما استعصت
عليه .

مراحل التبشير :

١٥ — مرت المحاولات التبشيرية بالمراحل الآتية :—

المرحلة الأولى — نصير المسلمين :

وقد كشف ذلك بصراحة بعض المبشرين :

« إننى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح^(٢) »

« إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام لم تنزل نذير خطر للمسيحية^(٣) »

« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج

فى سبيل الحضارة » .^(٤)

(١) وهو ماأشار إليه صاحب كتاب ملخص تاريخ التبشير « إدوين يلس » وأشار إليه أ. ل. شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى .

(٢) ويضيف المبشر رايد : ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة ، أنا لأحب المسلم لذاته ، ولا لأنه
أخ لى فى الإنسانية ، ولولا أنى أريد رجه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده (التبشير
والاستعمار — مصطفى الخالدى بالاشتراك ص ١٩٢) .

(٣،٢) أساليب الغزو الفكرى — المؤلف بالاشتراك ، والكلمة الأولى للمبشر زويمر ، والثانية لويليم جيفورد

١٦ — ولا نستطيع أن نفصل هذه المرحلة فصلا زمنيا تاما عما يليها من المراحل نظرا لأن ماساد في المراحل التالية قد تواجد في الأولى وما وجد في الأولى قد تناثر في المراحل التالية كذلك .. لكن يبقى أننا نفصل بناء على الحكم الغالب .

وإذا كانت بداية هذه المرحلة مع انتهاء الحروب الصليبية « التي استمرت قرنان من الزمان ١٢ ، ١٣ » . فإن تحديد نهاية هذه المرحلة تحديدا جازما غير مستطاع ، لكن أكبر الظن أنه كان مع انعقاد أول مؤتمر للتبشير في القاهرة عام ١٩٠٦ م ، ونحسب كذلك أن سبب إنهاء هذه المرحلة كان إحصاء ثم أحصيت فيه الجهود والأموال والأشخاص ... فكانت حصيلة هذه الجهود التي استمرت سنين ، والتي أنفقت بضعا من الملايين ، وجند لها من الأشخاص المليون ... كانت حصيلتها تنصير عدد من الأشخاص « حوالى العشرين » ولما بحثت حالات هؤلاء الأشخاص وجد أن أكثرهم من اللقطاء الذين لم يجدوا بيئة إسلامية تعلمهم الإسلام أو تعودهم إياه .. والذين أحسوا بـ « الضياع » فتلقفهم من يخرجهم عن دين الفطرة .

وكادت تكون الحالة الوحيدة التي « تنصرت » بإرادتها هي حالة فتاة مسلمة ، تركت وطنها الإسلامي مع شاب نصراني مخدوعة بأحاديث الهوى ومغرياته^(١) ومع ذلك فقد عاد التبشير في السنين الأخيرة إلى ممارسة نشاطه في التنصير بصورة مكثفة وكتب له النجاح — بكل أسف في بعض المناطق.^(٢)

= بالكراف .

وفي كلمة له نرى هاملتون تامس في كتابه ثورة الهند الماچنية وسياستنا المقبلة عام ١٨٥٨ م وذلك إثر الثورة الإسلامية في الهند عام ١٨٥٧ م « إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفيه الحكومة تدين بغير الإسلام لأن ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن » (المشايخ والاستعمار — حسنى جميل — مكتبة المنار . الزرقاء — الأردن) .

(١) نملك عن ذكر اسم الفتاة حفاظا على اسم أسرتها ، وهي من أسرة عريقة مسلمة ، وكان والدها يحمل لقب (باشا) ويمثل مكانا بارزا في أحد الأحزاب وفي بعض المناصب ولعل بيئات القصور تفرز هذا اللون من الفتيات إلا من رحم ربى ..

(٢) يقدر عدد المبشرين في العالم الآن بحوالى ٢٢٠ ألف مبشر منهم ١٣٨ ألف من الكاثوليك ، ٨٢ ألف من البروتستنت ، ومن بين هؤلاء وأولئك : أكثر من ٦٠٠٠ مبشر كاثوليكي ، ٢٢٠٠٠ بروتستنتي من الولايات =

المرحلة الثانية — الخروج من الإسلام أو التذبذب فيه :

١٧ — وقد بدأت نصحا أو تناصحا فيما بين المبشرين لما كادوا ييأسون — من تنصير المسلمين

من أمثلة ذلك مقاله المبشر كروفورد « في مؤتمر القاهرة ١٩٠٦ م » : « إن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطرا من المدينة النصرانية ويدخلونه في ارتقائهم الاجتماعى ، ومادامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل فإن الاستعداد يتولد فيها عن غير قصد منها ... » ، ومقاله زويمر : « لاينغى للمبشر المسيحى أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، لكن يكفى جعل الإسلام يخسر المسلمين بذبذبة بعضهم ، عندما تذبذب مسلما وتجعل الإسلام يخسره تعتبر نجاحا أيها المبشر المسيحى ، ويكفى أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا »

وأخير أعلنها زويمر الذى تولى كبر هذا الأمر وأسندت إليه زعامة المبشرين في

= المتحدة الأمريكية وحدها ، ويتوقع علماء الإحصاء السكاكى أن يشكل المسيحيون في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية عام ٢٠٠٠ ثلاثة أخماس مسيحي العالم في حين أنهم يشكلون الآن ٤٧ ٪ فقط ، وفي إحصاءات قامت بها جهات رسمية عربية تبين أنه تم تنصير حوالى ٥٠٠٠٠٠٠٠ ملايين مسلم في أندونيسيا ، ويقول البعض إنهم ١٠٠٠٠٠٠٠٠ عشرة ملايين .

ومن أسف أن نقرر أن أكثر هؤلاء تم تنصيرهم — وفقا لما يقره أبناء البلد — بحفلات من الأرز لاتبجدها العائلات الجائعة في تلك البلاد — بينما يمرض وأحيانا يموت كثيرون تحما من الطعام ، بينما يلقي الكثيرون من المترفين في قماماتهم ما يدفع الجوع والكفر عن أولئك البائيسن (١) .

وفي مجلة الأمة القطرية (العدد ٢٦ ص ٩١ — السنة الثالثة) : « إن جمعية الإنجيل في بنجلاديش تحطط لطبع ٤٠٠ ر ٤٠ ألف نسخة من الإنجيل ، وصرح رئيس الجمعية بأنه تم بيع ٠٠٠ ر ١٩ ألف نسخة خلال ثلاثة أشهر من طباعتها .

وفي نفس العدد ص ٩٠ إشارة إلى ماتقوم به بعض المؤسسات التنصيرية في الولايات المتحدة الأمريكية من جهود لتنصير اللاجئين الأفغان عن طريق أفغانى درس في أمريكا يسمى (داس) خضع لمنهج تنصيرى مكثف إبان دراسته ، وهو يذيع أسبوعيا برنامجا عن التنصير (برتين) من إذاعة سيكلزر عن طريق شبكة إذاعة الشرق الأدنى .

مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ م : « أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية ، واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي نيّطت بكم أحسن أداء ووقفتم لها أسمى توفيق ، وإن كان ليخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه ، إنني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلت أحد ثلاثة :

.. إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام .

.. أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

... وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن هذا هداية لهم وتكراما ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله ، وبالتالي « صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به في الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنتكم عليه وتهشكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنة .

لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية .. ونشرنا في تلك الربوع مكامن من التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية ، والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء ، إنكم أعددتكم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .

انكم أعددتكم شبابا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ،

وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار لايهمم بالعظام ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلى في الشهوات ، وإذا جمع المال فللشهووات وإذا تبنوا أسماء المراكز ففي سبيل الشهوات يوجد بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار ، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد استحققتكم بفضل جهادكم المبارك بركات الرب .

١٨ — بماذا نخرج من هذا النص الخطير .. ؟

(١) اعتراف بالعجز عن التنصير — في قوله : « أقرم على أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين » .

وقوله : « لقد كانوا أحد ثلاثة : »

— إما صغير ..

— أو رجل مستخف بالأديان ..

— أو رجل « نفعى » .

٢ (تركيزه على المهمة المركزة للتنصير ، وهي :

« إخراج المسلم من الإسلام » أو « ذبذبته » كما عبر النص الآخر ، وإن حاول ستر ذلك بأن تنصير المسلمين شرف لهم ، وأكدها مرة أخرى : « لقد أعددتهم شباباً لا يعرف الصلة بالله .. »

٣ (اعترافهم بالقبض على التعليم في جميع الممالك الإسلامية ، ولاندرى كيف تم ذلك ، مع وجود « الزعامات » الوطنية « المزعومة » ... ومع شعارات الاستقلال « الزائف » ..

المرحلة الثالثة: الإبعاد عن الإسلام :

« التغيير الاجتماعي ^(١) ، التغريب ، التحديث »

١٩ - وهي مرحلة متداخلة مع المرحلة السابقة ، أحس فيها القائمون على التخطيط أن الإخراج من الإسلام كلية صعب صعوبة التنصير ، لأنه يستوى في حس المسلم أن يقال له : إنك صرت نصرانيا أو يقال له : إنك صرت مرتدا .. ومن ثم كانت زحزحة عن الإخراج إلى الإبعاد ... ليتزحزح المسلم عن الالتزام الكامل إلى الالتزام النصفى أو الربعى ..

فبدلا من أن يقيم الصلوات جميعا .. فلا بأس أن يكتفى بالجمعة .. وبدلا من أن يصوم التطوع تدريبا وبعدا عن المثيرات .. فلا بأس أن يكتفى برمضان أو بجزء من رمضان ..

وبدلا من أن يأخذ ثقافته وفكره من النبع الصافي ، فلا بأس أن يصير « مودرن » يأخذ الفلسفة أو بعض الأفكار من هذا الفيلسوف أو ذلك ، ولا بأس على الفتاة أن ترفع العباءة لتغطي نصف جسمها بدلا من جسمها كله ، ثم لا بأس أن تدفع بغطاء الرأس إلى نصف رأسها ، ثم لا بأس بعد ذلك أن تكشف جزءا من الساق

(١) وفي جريدة الرياض العدد ٥٩٥٢ (الثلاثاء ١٤ محرم ١٤٠٥ هـ - ٩ أكتوبر ١٩٨٤ م) كتب د. عبد المحسن محمد هلال تحت عنوان : « الجامعات والتغيير الاجتماعي » يقول : « نريد في هذه المعجالة أن نتعرض ولو ببعض رموس الأقلام لمشكلة التعليم الجامعي ومدى مساهمته لهذا التغيير الاجتماعي المحيط وتأثيره فيه ، ثم يقول عن السياسة التعليمية : « إن هذه السياسة يجب كذلك أن تكون متمتعة بقدر عال من المرونة بحيث تستجيب لمتطلبات العصر والتغيرات الاجتماعية » .

ثم يقول : « ومع اعتراف بأن التعليم يعتبر عاملا رئيسيا في معدل الحراك الاجتماعي وفي إعادة توزيع الثروة ، وأنه يجب أن يكون متاحا للجميع فيما يسمى بديمقراطية التعليم إلا أن نوع التعليم المطلوب يعتبر العامل الأهم في سلم الرقي الاجتماعي .

وفي نهاية المقال كلمة غريبة ليست لها صلة به تحت عنوان « خاتمة » نصها مايلي :

وأصبحنا غرباء لا تدرى أملك ولا تملكين

وصرنا نقول لنا وكاتبين واليوم لا أكون ولا كاتنين

ونحن رهينا المحبسين غرباء أصبحنا .. تسحقنا أقدارنا والزمن اللعين .

أو جزءا من الذراع أو جزءا .. من الصدر ... ولأبأس إن غادرت بلادها أن تلقى
خلفها بزيتها المتخلف لتبدو — مع الأوربية أكثر إثارة وأشد أناقة .

٢٠ — بيد أن ذلك كله أخذ طريقا مرسوما .. في مجالات مختلفة . في التعليم .. في
الإعلام .. في تقاليد المجتمع .. وفي مفاهيم السياسة والحكم .

ولمسه ذلك بشيء من التفصيل ، فإننا نحيل بإذن الله إلى ماسوف نعرض له عند
الحديث عن العلمانية وآثارها في المجتمعات « التعليم — الإعلام — الحكم » فضلا
عن تأثيرها في الأفراد ، وفي الدول . والله المستعان . (١)



(١) راجع الفصل الأول من الباب الأول (العلمانية) وراجع كذلك بحثنا مطولا في أساليب الغزو الفكري
ص ٤٥ — ٧٤ .

الفصل الثالث

القهر السياسى .. يصحب الغزو الفكرى ويدعمه

تقدمة :

٢١ — نعى بالقهر السياسى .. ذلك التسلط المدعوم بالقوة من قبل السلطة السياسية — شرعية كانت أم غير شرعية .

وقد بدا ذلك القهر واضحا إبان الحروب الصليبية التى صحبت الاستشراق أو صحبتها الاستشراق ، والتى خلفت من بعدها التبشير .

كذلك بدا واضحا ذلك القهر إبان الغزو العسكرى للعالم الإسلامى الذى تبع الحروب الصليبية بوضع قرون ... والذى استمر فى العالم الإسلامى عدة قرون كذلك ... يرعى التبشير ويدعمه ، كما يرعى الاستشراق ويدعمه ، ويبدو التعاون بينهما واضحا فى عدة كتابات ، ومن تبعية المستشرقين وأكثر المبشرين لوزارات الخارجية المعادية .

هذا وذاك ... كتب عنه الكتاب . بيد أن مرحلة جديدة ... لم يكتب عنها — فى ظننا — إلا القليل وهى أخطر هذه المراحل لما تتسم به من الاستخفاء تحت أسماء المسلمين ، وتحت شعارات وطنية وأحيانا إسلامية ، ونشير — بمشعة الله — إلى المرحلتين الأوليين بإيجاز شديد ثم إلى المرحلة الأخيرة ببعض من التفصيل .

أولا : مرحلة الحروب الصليبية :—

٢٢ — استمرت الحروب الصليبية قرنان ...

ولسنا نسجل تاريخنا ، ولكننا نستخلص من وقائع التاريخ حقيقة .. إن الهدف وراء تلك الحروب كان هدفا صليبيا واضحا .. وذلك ما يكشف عنه :—

١ (دعوة البابوات إلى هذا الحروب ، ومشاركتهم فيها : فإن المؤرخين يسجلون أن أول من دعا إلى هذه الحروب كان البابا سلفستر الثاني عام ١٠٠٢ م ، ثم تلاه البابا خريغوريوس عام ١٠٧٥ م ، وقد قامت الحروب بعد ذلك بعشرين عاما (١٠٩٧ م) .

وقد قاد بعض أولئك البابوات بعض هذه الحروب ، وشارك في أكثرها « رجال الدين المسيحي

(١) وشارك كتاب النصارى ومفكروهم في نفث روح الصليبية في هذه الحملات .

٢) ما كان يحدث في هذه الحروب .. من إبادة للمسلمين ، بطريقة تنم عن الحقد ، ولا يقتضيها مجرد الفتح ..

— فإن التاريخ يسجل أن الحملة الصليبية التى دخلت بيت المقدس ١٥ يوليو ١٠٩٩ م — (٢ رمضان ٤٩٣ هـ) وبعد أن انتهى إليها فتح البلدة .. راحت فانتهكت حرمة المسجد الحرام ... فى الشهر الحرام ... لتسيل الدم الحرام انها را داخل المسجد ... حتى أن مؤرخيهم قالوا : لقد غاصت الخيل إلى صدورها فى دماء المسلمين (١١) حيث قتلوا ٧٠ ألف مسلم^(٢) ، ولم يبق على أرض الأندلس إلا قتيل أو جريح أو مرتد عن دينه بعد هذه الفتنة الفظيعة ... ولم ينج من الموت هربا إلا القليل النادر .

٣) ما صرح به البعض منهم اعترافا بهذه الحقيقة ، فقد قال أحدهم « لقد خاب الصليبيون فى انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى .. والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة « القدس » بقدر ما كانت لتدمير الإسلام .

(١) راجع أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ص ١٦ .

(٢) جاردنر (عن التبشير والاستعمار فى البلاد العربية Gairdner ص ١٥ — د / فروخ والخالدى ، دلرشر Rither المكتبة العصرية — بيروت) .

راجع كذلك د. على عبد الحليم محمود فى بحث قيم مقدم المؤتمر الفقه الإسلامى عام ١٣٩٦ هـ .

٤) ما يصرح به القرآن — وهو عندنا صادق — عن أهداف الغزو الصليبي : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾^(١) ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾^(٢) .

٢٣ — ومن ثم .. فإننا وإن كنا لانرفض الهدف الاقتصادي من وراء بعض هذه الحروب .. إلا أننا لانجعله في المقام الأول كما يقع في ذلك الكثير من المؤرخين والكتاب .

ومن ناحية أخرى نسجل ملاحظة البعض^(٣) عن التعاون اليهودي النصراني في هذه الحروب .. الأمر الذي لانستبعده فيما سبق حيث كشف لنا القرآن الكريم عن طبيعة اليهود ﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا ﴾^(٤) ، وحيث أكد التاريخ والواقع هذه الطبيعة ، كما أكد التعاون الحديث بين الصليبية والصهيونية احتمالات التعاون القديم .

٢٤ — كذلك نشير إلى أن هذه الحروب الصليبية لم ترتد إلا بعد هزيمتها النكراء التي تمثلت مع الحملة التاسعة في أسر قائدها لويس التاسع ملك فرنسا في دار ابن لقمان بالمنصورة « في مصر » وبقيائه في الأسر فترة ... الأمر الذي نبه معه بعد إطلاقه إلى عدم جدوى الصدام العسكري مع المسلمين ، ونادى معه بالغزو الفكري لهم في عقيدتهم وأخلاقهم وأفكارهم .

ثانيا : مرحلة الاحتلال العسكري للبلاد الإسلامية :—

٢٥ — باتت أوروبا تجتث هزيمتها العسكرية في الحروب الصليبية بضعة قرون ... لكنها كانت تمارس فيها الغزو الفكري على الصورة التي أشرنا إليها ، ثم عادت مع بداية القرن السابع عشر إلى التفكير العسكري كقوة ضاغطة وحامية وداعمة لذلك الغزو الفكري ثم لتحقيق أهداف اقتصادية واضحة ... ظهرت في نزيف المواد الاقتصادية من البلاد الإسلامية وغيرها ... إلا بلاد الغرب .

(١) البقرة آية ١٢٠ .

(٢) البقرة آية ٢١٧ .

(٣) أشار إلى ذلك وليام غاي كار — في كتابه « أحجار على رقعة الشطرنج » .

(٤) المائدة آية ٦٤ .

٢٦ — وقد شهد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ذروة هذا الغزو العسكرى على النحو التالى اقتساما بين الدولتين الأعظم « فى ذلك الحين » فرنسا وإنجلترا :

| فرنسا | إنجلترا |
|---|---------|
| احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ م (١٢٤٦ هـ) احتلال الهند عام ١٨٥٧ م (١٢٧٤ هـ) | |
| احتلال تونس عام ١٨٨١ م (١٢٩٩ هـ) احتلال مصر عام ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) | |
| احتلال مراكش عام ١٩١٢ م (١٣٣٠ هـ) احتلال العراق ١٩١٤ م (١٣٣٢ هـ) | |
| احتلال الشام عام ١٩٢٠ م (١٣٣٨ هـ) احتلال فلسطين ^(١) ١٩١٨ م (١٣٣٧ هـ) | |

وقبلها كانت غارات الأسطول البرتغالى على السواحل الإسلامية ، وأعقبها فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى استيلاء هولندا على جزر الهند الشرقية .

٢٧ — ولم ينبج من الاحتلال العسكرى فى العالم الإسلامى فى هذه الفترة إلا بلدان هما الجزيرة العربية ، وأفغانستان .

أما الأولى ... فأغلب ظنى أنها حماية ربانية للحرمين الشريفين ، فضلا عن عدم اكتشاف أية موارد « اقتصادية » فى الجزيرة العربية فى ذلك الحين .

وأما الثانية ... فقد كانت لبسالة الشعب الأفغانى ، وتكسر جيوش الاحتلال على رماح المقاومة الإسلامية أكثر من مرة فى ١٨٣٨ — ١٨٤٨ م

١٨٧٨ — ١٨٨١ م ١٩١٩ — ١٩٢١ م

كان نصر الله للأفغان المجاهدين ضد المحاولات الإنجليزية لاحتلال أراضيهم صاددا لهم عن هذه المحاولة مرة أخرى ... ولم يسقط فى هذا الشرك إلا « الدب الروسى الغيبى » فى الفترة الأخيرة .

(١) وقد تحلل ذلك الاتفاق الودى الذى جرى بين الدولتين الأعظم فى ذلك الحين (فرنسا وإنجلترا) عام ١٩٠٥ م والذى اتفقا بمقتضاه على توزيع أسلاب العالم الإسلامى على النحو الذى نراه فى المتن II وهو يذكرنا بالوفاق الذى جرى حديثا (فى الستينات) بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى II ثم يزعمون أنهم يساعدون على تحرير الشعوب II .

٢٨ — وقد صحب التبشير والاستشراق ذلك الغزو العسكرى .: وبقي مابقى الاحتلال بل وبعد أن رحل الاحتلال ، على ماسنشير بمشيئة الله .

٢٩ — كذلك ظهر « الاستغلال الاقتصادى » واضحا إبان فترات الاحتلال العسكرى .. بما يشير إلى بروز ذلك الهدف كأحد الأهداف الرئيسية ..

وبدا أن العالم الإسلامى صار .. مجرد مزرعة كبيرة تدر الخيرات على أبناء الحضارة الأوربية الحديثة وتدر معها « المواد الخام » اللازمة للصناعة الغربية وللتقدم « التكنولوجى » .

. كذلك بدا العالم الإسلامى « سوقا استهلاكية » رائجة لتصريف البضائع الغربية ولتحقيق أفحش الكسب منها .

٣٠ — وأخيراً .. كانت ضربة إلغاء الخلافة الإسلامية إبان ذلك الاحتلال العسكرى البغيض لأطراف العالم الإسلامى . وهى مانفرد لها كلمة رغم دخولها فى هذه الفترة الثانية .

إسقاط الخلافة الإسلامية

٣١ — مرت مأساة إسقاط الخلافة الإسلامية فى رأينا بمراحل ثلاثة :—

الأولى : وهى المعاصرة لفترة الغزو الإسلامى الذى كانت قمته فتح الأندلس ثم فتح القسطنطينية .. وفى الفترة التالية للفتح الأخير كانت اجتماعات الساسة فى أوربا لبحث « المسألة الشرقية » تعنى محاولة الوصول إلى حل « لوقف الزحف الإسلامى » على قلب أوربا .

الثانية : وكانت فى فترة انحسار الفتح الإسلامى وبداية تضعضع دولة الخلافة وكان بحث « المسألة الشرقية » يتجه إلى كيفية تقطيع أوصال دولة الخلافة وإضعاف كيائها ، وقد سلك فى سبيل ذلك مسالك عدة :

١ — احتلال أراضي تابعة لدولة الخلافة ، وقد أشرنا إلى تواريخ وأسماء البلاد الإسلامية التى تم احتلالها عسكريا .

٢ — إشاعة الانحلال وما يتبعه من غزو عقدي واجتماعي وفكري ، وإلى هذا تشير واقعة احتلال الشام إذ كان مع البوارج الزاحفة صوب شواطئ الشام بارجة تحمل « مومسات »^(١) وقد سئل القائد العسكري للحملة ، فأجاب أن أثر تلك البوارج سيزول « مشيرا إلى البوارج الحربية » أما أثر هذه البارجة فلن يزول .

٣ — إشاعة العصية القومية داخل دولة الخلافة ، بإشاعة القومية الطورانية داخل تركيا ، وقد تولى كبرها حزب الاتحاد والترقي ، وإشاعة القومية العربية في البلاد العربية وقد تولى كبرها في أكثر الأماكن أشخاص ينتمون إلى غير عقيدة المسلمين .. ألقوا أحزابا تحمل هذا الفكر .^(٢)

الثالثة : فترة الإجهاز على دولة الخلافة :

وقد سبق ذلك إعداد « البطل الذي سيقوم بهذه المهمة حتى تتقبل الجماهير فعلته ، كما سبقها احتلال أجزاء من تركيا بعد استدراجها إلى الحرب العالمية الأولى حليفة لألمانيا(١) وسبقها أخيرا إعداد سياسى خارجى في اجتماعات لبحث « المسألة الشرقية » للإجهاز على « الرجل المريض » يقصدون دولة الخلافة ، ثم لتوزيع أسلابه وميراثه . وفي يوم أسود كسواد الليل . مظلم كظلامه .. أعلن .. البطل « مصطفى كمال أتاتورك » عن إلغاء الخلافة الإسلامية فقطع الشجرة أحد أعضائها كما كانت الوصية .

وكانت الفجيرة قاسية على قلوب المسلمين .. ذرفوا معها الدموع ، وحاولوا أن يبدلوا الدماء فلم يستطيعوا .. وقام القهر السياسى الداخلى في تركيا متمثلا في حملات من القمع الدموى ، وقام قهر الاحتلال العسكرى في سائر البلاد الإسلامية ، وبخاصة في مصر والهند .. حائلا دون تحرك إيجابى لإنقاذ الخلافة أو

(١) إسم للساقطات اللأى يمارسن فاحشة « البغاء » .

(٢) نذكر على سبيل المثال أسماء : ميشيل عفلق (زعيم حزب البعث العربى الاشتراكى) ، انطون سعادة (زعيم القوميين السوريين) ، جورج حبش ، قسطنطين زريق .. وقد تبعهم جمال عبد الناصر وكان أكبرهم دعاية للقومية العربية وتضليلا لشعبها ، ولئن حمل الأخير اسما إسلاميا فلقد كان أشدهم على الله ورسوله ودينه !

إعلانها في مكان آخر (١).

٣٢ — و يبقى بعد ذلك السؤال ..

هل كان إلغاء الخلافة داخليا ؟ أم كان جزءا من مخطط معاد للإسلام ؟ والإجابة على ذلك تقتضى تقديم الوثائق ، وقد يتم في وقت ما العثور على مثل هذه الوثائق ، لكننا نقدم « قرائن » إذا تجمعت قوى بعضها بعضا ، فكان لها من أثر الإقناع ما ليس لواحدة منها متفردة . (٢)

نقول بعون الله .

(١) في عام ١٩٠١ م كتب العالم الروسى سرجى نيلوس بعد اطلاع على « بروتوكولات حكماء صهيون » : « إن الأفعى اليهودية في طريقها إلى فلسطين لا بد أن تمر بالأستانة » وبعد ثلاثة وعشرين عاما مرت الأفعى بالأستانة ، وبعد أربع وعشرين عام أخرى مرت بفلسطين .
أكانت صدفة ... أم كانت تخطيطا وتدييرا وتنفيذا ؟.

(٢) قبل عزل السلطان عبد الحميد بفترة بسيطة تقدم زعيم اليهود فى سالونيك المدعو قرصو « زعيم يهود الدونمة » بطلب إلى السلطان عبد الحميد لمنح اليهود بعض الامتيازات على أرض فلسطين ،، وفطن السلطان المسلم ورفض .. وقيل إنه بصق فى وجه قرصو ، ويومها قال له قرصو : « ستعلم كم يكلفك هذا الرفض » .

وبعدها بفترة قصيرة كان أحد ثلاثة يقدمون إلى الخليفة خطاب العزل .

(١) فى مصر دعا علماء الأزهر إلى مؤتمر لمناقشة قضية « إلغاء الخلافة » واستنكروا ذلك ، وأعلنوا عدم شرعية قرار إلغاء الخلافة ، ودعوا إلى مؤتمر ثان لإقامة الخلافة ومبايعة خليفة جديد ... وانهقد المؤتمر الثانى لينفض بغير قرارات بعد تدخل الاحتلال العسكرى الجابم على أرض مصر .

وفى الهند — جاء أبناء الهند إلى تركيا يحملون إلى سفاحها هدايا « المال » وغيو ويرجونه إبقاء الخلافة مع استعدادهم لمبايعة خليفته للمسلمين ، لكن الصفقة كانت قد تمت ، فأبى طاغية تركيا الرجوع فيها (راجع د / محمد محمد حسين — رحمه الله — : الاتجاهات الوطنية فى أدبنا المعاصر) .

(٢) يقول الإمام الشاطبى فى الموافقات ج ١ : « إن للاجتماع ما ليس للفرق » استدلالا على أن مجموعة أدلة ظنية ترتفع بالدليل إلى درجة القطع واليقين .

- ٣) وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وشروط كبروزون عام ١٩٢٤ لاستقلال تركيا :—
- أ — قطع كل صلة بالإسلام .
 - ب — إلغاء الخلافة .
 - ج — إخراج أنصار الخلافة .
 - د — اتخاذ دستور علماني .^(١)

٤) دراسة تاريخ حياة مصطفى كمال واتصالاته المشبوهة ، وما فعله عندما أحس بقرب منيته إذ أرسل إلى سفير بريطانيا في تركيا يعرض عليه أن يستعمل سلطته الدستورية في اختيار خلفه ، وذلك بترشيح ممثل « بريطانيا العظمى » خليفة له في حكم تركيا بعد موته ، باعتبار ما أحسه فيه من « أمانة » لم يستشعرها في الآخرين !

٥) استمرار حرب فكرة الخلافة ، ومن يعتنق إعادتها حتى اليوم ، وتعرض الجماعات والتجمعات الإسلامية التي استوعب فكرها هذه الفكرة — تعرضها للإبادة على أيدي الحكام العسكريين للبلاد — الإسلامية .

وقيام عدد كبير من الكتاب أصحاب « الفكر المشبوه » و « الاتصالات » « المشبوهة » قيامهم بمحاربة فكرة الخلافة ، ونقل فكرة فصل الدين عن الدولة رغم تعارضها مع الفكر الإسلامى الأصيل ، ومع تاريخ المسلمين الناصع ، البعيد في مجموعته عن التعصب والانحراف .

وسوف نولى هذه النقطة مزيدا من التوضيح عند الحديث عن المرحلة الأخيرة

في الحديث عن العلمانية بمشيئة الله .

(١) راجع تفصيل ذلك في أساليب الغزو الفكرى — المرجع السابق ص ٣٧ — ٤٣ والمراجع المشار إليها .
(٢) راجع « الرجل الصنم » لمؤلف تركى (لم يذكر اسمه خوفا من تطبيق النص الذى يعاقب على التعريض بـ مصطفى كمال حتى بعد هلاكه بخمسين عاما ، وهو نص لا يوجد له مثيل في دول العالم (١١) — نقلا عن جريدة الأهرام التي نقلتها عن Sunday Times ١٥ / ٢ / ١٩٦٨ (الموافق ١٦ ذى القعدة ١٣٨٧ هـ) تحت عنوان كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية .

ثالثا : مرحلة الانقلابات العسكرية :-

٣٣ — وهي تبدأ زمنيا مع منتصف القرن العشرين «تقريبا» ، وتبدأ حَدثيا « اشتقاقا من الحَدَث » مع ظاهرتين هامتين .
أولهما : شيوع « موضة » الانقلابات العسكرية في المنطقة .
ثانيهما : تخلى كل من بريطانيا وفرنسا عن مستعمراتهما ، لسوء أحوالهما الاقتصادية وطلب الأولى إلى الولايات المتحدة أن ترث النفوذين البريطانى والفرنسى في المنطقة .^(١)

٣٤ — ويظهر على هذه الفترة الملامح الآتية :

أولا : اختفاء الاحتلال العسكرى الأجنبي : وقد كان هذا الاختفاء راجعا في بعض الأحيان إلى أسباب اقتصادية ، لكنه في رأينا راجع في الأرجح إلى وجود البديل الذى يوفر الأنفس والأموال التى كان يقتضيها بقاء الاحتلال الأجنبي — وكثيرا مايقترن اختفاء الاحتلال بهالة من البطولة تضيف على النظام الجديد . بيد أن لنا أن نسجل على هذه القاعدة بعض الاستثناءات .

أ) حدوث بعض ألوان الغزو العسكرى الخارجى ، مثل ماحدث للبنان عام ١٩٥٨ من نزول مشاة الأسطول السادس الأمريكى ، وماحدث لها عام ١٩٨٣ من غزو « متعدد الجنسيات » سبقه عدوان يهودى عسكرى آثم — ومثل غزو جزيرة جرينادا من قبل القوات الأمريكية عام ١٩٨٣ .

ب) حدوث بعض الحروب المحلية كوسائل ضغط لحساب القوى الدولية العظمى ، مثل حرب إيران والعراق الدائرة .
وقبلها حرب الهند مع باكستان الذى نجم عنها فصل باكستان إلى دولتين ، ومثل التدخل السورى الليبى ضد قوات منظمة فلسطين في لبنان عام ١٩٨٣ .

ج) استخدام المنظمات الدولية غطاءا للتدخل العسكرى ، ومحاولة فرض الحلول

(١) الفصل الأول من الباب الأول (تأثير العلمانية في الأفراد كوك ، مصطفى كمال) أساليب الغزو الفكرى — للمؤلف بالاشتراك .

عن طريق قوات . البوليس الدولى « أو القوات المتعددة الجنسيات الخاضعة للأمم المتحدة. إنلخ وقد تكرر ذلك إما بناء على طلب أحد الأطراف ، أو بناء على اقتراح دولى تتبناه الأمم المتحدة أو مجلس الأمن .

ثانيا : ظهور الانقلابات العسكرية وانتشارها ، وكان أول انقلاب عسكرى ابتليت به المنطقة هو عام ١٩٠٨ فى تركيا ، وكان أول انقلاب بعد المرحلة الجديدة هو انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا عام ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م ثم تلتها سلسلة انقلابات كان أهمها وأخطرهما الانقلاب العسكرى فى مصر عام ١٩٥٢ م (١٣٧٣ هـ) ويقترن الانقلاب العسكرى إما بإزالة لنظام سلطت الأضواء على عيوبه حتى كشفت ومن ثم يبدو الانقلاب إنقاذا للبلاد من الفساد ، والخراب ، والطغيان .. إنلخ وإما بإظهار مواهب صاحبه ... وبطولته وزعامته ... وحرصه على مصالح الشعب وإن عجزوا عن البطولة الخارجية بإخراج مستعمر أو قوات احتلال ، فإنه يضىفى عليه بطولات داخلية أخرى باعتباره زعيم تحرر ... إنلخ .

وكثيرا ما يكون الانقلابات ... مجهولى الهوية ... وأحيانا مجهولى النسب مما يساعد على تقبلهم للدور الذى يطلب إليهم بمالا يتقبله الأصلاء « حتى ولو لم يكونوا مسلمين » .

ثالثا : يلاحظ على هذه الانقلابات بصفة خاصة :

أ) أنها أدت من ناحية الغزو الفكرى للعالم الإسلامى « خاصة » أضعاف مآدته جيوش الاحتلال الأجنبية ، إذ أعطت القدوة السيئة من قاداتها ، فضلا عن أنها مكنت للغزو الفكرى خلال وسائل الإعلام وبرامج التعليم ، وأنظمة الحكم ..

ب) أنها مكنت لدولة اليهود من القيام ، ثم مكنتها من التوسع « خلال حربين عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ » ، وأخيرا أضفت عليها الشرعية بعقد الصلح معها وهو أمر كانت تهدف له دولة اليهود خلال الثلاثين عاما المنصرمة ولم يكن هناك من يتشجع للإقدام عليه .

ج) أنها حاربت الحركات الإسلامية بأقسى مما حاربها به جيوش الاحتلال الأجنبية

مع استخدام تمثيلات محاولة الاغتيال ، أو التآمر أو الاتصال بدولة أجنبية ... و « طبخ » القضايا ، أو تلفيقها ، والإلقاء بزعماء الحركات الإسلامية وأبنائها في السجون والمعتقلات مع ما يتعرضون له من تعذيب وتقتيل وتشريد .^(١)

٣٥ — وليس معنى ذلك أننا نركى « الأنظمة الأخرى » إنها تقوم بدورها ولكن على استحياء من ناحية ، وبغلظة أخف من الأنظمة العسكرية من ناحية أخرى .

ولقد نصحت بعض هذه الأنظمة بالتهدئة من « التحديث » مخافة ردود فعل عنيفة قد تفوت الغرض المطلوب .

ومع ذلك فلا تزال هذه الأنظمة عرضة للتغيير إلى أنظمة عسكرية عندما يتهبأ الجبو للأخيرة. للانقضااض .



(١) أفضلنا الحديث في (أساليب الغزو الفكرى) ، (دعاة لابغاة) ، (عندما يحكم الطغاة) .. للمؤلف . وراجع مذكرات الداعية الإسلامى الكبير — عمر التلمسانى — منشورة بالشرق الأوسط وى مجلة (جويش كردنيكل فى الأسبوع الأول من كانون الثانى فبراير ١٩٧٩ م) قالت فى مقالها الافتتاحى تحت عنوان « الجهاد فى سبيل الله » إن على خبراء الاستراتيجية السياسية فى بلدان الحضارة الغربية وفى بلدان المعسكر الشيوعى أن يتبها جيدا للأخطار التى تمثلها الحركات الإسلامىة المتعصبة لجماعات الإخوان المسلمون المنتشرة فى كل البلدان العربية ومعظم البلدان الإسلامىة ، والتى مهدف إلى إحياء نظرية الجهاد فى سبيل الله من جديد ، والتى تكافح بشدة لإقناع العرب والمسلمين بالعودة إلى تعاليم الإسلام من جديد . نشرت وسائل الإعلام المختلفة — تصريحات لوزير الخارجية الأمريكى الكسندر هيج فى ١٧ / ٢ / ١٩٨٣ يقول فيه : « إن القضية الملحة والأكثر خطورة هى نتائج التطرف الإسلامى الذى يسود الدول العربية ، ويؤثر على استقلالها ، وإذا خرج عن السيطرة فإنه سيشتر بمصالح الدول الكبرى أيضا » ... ولاندرى بمنطق أولئك المتحضرين .. ألا يعد ذلك تدخلا فى الشؤون الداخلىة لدولة ذات سيادة .. الأمر الذى تمنعه المواثيق الدولية ١٩ .

الباب الأول
الاتجاه الفكري الغربي

- العلمانية - الديمقراطية - الرأسمالية - الوجودية

الباب الأول الاتجاه الفكرى الغربى

تمهيد :

٣٦ — نتيجة التكوين البشرى من مزيج روحى ومادى ..

ونتيجة لضعف أثر « الدين » فى النفوس .. الذى كان يمكن أن يرفع من الجانب الروحى .. ونتيجة لظروف عديدة سوف نشير إليها فيما بعد . (١)

* * المنحدر الفكر الغربى والشرق — بصفة عامة — إلى الصبغة المادية .

— أثر فيه فكريا « فلسفيا » أمثال ديكرات واضع منهج البحث الاستنباطى ، وفرنسيس بيكون صاحب المنهج التجريبي ، وكومت مؤسس المذهب الوضعى .
— وظهر نتيجة ذلك فى أمريكا مذهب « البراجماتزم » أو المذهب الوضعى .
— وأسهم « فيورباخ » بماديته ، « وهيجل » بمجلدته فى ظهور « الفكر

الماركسى » وصار من شعاراته : لا إله والحياة مادة .

— وكان الفكر « اليهودى » استمدادا من مصادره المحرفة « التوراة ، التلمود البروتوكولات » قائما كذلك على المادة ، « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » ، وفى ظننا أنه سابق على الفكرين السابقين ، ومن ثم فلايستبعد تأثيو عليهما ، فضلا عن الدلائل والقرائن التى تشير إلى هذا التأثير .

* * واستطاع البعض أن يقسم علميا التفكير المادى إلى إتجاهين :

— الاتجاه الميكانيكى **Mechanistic Materialism** وهو اتجاه مادى

صرف لايعترف بمكان « للروح » أو تأثير لها على الجسم .

— الاتجاه الديالكتيكي **DialecticMaterialism** ، وهو قائم على المادة وإن

اعترف بوجود العقل والروح فإنه يجعل لهما التبعية للمادة (٢)

* * ويظهر للباحث المدقق — بغض النظر عن تطرف البعض فى التعليل — أن ثمة رابط بين شيوع الفكر المادى فى الغرب ، وشيوعه فى الشرق الشيوعى ، ووجوده فى

(١) سوف نشير إليها بمشيئة الله عند حديثنا عن العلمانية .

(٢) الفكر الإسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى — د / محمد البهى — رحمه الله ص ٨٦

العقل اليهودى .

ولقد يذهب البعض إلى القول بأن اليهود وراء كل شيء ..^(١)
ولقد يذهب فريق آخر إلى النقيض من ذلك ..

لكننا نقول بعون الله .. إن هذا التشابه يعنى ثمة رابط ، وإن سبق اليهود في الفكر المادى يعنى ثمة تأثير .. لكننا — علمياً — لانذهب إلى أبعد من ذلك ، حتى لانقع في التهويل^(٢) فضلا عن رفضنا « التهوين » .^(٣)

٣٧ — قد يجمع البعض الحديث حول هذه « المذاهب » الفكرية المختلفة : العلمانية — الرأسمالية — الديمقراطية — الوجودية ، دون ماإشارة إلى الجامع بينها .

وقد يدرسها البعض الآخر متفرقة دون ماجمع بينها ... فيتحدثون عن العلمانية « كمذهب فكرى ، وعن الرأسمالية كمذهب اقتصادى ، وعن الديمقراطية كمذهب سياسى ، وعن الوجودية كمذهب اجتماعى ... فيبدو كل مذهب مستقلا عن الآخر !

لكننا نرى أن الجامع بينها :

١ — أنها نشأت في محضن واحد .

(١) يذهب هؤلاء — وهم أكثر المفكرين المستمسكين بالإسلام — إلى أن اليهود وراء الفكر الشيوعى ، والثورة الشيوعية ، كما أنهم وراء الفكر الغربى المادى ، ووراء الثورات التى نجحت نتيجته له ، ويقدمون البراهين من نصوص البروتوكولات وغيرها من مصادر الفكر اليهودى ...
(٢) فى هذا المعنى يقول الأستاذ أنور الجندى فى كتابه « سقوط العلمانية » .. يتبين تماما أن الدعوة العلمانية هى نتاج يهودى تلمودى أصيل كان له أبعد الأثر فى الفكر الغربى (ص ١٧ — الناشر : دار الكتاب اللبنانى . بيروت) .

(٣) قريبا من هذه النظرة المتعلقة لدور اليهود ، وجدنا الأستاذ محمد قطب فى أكثر من موضع يشير إلى هذا المعنى « هناك واثت الفرصة المرتقبة منذ قرون ، لا لأن اليهود دبروا الأحداث كما يزعمون فى البروتوكولات .. ولا لأن تراكم التخطيط عبر القرون قد آتى ثماره آخر الأمر كما يرى أمثال وليم كار فى كتاب الأحجار ، ولكن لأن أوربا هى التى استحمرت نفسها لشعب الله المختار حين فرت من الدين كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » ص ٨٥ — المرجع السابق ص ٨٣ ، وص ٨٧ وصفحات أخرى .

٢ — أنها صدّرت أو صدّرت عن هذا المحضن الواحد لتعتنقها مساحة من الأرض واسعة !

٣ — أنها في حقيقتها .. متفرعة عن نبع واحد .

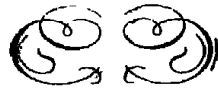
فالعلمانية تعنى فصل الدين عن الدولة ، وقيام الأخيرة على أساس مادي .
والرأسمالية تعنى مذهباً اقتصادياً يقوم على احترام الملكية الفردية ، ويطلق الحرية للمادة لتتفاعل وتتفاعل اقتصادياً وفقاً لقوانين العرض والطلب .

والديمقراطية : مذهب سياسى يعنى أن كل شيء بالشعب كما يدعون .

والوجودية : مذهب اجتماعى مؤسس على إبراز قيمة الوجود الفردى .

ومع شيء من التعمق فى هذه المذاهب نلمس أنها جميعاً تستند إلى أساس مادي ، وهى جميعاً مردودة إلى : مايسمى بالمذهب الفردى Individualisme وذلك مقابل المذهب الجماعى Socialism وكلاهما قائم على أساس مادي .
ونتحدث بتفصيل عن هذه المذاهب .. لاباعتبار استقلال كل منها عن الآخر

ولكن باعتبارها وحدة واحدة تشكل فى الواقع « العقد » الفكرى للغرب الحديث ، ثم لنبين تأثيرها المباشر أو غير المباشر العمدى والعضوى فى تشكيل « الفكر الإسلامى الحديث » إن صح التعبير .. أو بعبارة أخرى أصبح : عدوانها على الفكر الإسلامى الأصيل .



الفصل الأول العلمانية

٣٨ — العلمانية .. أسبق على الديمقراطية والوجودية .. وقد تكون مصاحبة للرأسمالية .

ذاك ما يكشف عنه تاريخ نشأتها ، وهي تشكل « العقل الغربي الحديث » منذ قدر له أن ينتصر في مجال الصراع مع الفكر الديني السابق عليها .

وهي وإن انتقلت إلى العقل « الشرقى » أو « الإسلامى » عمدا أو عفوا فقد بقيت في صياغتها وأصالتها غربية ، وهي كذلك غريبة ، فهي بمثابة « عضو غريب » يزرع في جسد حى آخر .. والجسد وإن قاوم « العضو الغريب » إلا أنه مع الزمن من ناحية ومع الإضعاف المتعمد المتوالى لعنصر المقاومة ، فإن الجسد يستسلم أخيرا للعضو الغريب ، ويقبل التفاعل والتعامل معه ^(١) ، ولقد يكون « علميا » أن نبدأ بالتعريف .. لكننا نجد الأولى علميا أن نتكلم عن النشأة .. فهي التى ستحدد التعريف ومن ثم فقد رأينا أن نتناول المباحث التالية بإذن الله :

- المبحث الأول : ظروف نشأة العلمانية .
- المبحث الثانى : ظروف انتقالها إلى الشرق الإسلامى .
- المبحث الثالث : تعريفها وترجمتها .
- المبحث الرابع : مجالات عملها أو تطبيقها .

(١) من الخواص « البيولوجية » أن الجسد يرفض زرع عضو غريب فيه ، لذا يلجأ « الطب » إلى وسائل عديدة لإضعاف مقاومة الجسد لتقبل العضو الجديد .. ا وهو ما يحدث من الغزو الفكرى للعالم الإسلامى !! .

« المبحث الأول » ظروف نشأة العلمانية

توطئة: —

٣٩ — « لكل فعل رد فعل مساو له في القوة ومضاد له في الاتجاه » .
هذا القانون يعمل في مجال الطبيعيات .. (١) وهو موضوع أصلا لهذا المجال ،
لكننا كان لنا شرف اكتشافه كذلك في مجال « القيم والمبادئ » ! وهو قد يعمل في
المجال الأخير — في رأينا — بقوة أشد تؤدي إلى التغيير ، وقد كان لنا شرف تطبيقه
كذلك في مجال الحركات الإسلامية (٢) . وإن رأينا تعديله في هذا المجال ، أى :
« مجال الحركات الإسلامية » إلى « لكل فعل رد فعل أكثر منه قوة وأكثر إسراعاً ضد
الاتجاه ، ويؤكد قول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ بَلْ تَقْدِفُ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ
زَاهِقٌ ﴾ (٤) .

وسندنا في ذلك الواقع الذى يصير النظريات والافتراضات إلى حقائق
مسلمة (٥) وانتصار « الأصلح » مبدأ لا يمكن تصوره إلا إذا كان أكثر قوة وأكثر

(١) من تطبيقاته في هذا المجال : في المجال الحيوى مسارعة كرات الدم البيضاء إلى عملية دفاعية مضادة لزاء أى
غزو جراثيمى .. ومن تطبيقاته القرآنية ﴿ جزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضاً
كذلك يضرب الله الحق والباطل » .

(٢) راجع مؤلفاتنا السابقة .. وفيها حذرنا القائمى على الأمور من استمرار اضطهاد الحركات الإسلامية .. لما
سيؤدى إليه من « انفجار » ثورات إسلامية تطيح بالأوضاع القديمة ، وقد صدقنا ربنا في مجالات ، وما زلنا في
انتظار المجالات الأخرى .

(٣) الرعد آية ١٧ .

(٤) الأنبياء آية ١٨ .

(٥) وإلى هذا المعنى يصل أحد المستشرقين حين يقول : « إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو
إلى الدهشة ، فهى تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها
(وجهة الإسلام د. جب ص ٣٦٥) . فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة وإلا ظهور صلاح الدين
من جديد (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر — ج ٢ ص ٢٢٠) .

إسراعاً في الاتجاه .. قد يكون ظاهره أنه أضعف قوة ، وأضعف سرعة .. لكن النتائج تؤكد غير ذلك ..

أما فهم الفرق بين الظاهر وبين النتيجة فإنها ترجع إلى عاملين :
أ) العامل الداخلي المعنوي .. الذي يجعل صاحب الحق أكثر استمساكاً ،
وأطول صبراً ، وأشد تضحياً !

ب) العامل الرباني .. وهو ماثون به ، وقد لا يؤمن به غيرنا ، من أن الله سبحانه يتولى عن « المؤمنين المعركة ويضمن لها النتائج » .. ﴿ وَمَا لِنَنْصُرَ إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(١) ، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٢)

٤٠ — تلك مقدمة رأيها لازمة ونحن نتحدث في مجال الأفكار والمبادئ لنصل منها إلى أن « الأفعال » Actions التي وقعت في أوروبا أحدثت « الردود » Reactions التي وقعت بعدها ... وكان من نتائجها « العلمانية » و « الشيوعية »^(٣) وغيرها من الأفكار ونبادر فنحذر أن يظن بأن هذه الردود كانت أفضل من الأفعال .. فكلاهما سيء .. لكن السيء إذا وقع أدى — في غير المجال الإسلامي — إلى الأسوأ .. وهذا ماوقع ..

لقد عاشت أوروبا ظروفًا « دينية » ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، سيئة في القرون الوسطى ، فلما أطل « عصر النهضة » كان الإفراز في مجال المبادئ « أسوأ » بغض النظر عن الحضارة المادية ، التي قد تبدو لأول وهلة نصراً أو انتصاراً !

ونحن نعرض — بإيجاز — إلى هذه الظروف لنصل إلى نشأة « العلمانية » :
أولاً : الظروف الدينية :—

٤١ — عاشت أوروبا فترة قاست فيها قهر الكنيسة وتسلسلها ، ونحن في هذا

(١) آل عمران ١٢٦ .

(٢) الأنفال آية ١٧ .

(٣) وكما يسميها البعض العلمانية المعتدلة والعلمانية المتطرفة ويقصدون بالأخيرة الشيوعية (رسالة د. زين الهادي — المرجع السابق) .

المجال — وحتى لانهم بشيء من التحيز — ننقل عن مفكرهم وكتابهم .

٤٢ — فأما الجانب الفكري — العقدي — فيكفى فيه :

أ — ما قيل بعد دخول شاوول المسيحية ، وبعد مؤتمر نيقية عام ٣١٨ م من أن الله أقانيم ثلاثة : الأب ، والابن ، والروح القدس ، وفي هذا يقول الأب بولس في كتابه « يسوع المسيح » :

« من الناس من يقولون لم ياترى إله واحد في ثلاثة أقانيم (صفات) ؟ أو ليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدر الله ؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله أحد فحسب ؟

ويمضى في تبرير ذلك « الشرك » بالله فيقول :

« ولكننا إذا اطلعنا على كنه الله « معاذ الله فإنه لاتدركه الأبصار » لايسعنا إلا القول بالتثليث ، إن الله محبة « يوحنا الأولى ٤ : ١٦ » ولايمكن إلا أن يكون محبة ، ليكون الله سعيدا (!) فالمحبة هى مصدر سعادة الله ، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور ، فهى إذ تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما (!) فيكون الله سعيدا ولا معنى لاله غير سعيد وإلا انتفت عنه الألوهية .

ولهذا ولد الله الابن (!!) منذ الأزل نتيجة لجه إياه ، ووهبه ذاته (!) ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وبادل الابن الأب هذه المحبة ، وثمره هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس ، هو الحب إذا يجعل

الله ثالثا وواحدا معا (!!!) .

ثم يمضى في التأكيد فيقول :

« ليس الله إذا كائنا تائها في الفضاء منعزلا في السماء ، لكنه أسرة (!) مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض منها على الكون براءته ، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفرض هذا التثليث III^(١)

(١) يسوع المسيح للأب بولس ، نقلا عن د. أحمد شلبى (المسيحية) ج ٢ ص ١٢٧ — ١٢٨ .

أى عقل سويّ يتقبل هذا الهراء .. ؟

وكيف يمكن للعقول تقبل ذلك بعد انتقال القيم الإسلامية الأصيلة عبر الأندلس وجزر البحر الأبيض ؟!

وكيف يمكن للعقول تقبل ذلك بعد انتقال « المذهب التجريسي » في المجال العلمي نقلا عن علماء المسلمين ؟!

(ب) فكرة الصلب والصليب : وهي التي قامت على :-

« أن من صفات الله العدل والرحمة ، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم (١) بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوه وطرد بها من الجنة ، واستحق هو وأبناؤه (١) البعد عن الله بسببها .. (١) وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ، ولم يكن من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيدته وقبوله أن يظهر في شكل الإنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطيئة البشر (١١)

والنص لا يصمد أمام الانتقاد :

— إذا كان آدم قد أخطأ .. فقد عوقب بالطرد من الجنة ، وهي ليست بالعقوبة الهينة « إن صح اعتبار خروجه من الجنة عقابا له ، وهو ليس كذلك » ، وإذا كان قد عوقب ... فلم تعاقب ذريته ؟! .. أى عدل في ذلك ؟ ، وهم يطبقون صفة الله « العدل » ؟!

ثم إذا كانت ذريته « فرضا جدليا » مخطئون كذلك فما ذنب عيسى عليه السلام وهو النبي الذي لم يخطيء ، أهذا عدل الإله ...

إن الله أنزل في كتابه ﴿ وأن لاتزرر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ (٢) ، ليترجمه رجال القانون إلى مبدأ « شخصية العقوبة » .. أى عقاب

(١) ثابت في كتابنا القرآن وهو الحق .. أن الله تاب على آدم عليه السلام وقبل توبته ﴿ فلتقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ ، ومع التسليم جدلا باستحقاقه للعقاب فقد تم ذلك بخروجه من الجنة ، من ثم ينهار أساس فكرة الصلب .

(٢) النجم آية ٣٨ — ٣٩ .

الشخص الذى يخطئ وعدم امتداد الخطأ إلى أحد غيره . إن الله « العدل » الذى أنزل ، ﴿ وإذ احكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ ^(١) لم يكن ليجازى عيسى عن ذنوب البشر .. إن هذا عين الظلم !

— وثمة خطر آخر .. إن البشر إذا أحسوا أن عيسى قد افتدى أخطاءهم بأن رضى بالصلب .. فلهم أن يفعلوا مايشاءون ، وأن يعيشوا فى الأرض فسادا .. فعيسى يحمل عنهم أوزارهم ! ألساء ما يحكمون !

— وأخيرا ..
(٢) قلناها لبعضهم

« إذا كان عيسى ابن الله .. وقد رضى الله بصلبه ، فإن الأمر لا يعدو أحد احتمالين :

إما أن يكون قد رضى ذلك — عن قدرة — فيكون بذلك إلهًا ظالما ، إذ يحمل برئيا أوزار المذنبين .. !

وإما أنه رضى ذلك — عن عجز — فيكون إلهًا عاجزا لا يصح له أن يتولى « منصب » الألوهية .. بتعبيركم ، تعالى الله عما تقولن علوا كبيرا !

جـ) غفران الذنوب :

فى عام ١٢١٥م صدر عن مجمع روما قرار خطير يعطى « البابا » حق غفران الذنوب ، استنادا — فيما نظن — إلى نص محرف ينسب إلى المسيح — عليه السلام — قوله إلى بطرس : « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ماتحلله على الأرض يكون محلولا فى السموات ^(٣) ، ويرد بعد هذا النص نص آخر يشكك فى صحة النص الأول إذ ينسب إلى المسيح قوله لبطرس : « فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى

(١) النساء اية ٥٨ .

(٢) فى الولايات المتحدة الأمريكية إبان زيارة لنا عام ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

(٣) إنجيل متى — الإصحاح ١٦ — من ١٩ — ٢٠ .

يا شيطان أنت معثرة لى ، لأنك لا تهتم بما لله (١) فكيف يعطى المسيح إلى شيطان مفاتيح ملكوت السموات؟! وهل يملك المسيح نفسه هذه المفاتيح ؟ .
﴿ قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ (٢) .

والغفران لا يتم إلا بطقوس :

منها : الجلوس على كرسى الاعتراف ، للإدلاء أمام القسيس أو من يعلوه باعترافات ... بلا تفرقة بين ذكر وأنثى ، وبلا اشتراط لانعدام الخلوة فى حالة الأنثى .

ومنها : إصدار صك بالمغفرة .. غالبا ما يدفع المذنب فى مقابلة شيئا من المال .. ، وقد اتخذت صكوك الغفران شكل التجارة فى بعض الفترات ، كما شكلت مصدرا للإثراء غير المشروع « لرجال الدين الكنسى » ، ويجرى الصك على النحو التالى :
« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا .. (يذكر اسم الطالب المغفرة) ويملك باستحقاق آلامه الكلية القدسية ، وأنا بالسلطان الرسول المعطى لى أحلك من

جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفضيحة ، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى وأمحو جميع أقدار الذنوب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرص ، وأرفع القصاصات التى تلزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا

(٣) إنجيل متى — الإصحاح ١٦ من ٢٣ — ٢٤ .

(٢) سورة المائدة آية « ١٧ — ١٨ » .

عند معموديتك ، حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل معه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدي إلى فردوس الروح وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه نعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس !!!^(١)

ومنها : إصدار قرارات الحرمان .. إذ من يملك المغفرة .. يملك الطرد « من رحمة الله » « بقرار الملائكة وحكم القديسين ، نحرم ونلعن ، ونصب دعاءنا على (باذوخ سبينوزا) بموافقة الطائفة المقدسة كلها ، وفي وجود الكتب المقدسة ذات الستائة والثلاثة عشر ناموسا المكتوبة بها نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة ، وليكن مغضوبا وملعوناً نهراً وليلاً وفي نومه وصبحه ، ملعوناً في ذهابه وإيابه ، وخروجه ودخوله ، نرجو الله أن لا يشمل به عفوه أبداً ، وأن ينزل عليه غضب الله وسخطه دائماً ويحمله جميع اللعنات المدونة في سفر الشريعة ونسأل الله أن يخلص أولى الطاعة منكم وينقذهم ، وأن لا يتحدث معه أحد بكلمة أو يتصل به كتابة ، وأن لا يقدم له أحد مساعدة أو معروفاً ، وأن لا يعيش معه أحد تحت سقف واحد ، وأن لا يقترب أحد منه على مسافة أربع أذرع ، وأن لا يقرأ أحد شيئاً جرى به قلمه ، أو أملاه لسانه » . (٢)

(١) أحمد شلبي « المسيحية » ج ٢ ص ٢٥٤ ، الاستاذ / محمد قطب ص ٦٣

(٢) هذا صك حرمان أحد الفلاسفة المسمى سبينوزا الذى خرج من تطبيق المنهج العقل على الكتاب المقدس إلى أنه ليس وحياً ، وقد حوكم أمام الكنيس اليهودى عام ١٧٥٦ م بتهمة المرطقة (الضلال الدينى) ، راجع د/ فتح الله المشعشع ص ١٩٢ — ١٩٣ قصة الفلسفة .

وكان من بين من عاقبتهم الكنيسة :

أ — إيبلاس — العالم الفلكى حيث أحرقت كتبه العلمية والجغرافية ، وسجن حتى الموت .

ب — مارتن لوثر (١٤٧٣ — ١٥٤٦) الذى انتقد صكوك الغفران ، وانتقد سلطان الكنيسة لكنه أفلت من عقاب الكنيسة .

ج — إسحاق نيوتن (١٦٤٢) وقد عوقب على اكتشافه قانون الجاذبية بإعتبار أنه « استبدل بعناية الله قوة الجاذبية ، وأنزل رب الخلق عن عرشه وسلبه عمله المباشر في خلق الكون على نحو ما تقرر الكتب المقدسة » .

د — كما تم إحراق العالم الإيطالى « جور دافورونو » عام ١٦٠٠ م لقوله بأن الأرض تدور حول الشمس .

هـ — من الملوك والأمراء — أمير تولوز بجنوب فرنسا ، وهنرى الرابع ملك إنجلترا الذى أصدر البابا قراراً بجرمانه من الجنه .. فركع أمام الفاتيكان في زمهرير الشتاء وقتاً طويلاً حتى عفا عنه البابا ... إلخ (قصة النزاع بين الدين والفلسفة .. ومراجع أخرى) .

٤٣ — فأما الجانب العملي .. فيكفى أن نقدم فيه :

أ — حياة الرهبة ، ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ... ﴾
وتمارس حياة الرهبة داخل الأديرة بالانقطاع عن الحياة العامة ، وبالامتناع عن
الزواج وتضم الراهبين والراهبات ، وكأى حياة تنافى الفطرة وتلغيها ، شهدت
الأديرة أحط ألوان الفسوق بما نمسك عنه . (١)

ب — عصمة البابوات : أعطى البابوات العصمة من الخطأ بقرار من مجمع
روما المنعقد عام ١٨٦٩ م وصار للبابا حق الطاعة العمياء ، على الرعايا واجب
الاتباع المطلق فإذا أضفنا إلى ذلك أن له حق تفسير الكتاب المقدس ، وأنه ليس
للاتباع أن يعملوا عقولهم فيما بين أيديهم أو فيما يصدر عن الكنيسة .
إذا عرفنا ذلك كله .. عرفنا إلى أى وضع انحطت الكنيسة وصادمت بعد
الفطرة العقول !

ج — محاكم التفتيش :-

قيل بدأت في أسبانيا عام ١٤٧٨ م وقيل قبل ذلك في فرنسا ، حين أراد البابا
« جريجورى التاسع » محاكمة الهراطقة مخالفى الكنيسة وذلك عام ١١٢٣ م . (٢)

وعندما أرسل نابليون حملة إلى أسبانيا بعد أربعة قرون من سقوطها في أيدي
الصليبية تحدث أحد ضباط حملته : « وهبطت على درج السلم .. فإذا نحن في
غرفة كبيرة مربعة وهى عندهم قاعة المحاكمة ... ثم توجهنا إلى غرف التعذيب
التي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض ... ، ورأينا غرفا صغيرة فى حجم
جسم الإنسان بعضها عمودى وبعضها أفقى فيبقى سجين الغرف الأفقية ممدودا
فيها حتى يموت ، وتبقى الجثث فى السجن العتيق حتى تبلى ، ويتساقط اللحم عن

(١) راجع ما جمعه الأخ د. زين الهادى فى رسالة الماجستير غير مطبوعة ص ٥٤ — ٦٠ الجامعة الإسلامية
١٣٩٩ هـ .

وراجع الأستاذ / محمد قطب — المرجع السابق ص ٥٨ — ٦٢ .

(٢) راجع ما جمعه الأخ د. زين الهادى فى رسالة الماجستير غير مطبوعة ص ٥٤ — ٦٠ الجامعة الإسلامية
١٣٩٩ هـ .

العظم وتأكله الديدان ، ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة على الفضاء الخارجى ، وقد عثرنا فى هذه الغرف على هياكل بشرية مازالت فى أغلالها .

واستطعنا إنقاذ عدد من السجناء « أعمارهم بين ١٤ — ٧٠ » وتحطيم أغلالهم وهم فى الرمق الأخير من الحياة .

ثم انتقلنا إلى غرف أخرى فوجدنا آلات لتكسير العظام ، وسحق الجسد البشرى ، كانوا يبدأون بسحق عظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين ، تدريجيا حتى يهشم الجسم كله ، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم ، ثم عثرنا على صندوق بحجم رأس الإنسان توضع فيه ، ويربط بالسلاسل والأغلال ، وفى أعلى الصندوق ثقب تتساقط منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام فى كل دقيقة نقطة ، وقد جن الكثير بسبب هذا اللون من العذاب . وآله أخرى على شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة ، وآلات كالكلاليب تغرز فى لسان المعذب ثم تشد ليخرج معها فيقص قطعة قطعة ، وكلاليب تغرس فى أئداء النساء وتسحب بعنف حتى تنقطع الأئداء أو تبتز بالسكاكين ، وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تنفتت عظامهم وتتناثر لحومهم .^(١)

ولانحسب الأمر هنا يحتاج إلى أدنى تعليق .

ثانيا : الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية :—

٤٤ — فصلنا فى الظروف الدينية لأنها كانت العامل الأساسى لردة أوروبا عن

(١) قصة الاضطهاد الدينى د. توفيق الطويل ص ٦٩ ومابعدها ، قادة الغرب يقولون جلال العالم ص ١٠ — ١٥ ، وقصة النزاع بين الدين والفلسفة — توفيق الطويل ، ويقدر من عاقبتهم محاكم التفتيش بنلامائة ألف ، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء ، ومن عاقبتهم الكنيسة : العالم الطبيعى « بروفون » و « جاليليو » الذى قال بدوران الأرض ... — راجع كذلك الأستاذ / محمد قطب ص ٦٧ — ٧٠ فى الفترة من ١٤٨١ — ١٤٩٩ م (١٨ سنة) تم إعدام ١٠٢٢٠ حرقا وهم أحياء ، ٦٨٦٠ شنقا ، ٩٧٠٢٣ بعقوبات أخرى (خمس العرب تشرق على الغرب ص ٣٦١ نقلا عن د. جمعه الخولى — رحمه الله .

(١) الدين ، أما الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فكانت تشكل عوامل مساعدة ولئن وصلت أوروبا في قرونها الوسطى إلى الحضيض في تعاملها مع الدين فلقد كانت كذلك في الحضيض بالنسبة لظروفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ...

* * كانت أوروبا تعيش حياة الإقطاع .. حيث يملك نفر بسيط الأرض بما عليها ومن عليها ، ولم يكن للعامل حق في أجر عادل .. بل كان يمثل « شيئا » يملكه الإقطاعي كما يملك الآلات الزراعية القائمة على هذه الأرض سواء بسواء .

ومن ثم كانت الغالبية من الناس تعيش حياة الفقر والفاقة والعوز ، بينما قلة من الناس تعيش حياة الترف والدعة والفجور .

* * وبذا نشأ اجتماعيا في المجتمع طبقتان :

طبقة السادة التي تملك كل شيء ولها كل شيء !

وطبقة العبيد التي لا تملك شيئا وليس لها أى شيء !

وكانت الكنيسة لا تكتفى بالسكوت على مظالم الإقطاع ، بل إنها كانت تمارس نفسها الإقطاع . (٢)

* * أما الجانب السياسي .. فقد كان خاضعا لنفس الظروف ، الحاكم إقطاعي يتملق الإقطاعيين ... ويتملك العبيد ، ويقدم للإمبراطور إعانة سنوية مقابل قيامه بالحكم وفرض الضرائب وتحصيلها ... وكان هذا يمثل مأسموه « بالسلطة الزمنية » وإلى جوار هذه السلطة الزمنية كانت « السلطة الدينية » ممثلة في الكنيسة والتي بلغ جورها حد

(١) ويعبر عنه الفرنسيون بمثل فرنسي معروف Silabranche est trop courbee إذا كان الغضن معرجا شديد الميل إلى ناحية من النواحي فإنه يجب من أجل أن يجعله مستقيما أن تثنيه وتميله إلى الجهة المضادة بقدر اثنتائه السابق (مبادئ نظام الحكم في الإسلام د. عبد الحميد متولى . دار المعارف . الإسكندرية الطبعة الثانية . ١٩٧٤ م) .

(٢) يقول « ول ديورانت » أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي ، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا فقد كان دير « فلدان » مثلا يمتلك خمسة عشر ألف قصر صغير ، وكان دير « سانت جول » يملك ألفين من رقيق الأرض ... ويقال إنه صار لهم في فرنسا ربع الأرض (تاريخ العمدن الحديث ص ٦٥) وكان على الناس أن يعملوا يوما كل أسبوع في أراضي الكنيسة وعشر أموالهم هبة لها .

إقامتها لمحاكم التفتيش التي راح ضحاياها حوالي ثلاثمائة ألف منهم اثنان وثلاثون ألف ماتوا حرقاً ، والتي جارت في سلطانها على السلطة الزمنية بما مارسته عليها من قرارات الحرمان إن هي لم تخضع لرغباتها وأهوائها (١) . وكان التعاون آثماً بين السلطتين على حساب الشعب المقهور الذي عانى أقصى معاناته البشرية في عصور كثيرة (٢)

ثالثاً : نتائج هذه الظروف : « ردود الفعل »

٤٥ — كان لهذا القهر الذي مورس على العقول حرباً على العلم والعلماء وعلى كل جديد أو مكتشف ، مع ماتعلنه الكنيسة من أقانيم ، وصلب ، وصكوك غفران ، وصكوك حرمان !

وكان لهذا القهر الذي مورس على القلوب .. قبولاً بكل ماتقوله الكنيسة .. اعتبار مما قرره للبابا من حق غفران الذنوب عام ١٢١٥ إلى ماقرته بعد ذلك من عصمته من كل خطأ في عام ١٨٦٩ .. إلى ما بين ذلك ، وما بعد ذلك .. من تفتيش على القلوب مع حجر على العقول ، وكان للقهر الذي مورس على الأبدان .. تعذيباً ، وسجناً ، وتقتيلاً ، مع القهر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في ظل حكم الإقطاع ... كان لا بد لهذه الأفعال Action من ردود أفعال Reation . (٣)

(١) من ذلك ماأصدره البابا نقولاً الأول « أنا ابن الله .. إن البابا يمثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاماً كانوا أو محكومين » — عن المرجع السابق ص ٤٥ .

وراجع قصة الصراع بين البابا هلد براند والإمبراطور هنرى الرابع ص ٤٦ . ويقول البابا خر يغوريس « إن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله تستمد نفوذها من الله مباشرة ، وتمتد هي ملوك الأرض وأمرائها بالنفوذ ، وإن البابا له مركز قوة في العالم فهو الذي يولى الأساقفة ويخلعهم ، وله الحق في خلق الأباطرة لأنه سيدهم الذي لايسأل عما يفعل . (معالم تاريخ العصور الوسطى — محمد رفعت ، محمد حسونه ص ١٣٧) أشار إليه د. جمعه الخولى — رحمه الله .

(٢) وكان من ذلك ماأعطته من شرعية الطفيان السياسي إذ أطلقت على لسان المسيح « أعطوا ماألقصير لقصير ومالله ﷺ » المرجع السابق ص ٤٣ .

(٣) كان لوثر راهباً عالماً دارساً اللاهوت ، وعندما ذهب ليحج في روما أزعجته صكوك الغفران التي تباع وتشتري ، وعندما عاد إلى ألمانيا احتاج البابا « ليو » إلى إعادة بناء الكنيسة فأصدرت « صكوكاً » فعلق لوثر احتجاجاً على باب الكنيسة ، فطلبه للمحاكمة فلم يذهب ، فأصدرت الكنيسة قراراً بجرمانه من الحقوق المدنية والقانونية حتى صار مباح الدم !

٤٦ — وكان أول نداء .. بفصل الدين عن الدولة .. بتقييد سلطان الكنيسة داخل جدرانها .. بحسب الدين Nonreligion في رأى المعتدلين ، وبإعدام الدين Antirelegion في رأى المتطرفين .

بدأ ذلك بندايات مارتين لوثر « ١٤٧٣ — ١٥٤٦ »^(١) ، الذى تعده أوربا زعيم الإصلاح الدينى ، والذى حاولت الكنيسة عقابه لكنه أفلت من عقابها .

ونادى الفيلسوف « ديكارت » بأن للعقل ميدانه وللدين ميدانه ، وميدان العلم هو الطبيعة ، وميدان الدين هو العالم الآخر ، وبذا « عزل » الدين عن العلم وعن الحياة .

أما « فولتير » فقد أسى النصرانية « بالكائن الوضيع » وكتب « مقبرة التعصب » فى عام ١٧٣٦ م وإن لم ينشر إلا فى عام ١٧٦٧ وكان من بين ماقاله فيه :

« إن كل رجل عاقل لا يملك إلا أن يغرق فرعا من اعتناق المسيحية » ، ووصف عقيدة النصارى بأنها « عقيدة متناقضة سفاكة للدماء ، ينتصر لها الجلادون ، وتحيط بهم عصبة من الأشرار .. عقيدة لا يدعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوة وثراء .. عقيدة خاصة لم يعتنقها إلا عدد قليل من سكان هذا العالم ، ووصف التوحيد (يقصد الوحدة) بين الدين والدولة أنه : « أبشع نظام » وقال إنه « يجب إلغاؤه » .

ودعا إلى إبعاد الدين عن الدولة ، وفصل الدولة عن الدين وطالب بإقامة نظام آخر ، « يخضع فيه رجل الدين لنظم الدولة ويخضع فيه الراهب للقاضى » .

أما جان جاك روسو ، فقد أخذ صيحة « عمر بن الخطاب » : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ليرجمها إلى نظرية العقد الاجتماعى « Contrat Social » والتى قال بمقتضاها ... إن الناس كانوا جميعا أحرارا لا قيد على حريتهم ، ولكنهم لحاجتهم إلى إقامة مجتمع ودولة تنازلوا عن قدر ضئيل من حريتهم

(٢) المسيحية لشلبى ص ٢٥٨ ، رسالة ماجستير للدكتور زين الهادى ص ٦٨ — ٦٩ .

ليحفظوا حريات الآخرين ، حتى يقوم مجتمع وتقوم دولة .

٤٧ — ثم كان نتائج ذلك ثورات حطمت فيها مئات الكنائس ، وقتل العديد من رجال الكهنوت :

١ (ثورة الفرسان : في ألمانيا في مطلع القرن ١٦ ، هاجموا الكنائس والأديرة ودمروا ما كان فيها من تماثيل الكنائس وطرّدوا الرهبان من الأديرة .

٢ (ثورة الفلاحين في ألمانيا : بعد السابقة بعشر سنوات ، طالب فيها الفلاحون بتخفيف ضريبة العشور التي تؤدي للكنيسة ومنحهم الحق في اختيار رجال الدين ، وامتدت إلى عدة جهات في ألمانيا ، وأدت إلى قتل عشرات الألوف من الفلاحين لاختادها .

٣ (ثورة الأراض المنخفضة : تم خلال أسبوع واحد تحطيم ٤٠٠ كنيسة وكثير من الأديرة ، وأخذت بعد إعدام ١٨٦٠٠ مواطن ، وفر حوالي ثلاث أضعافهم خارج البلاد كانوا يكونون طبقة مستقلة عن بقية أفراد الشعب .

٤ (الثورة الفرنسية : في القرن ١٨ ، والتي رفعت شعار « اشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس » .^(١)

اليهود في الميدان :-

٤٨ — يقول الكاتب الأمريكي « وليام غاي كار » : « لقد كان اليهود وراء فكرة فصل الدين عن الدولة » .^(٢)

* ولعله يؤكد ذلك ماجاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » : « لقد بدأت ثمار جهودنا تؤتي أكلها ، إذ أخذ ذلك النفوذ الديني العظيم على الناس يتضاءل رويدا رويدا ، وحلت حرية الضمير محله في كل مكان »^(٣) ، ثم : « لن يمضي غير سنوات معدودات حتى نشهد احتضار المسيحية ولن تتطلب الديانات الأخرى ، إلا

(١) التاريخ الأوربي الحديث د . / عبد الحميد البطريق ، د / عبد العزيز قوار ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٩ .

(٣) أحجار على رقعة الشطرنج وليم غاي كار . ويؤكد ذلك الأستاذ / أنور الجندي بقوله : « إن الدعوة العلمانية هي نتاج يهودي تلمودي أصيل كان له أبعاد الأثر في الفكر الغربي ص ١٧ من سقوط العلمانية .

اليسير من الجهد ، حتى تتبع المسيحية في الانهيار ، وسنحصر الدين ورجاله في أضيق نطاق ، حتى تزول عنهم الهيبة ، وتسقط الحرمة فتفقد تعاليمهم الأثر الطيب الذى كانت تجده من قبل » . (١)

* ولقد يكون لليهود أكثر من مصلحة في سقوط المسيحية :

فأولا : شفاء الأحقاد التى دفعتهم إلى محاولة قتل المسيح « صلبا » وإن لم تمكنهم القدرة الإلهية من ذلك ، ولكن « شُبّه لهم » وقد وقعت جريمة قتل ، وإن لم تقع على شخص « المسيح »

ثانيا : إزاحة سلطان الكنيسة التى كانت تساند التعصب المسيحى ضد « اليهود » فى أوربا .

ثالثا : بلوغ مايتمنون أولا من حريتهم (٢) ، وثانيا من سيادتهم على الأديان والأجناس الأخرى وفقا لتعاليم تلمودهم الذى صنعتهم أيديهم وجعلوه فى مقام فوق التوراه .

* ويبقى بعد ذلك : وجهة النظر التى ترى أن اليهود أنفسهم من معتقى العلمانية رغم ادعائهم الانتماء الدينى أو الالتزام الدينى .

يؤكد ذلك طبيعتهم : إنهم أحرص الناس على حياة .. أية حياة ، كما يؤكد واقعهم المنحل ، واهتماماتهم المادية .

* ونحن نرى أن وجهة النظر هذه معقولة على المستوى الشعبى .

أما من ناحية المستوى الرسمى : فإن اليهود حريصون على إحياء توراتهم المخرفة وتلمودهم الموضوع ، وحريصون على الالتزام بها أكثر من التزامنا نحن بقرآنا الكريم الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(١) البروتوكول السابع .

(٢) ولقد يؤكد ذلك أن أول قرار لأول حكومة علمانية فى أوروبا كان اعتبار اليهود المقيمين فى فرنسا مواطنين لهم حقوق المواطن وعليهم جميع واجباته (الجمعية الوطنية الفرنسية ١٧ / ٩ / ١٧٧١ م) .. راجع الأستاذ أنور الجندى سقوط العلمانية ص ٢٢ والملل المعاصرة فى الدين اليهودى د . إسماعيل الفاروق أشار إليه فى المرجع السابق .

ومع ذلك فلا نحسب أن اليهود بإمكاناتهم المحدودة في ذلك الحين ، وبأعدادهم المحدودة كذلك .. كانوا قادرين على صنع الأحداث ونحسب أنهم أرادوا نسبة بعض الأحداث إليهم ليستعملوا سلاح الرعب ضد خصومهم .. والإنسانية كلها خصومهم !

المذهب الفردى — والثورة الفرنسية : —

٤٩ — سقط قناع الكنيسة .

وساد شعار فصل الدين عن الدولة بعد القرن « ١٦ »

وأعقب ذلك نداءات فولتير ، وجان جاك روسو ، وغيرهم من المفكرين والفلاسفة التي شكلت فيما بعد ماسمى بالمذهب الفردى « الذى ظهر في القرن الثامن عشر » .

* والمذهب الفردى Individualism يقوم على شعار Laissez Passer
Laissez Faire وهو مطبق أساسا في المجال الاقتصادى ، لكنه كذلك طبق في المجال السياسى ، ليحدد وظيفة الدولة بثلاثة : الأمن والسكينة والصحة ، وطبق في المجال الاجتماعى ليطلق حريات الأفراد التي نص عليها بعد ذلك : Liberté Propriété ,
Egalité

* ثم انفجرت الثورة الفرنسية بعد ذلك (١٧٨٩ م) رافعة شعار : اقتلوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ، ومهما قيل في شأن الثورة الفرنسية من أنها أغرقت الأرض ببحار من دماء ، وأنها صارت تأكل بعضها بعد إذ لم تجد ماتأكله ، وأنها خلصت الناس من إرهاب لتوقعهم في إرهاب وأن ضحاياها على المقاصل كان منهم الكثير من الأبرياء .

٥٠ — فقد أفرزت الثورة الفرنسية :

- ١) تأكيد تقييد سلطان الكنيسة برفع شعار العلمانية وفصل الدين عن الدولة .
- ٢) تقييد السلطان السياسى للملوك والحكام الذين ادعوا الحق الإلهى Droit Divin والذين حين عدلوا عن الحق الإلهى نادوا بأنهم الدولة L'état C'est Moi .

٣) إعلانات حقوق الإنسان Declarations dedroits del'homme التي ركزت على حقوق الإنسان في : الحرية ، الملكية ، المساواة ، حق مقاومة الظلم Leberté ProPriété Egalité, Resistencea l'oppression ثم صدرت الدساتير المختلفة مؤكدة هذه الحقوق ، ومنظمة علاقة الحاكم بالمحكوم وموزعة الاختصاصات بين السلطات الثلاثة : التشريعية والقضائية والتنفيذية ، بعد تأكد الفصل بين السلطات باعتباره ضمانا هاما للشرعية .

العلمانية في أوروبا :-

٥١ - ارتفعت صيحة فصل الدين عن الدولة ، أو العلمانية Secularism وارتفع معها شعار المذهب الفردي Endividualisme الذي طبق في النطاق الاقتصادي بالتمكين للرأسمالية .

وفي المجال السياسي بالتمكين للديمقراطية .

وفي المجال الاجتماعي بانطلاق الأفراد فيما أسموه بالحرية الشخصية وغذى ذلك كله العلمانية .

- واتخذت تطبيقاتها .. في مجال التعليم

ثم في مجال الإعلام.

ثم في مجال حرية المرأة (أو مأسوموه ذلك)

- وصاحب ذلك نهضة صناعية .. كانت أوروبا قد أفادتها بعد نقل العلوم من الجامعات الإسلامية في قبرص وقرطبة وأشبيلية .

- وأعقب ذلك اتجاه الدول الأوربية بعد نهضتها وقوتها إلى استعمار بلاد العالم الثالث لأغراض كثيرة من بينها : البحث عن الموارد الأولية اللازمة للصناعات .

* * وتصور الكثيرون ذلك كله « بركة » العلمانية .

ولاشك أن الكنيسة (لا الدين) كان عقبة كبيرة في سبيل نهضة أوروبا باعتبار مآقوماته من حجر على العقول .. بلغ حد إنكار المخترعات العلمية ، والعقاب عليها

« كما حدث لجاليلو الذى قال بدوران الأرض ، ونيوتن الذى قال بقانون الجاذبية وغيرهما » كما أقامت حجرا على القلوب بإقامتها سدا بينها وبين الله متمثلا فى كرسى الاعتراف ، وصكوك الغفران وقرارات الحرمان .

ولم يكن لأوروبا أن تنهض بغير ثورة على الكنيسة بعدما تردت الكنيسة إلى تلك الهاوية ، وتردى « أربابها » فى مستنقع الرذيلة ، تحت ستار « الرهينة » وتوزيع « البركات » مع قيام « العصمة » حائلا دون أن يسأل البابا أو يسأل من دونه باعتبارهم ممثلين له !

— ومن ثم زاد تردد شعار العلمانية Secularism باعتباره العاصم الوحيد دون عودة سلطان الكنيسة فى القرون الوسطى ، وباعتباره باب الولوج إلى الحرية ، والنهضة ، والتقدم .

— وأشعل المستفيدون من هذه الشعارات لهيب الحماس للعلمانية باعتبارها « الإنقاذ » للشعوب مما هى فيه من تخلف ، وتعصب ، وبعد عن الحضارة والمدنية ... وبقيت إشارات إلى اليهود باعتبارهم المستفيد الأول من هذا الشعار .

— وانتقلت العلمانية إلى شعوب مختلفة ، وانتقلت معها تطبيقاتها فى مجالات مختلفة .. وكان نصيب الشرق الإسلامى وافيا ... على نحو ماسنشير . بمشية الله .



« المبحث الثانى »

انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامى

تقدمة :-

٥٢ — الفكر أشبه بالماء . ينتقل من أعلى إلى أدنى.....
وعندما كنا الأعلى .. كان فكرنا .. وقبله ديننا .. وعلمنا .. ينتقل إلى غيرنا ..
إلى الأدنى ..

وعندما صرنا الأدنى .. عندما رضينا بالسفح دون القمم .. نزل إلينا كل وافد وكل
رافد .. يحمل معه بعض الخير .. لكنه يحمل شراً كثيراً بل شراً مستطيئاً ، يحمل مع
الماء الزبد والغشاء ويحمل داخل الماء الكثير من السموم !..

هذا تصوير أو تقريب !
وهناك آخر ...

إن الإنسانية فى امتداداتها المختلفة أشبه بالأوانى المستطرقة .. فإن كان ثمة
« امتلاء » فى جانب وفراغ فى جانب آخر ... إنتقل السائل من الامتلاء إلى الفراغ .
ولقد عاش العالم الإسلامى فترة « امتلاء » بعد امتداد نور الإسلام وفيضه فيه ..
فكان « يفرغ » فى الآخرين ..

ثم ارتد وانحسر .. فعاش فترة « فراغ »
فكان للآخرين أن يفرغوا ما عندهم فيه .
والفرق فى الحالين :

أنا أفرزنا الخير ، وأفرغناه إلى غيرنا .
وأن غيرنا أفرز « الشر » و« أفرغه » إلينا!

ولقد كانت هناك عوامل ساعدت على انتقال « الفكر إلينا » .. وكانت هناك

وسائل أو « مجارى » حملت إلينا هذا الغشاء وكانت هناك نتائج لهذا أو ذلك ..
فلنبحث ذلك بمشية الله :

أولاً : عوامل انتقال العلمانية :-

٥٣ — كانت عوامل انتقال العلمانية منها ما هو مخطط مرسوم ومنها ما جاء عفواً بغير تخطيط .. لكنها تجمعت لتساعد على انتقال هذا الفكر الجديد لتجد له مكاناً في شرقنا الإسلامى ...

لم تكن ظروفنا مماثلة لتلك الظروف التى قامت فى أوربا ، لم يكن عندنا حجر على القلوب ولا حجر على العقول ، لم يكن عندنا اضطهاد للعلم والعلماء ، لم تقم فى بلادنا محاكم تفتيش .. تحاكم الضمائر والوجدان ! وتحكم بالحرق والتعذيب والسجن والتشريد !

ومع ذلك قامت عندنا عوامل أخرى بعضها خارجى وبعضها داخلى ، بعضها عفوى وبعضها عمدى .

أما العامل الأول فقد كان نهضة أوربا مع العلمانية :

ذلك أن نهضة أوربا « المادية » واكبت وأعقت العلمانية ، أو فصل الدين عن الدولة ، ومن ثم أحدث ذلك شعوراً بأن التحضر والتقدم ومناهضة التخلف لا يكون إلا بطرح الدين خلف الظهور ، وإلا فلم نهضت ، أوربا . وبغض النظر عن مدى صحة ذلك من ناحية الحقيقة والواقع ، فإن الذين خرجوا من مجتمعات « التخلف » الذى فرض على المنطقة الإسلامية وشاهدوا مجتمعات « التقدم » و« التحضر » تخلف فى « لاشعورهم » هذا المعنى من حيث لا يشعرون وظنوا بدينهم غير الحق ظن الجاهلية أو ظن الجاهلين ، فما بالك إذا أضقت إلى ذلك العوامل الأخرى .

العامل الثانى : تخلف المنطقة الإسلامية :-

وهو عامل داخلى فى مواجهة العامل الخارجى السابق .
وبغض النظر عن أسباب هذا التخلف .. فقد كان — واقعا قائما ، كان ثمة

تخلف فكرى ... بعد فترة من النشاط الفكرى الذى لم يشهد له العالم مثيلا والذى أنتج علوما عديدة فى كافة الميادين^(١)

ولعل هذا التخلف بدأ مع إغلاق باب الاجتهاد ثم مع البعد شيئا فشيئا عن النبع الصافى الذى كان يستقى منه الأولون ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾^(٢) . وكان ثمة تخلف حضارى ومادى .. وفى كل الجوانب .. نتيجة انصراف الحكام إلى شهواتهم وترك مصالح الناس ، ونتيجة الصراع على مناصب الحكم وكراسى الوزارة ، والنكبات التى صاحبت ذلك وأعقبت ذلك .

كان التخلف حقيقة واقعة . وإذا كان تخلف فى جانب .. وتقدم فى جانب آخر فلا بد أن يفد الفكر من الأعلى إلى الأدنى — كما قدمنا — .

العامل الثالث : الاستعمار العسكرى ، وما أعقبه من سقوط الخلافة :—

كان التخطيط فى المسألة الشرقية للإجهاز على « الرجل المريض » وقد مر ذلك

(١) إذا أخذنا نموذجا لذلك بلدا واحدا كالأندلس ، فإننا نجد أنها قد أنجبت بعد الإسلام :
أ — ابن حبان القرطبى : شيخ المؤرخين ، وصاحب الجامع لأحكام القرآن ، والمقتبس فى تاريخ الأندلس عشرة أجزاء ومؤلفات أخرى .

ب — ابن خلدون : مؤسس علم الاجتماع ، ومؤسس فلسفة التاريخ ، وصاحب (مقدمة ابن خلدون) .
ج — ابن حزم الظاهرى : صاحب كتاب المحلى (٩ أجزاء) والأحكام فى أصول الفقه فضلا عن ٤٠٠ مجلد آخر .

د — أبو القاسم الزهراوى — الطبيب — الذى توصل إلى استخراج الحصا من المثانة وتفتيتها ، وإجراء عمليات فى العين .. فضلا عن بقية أفراد عائلة زهر التى اشتهرت بالطب — رجالا ونساء .

وفى العلوم الأخرى : فى مجال الكيمياء : كان المسلمون أول من جعل البارود مادة متفجرة قابلة لإطلاق القذائف — ونقلها عنهم الأوربيون ، كما توصلوا إلى كثير من الصناعات فى الطباعة ، والدباغة ، وصناعة المعادن .

وفى مجال الفيزياء : وضعوا أسس هذا العلم ، ووضعوا نظرية الجاذبية وتحدثوا عن المغناطيسية والبصريات .
وفى مجال التعليم : ظهرت جامعات غرناطة وقرطبة وأشبيلية .. وفى هذا يقول ماك كيب : لم تطلع الشمس على أهنا وأرغد عيشنا ولا أكرم رغبة فى التمتع بالجمال والعلوم والأعمال الجيدة من غرب الأندلس (حاضر العالم الإسلامى ص ٨٤ — ٨٥) .

(٢) النور آية ٤٠ .

بمرحلتين :—

— مرحلة تقطيع أوصال الخلافة : بالاحتلال العسكرى لمناطق إسلامية وقد
ضربنا لذلك الأمثال حتى احتلت الأرض الإسلامية كلها عدا الحجاز وأفغانستان ثم
دولة الخلافة . وأعقب ذلك :

— إسقاط دولة الخلافة ، بالترتيب الذى أشرنا إليه من قبل ، وقد حرص
الاستعمار العسكرى ، وحرص الذين أسقطوا الخلافة على أن يحملوا معهم
أفكارهم ... سواء بقصد الغزو الفكرى أو مجرد الاعتزاز بها والفخر باعتناقها .. وفى
مقابل ذلك كان العامل الرابع .

العامل الرابع : الهزيمة النفسية لدى المسلمين :—

أعقب الاحتلال العسكرى ثم إسقاط دولة الخلافة ، هزيمة نفسية خطيرة ..
فترسب فى نفوس المسلمين أن الغالبين هم الأعلى ، بما يحملون من حضارة مادية
أوتوا أسبابها .
وإذا كان المغلوب مولعا بتقليد الغالب ، فقد قلد المغلوبون الغالبين .. قلدوهم فى
كل شىء حتى مع اختلاف الظروف واختلاف التكوين . ومن ثم كان تقبل
« العلمانية » وغيرها .. أمرا غير مستغرب .

العامل الخامس والأخير : الغزو الفكرى الخطير :—

الذى مر بمراحل :

محاولة تنصير المسلمين

محاولة إخراج المسلمين من دينهم دون دخولهم النصرانية .

محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة ، وتحت أسماء خادعة رقيقة :

« التغريب ، التحديث ، التمدين ، التحضر ، التغيير الاجتماعى ، وعملت

العلمانية فى مجالاتها ... وشقت طريقها فى مجاريها .

ثانيا : وسائل نقل العلمانية أو « مجاريا » : —

٥٤ — المجرى الأول : المستشرقون :

في كتاباتهم التي اتخذت طريقها في الغرب لدى المبتعثين أو اتخذت طريقها في الشرق لدى الدارسين والباحثين .

وكان للشكل الذي اتخذته التأليف .. دخل كبير في إقناع « السذج » ، بتقدم هؤلاء .. وكان للأسلوب « العلمى » الذى اتخذته المستشرقون دخل كبير في ظن المسلمين خيراً بهؤلاء .. بينما كثيرا مما كتبه حوى كثيرا من الافتراء إما عمدا عن حقد وقصد إلى إضعاف عقيدة المسلمين وأفكارهم ، وإما جهلا منهم بالمصادر الإسلامية ساعد عليه جهلهم بلغة الإسلام : اللغة العربية .

المجرى الثانى : المبشرون :

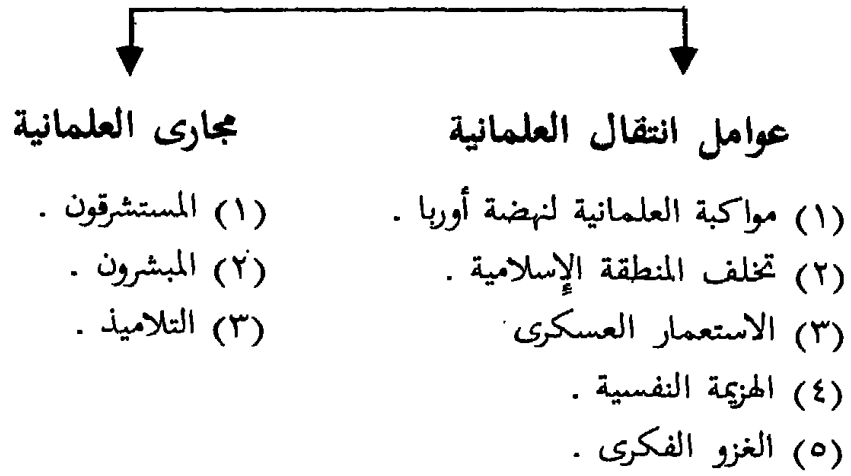
وهؤلاء مارسوا ما مارسوه عن عمد تنفيذاً لوصية زويمر ، كما قدمنا ، فنقلوا العلمانية .. من خلال نشراتهم وكتبهم ، ومن خلال التمثيليات والأفلام ، ومن خلال المدارس المختلفة التى بدأت بالأجنبية ، ثم كان تأثيرهم على مناهج التعليم الوطنية كذلك ، كما أشار إلى ذلك أكثر من مبشر .

المجرى الثالث : المبعوثون والناقلون للفكر الغربى من أبناء المسلمين :

وهؤلاء كانوا أخطر الوسائل ، لأنهم عادوا يحملون ألقابا علمية وضعتهم بمساعدة — المخططين — فى مناصب التوجيه .

وأعقبا .. نظر الناس إليهم قدوة مع اسقاط أى مناعة أو تحفظ قبلهم لأنهم « وطنيون » .

انتقال العلمانية (تلخيص)



« المبحث الثالث »

تعريف العلمانية^(١)

٥٥ — مفهوم العلمانية كما يبين من العرض ، هو فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة لاتعنى كما يظن البعض إنكار الدين ، فذلك هو الإلحاد أو الكفر ، لكنها تعنى حصر دائرته وحصر سلطانه داخل جدران الكنيسة فلا يتعداها إلى المجتمع أو الدولة .

وعلى ذلك فيمكن في ظل العلمانية ممارسة الشعائر الدينية ، لكنه لايمكن أن يمتد سلطان الدين إلى المجتمع أو الدولة .

والقول بأن العلمانية إنكار للدين أو إلحاد خلط لها مع الإلحاد الذى تنادى به الشيوعية وغيرها من المذاهب الملحده وآية ذلك التطبيق القائم في مواطن نشأة العلمانية وهو أوربا .. ففي أوربا تمارس الشعائر الدينية داخل الكنيسة كما تمارس داخل البيوت « سواء كانت صحيحة أم خاطئة أم محرفة » لكنه لايسمح للكنيسة بممارسة ماكانت تمارسه من قبل على المجتمع أو الدولة .

وعلى ذلك فالعلمانية تعنى فصل الدين عن الدولة ، وحصر نطاق الدين في أماكن العبادة ، وقصر معناه على الجانب التعبدى .

(١) لغة : لم يوجد لها مكان في معاجم اللغة العربية ! أما في بعض المعاجم الحديثة فقد جاء :-

أ — في معجم المعلم البستاني : « العلماني : العامي الذى ليس باكليريكي » .

ب — في المعجم العربى الحديث لارهس تأليف د / خليل الجسر : « علماني : مالىس كنسيا ولادينيا. » .

ج — في المعجم الوسيط لمجمع اللغة في القاهرة : « العلماني : نسبة إلى العلم ، وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى » .

وعدم وجود الكلمة في المعجم القديمة يدل على حداثها ، ويلاحظ بعض الباحثين إنها وردت أولا في المعاجم اللبنانية المسيحية في وقت مبكر (١٨٧٠ م) — وفي المعجم الوسيط لمجمع اللغة ، صدرت طبعته الأولى سنة

١٩٦٠ م .

٥٦ — ولقد صار علما على العلمانية في الغرب Secularism بالإنجليزية
Secularité بالفرنسية ، وكلاهما اشتقاق من لفظ Secular والغرب يفهم اللفظ
بمعنى فصل الدين عن الدولة ، وعدم تدخل الكنيسة في أعمال الدولة .

٥٧ — لكن البعض توسع في دلالة العلمانية إلى ما قد يوهم بأنها مرادف للإلحاد أو
إنكار الدين :

ولننظر إلى معانيها في بعض القواميس ودوائر المعارف

ففي القاموس الإنجليزي Secularism تعنى : The view that Morality
and education should not be based on religion وترجمته العلمانية هي :
وجهة النظر القائلة بعدم تأسيس الأخلاق والتعليم على العقيدة و Secularist
تعنى : Beliving or Supporter of Secularism المؤمن أو المؤيد في
العلمانية ويعلمن : Secularize تعنى :

Make Secular: Secularize Church, Property, Courts. Secularize
Sunday E.C. When church going is replaced by sporting events.
يعلمن : يجعله علمانيا ، يعلمن الكنيسة ، والملكية ، والمحاكم ، يعلمن يوم الأحد
عندما يجعل الذهاب إلى الكنيسة يحل محله ممارسة الأحداث العادية .

٥٨ — وفي دائرة المعارف البريطانية :^(١)

« هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام
بالحياة الدنيا وحدها وذلك أنه كان للناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في
العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر ، ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت
Secularism تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس في
عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنتاجات الثقافية البشرية وبإمكانية تحقيق
طموحاتهم في هذه الحياة الغريبة ، وظل الاتجاه إلى ال Secularism يتطور باستمرار
خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية »

(١) راجع الأستاذ محمد قطب في : مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤٥ .

٥٩ — أما دائرة المعارف الأمريكية :

فقد جاء الحديث فيها عن العلمانية على النحو التالي : (١)

« الدنيوية هي : نظام أخلاقي أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة ، وإن المبدأ الأول هو حرية الفكر - حق كل إنسان في أن يفكر لنفسه : وهذا هو المعترف به الآن على الأقل نظريا من أغلب المسيحيين ، ولكن الحال لم يكن كذلك عندما أعلن جورج « جاكوب هولي أوك » لأول مرة عن برنامج الدنيوية حوالي سنة ١٨٤٦ م في إنجلترا ، ويتضمن هذا المبدأ شيئا هاما يعتبر كتتمة له ، ألا وهو الحق في اختلاف الآراء في كل مواضيع الفكر . علما بأن هذا الحق يصبح غير ذي قيمة بدون الحق في تأكيد ذلك الاختلاف . وأخيرا فإن نظام الدنيوية يؤكد الحق في مناقشة ومجادلة كل المسائل الحيوية ، مثل الآراء المقبولة عند أغلب الناس عن أسس الالتزام الأخلاقي ، وعن وجود الله ، وعن خلود الروح ، وعن سلطة الضمير .. إلخ ، ومبدأ الدنيوية لايعترف بأنه لا يوجد خير آخر سوى خير الحياة الدنيا ، وهو لا يخوض في هذه المسألة : ولكنه يؤكد بأن خير الحياة الدنيا هو خير حقيقي ، والسعى إليه هو خير أيضا ، كما أنه يهدف إلى إثبات « أن الحالة المادية الدنيوية يستحيل أن يكون الإنسان فيها محروما أو فقيرا » يؤكد بأنه توجد في هذه الحياة قوى مادية لا يمكن تجاهلها دون أن يكون هذا تصرفا أحقما أودون أن يصاب بضرر ، ألا وهي « الحكمة والرحمة ، وواجب مراعاتهما » وهو لا يعارض ادعاءات المسيحية ، ولا يقول بأنه لانور ولاهداية إلا في الطبيعة ، ولكنه يؤكد بأن « هناك نور وهداية في الحقيقة الدنيوية التي توجد ظروفها وفروضها بذاتها ، ولتعمل بحرية وإلى الأبد . » .

٦٠ — وقد نقلت إلى العربية تحت لفظ علمانية : « والأولى القول بفصل الدين عن الدولة أو بحصر الدين في معنى التعبد دون امتداده لسائر شعون الحياة .

= وراجع : Encyclopaedia Britanicay. ix. p. 19 .

وراجع : الطبعة السادسة — ١٢ مجلد Every Mans Encyclopaedia مجلد ١٠ .

(١) المجلد ٢٤ —

هذا وليس في دائرة معارف القرن العشرين (لمحمد فريد وجدى) حديث عن العلمانية .

٦١ — وقد اعتقد البعض أنها بالفتح عَلمانية ، نسبة إلى العَلم أو إلى العالم (١) ، وقد ذهب إلى هذا الرأي عالمان جليلان هما :

د / عبد الحلیم محمود « شيخ الجامع الأزهر » رحمه الله حيث يقول :

« فالعلمانية هنا ترجمة عليها بصمات أداة النسب السريانية لكلمة Laique بالفرنسية ويقصدون بها « لادينية منسوبة إلى العَلم بفتح العين لابكسرها كما يخطيء الأكثرون ، متوهمين أنها من العلم بكسر العين وليست به ، وهى بهذا تكون منسوبة إلى العَلم بفتح العين وهو العالم بفتح اللام أو الدنيا التى هى فى مقابل الآخرة .

وهذا التفسير Laique دهري أو علماني نشره اليهود فى أوربا وفى فرنسا بالذات فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر حيث تمكن دعاة العلمانية من الاستيلاء على الحكم فى فرنسا . (٢)

— ويقول د / محمد البهى — رحمه الله — : « وعرف هذا الاتجاه فى محيط المجتمعات الإسلامية بعد المخالطة الفكرية بين الغرب والشرق باسم الاتجاه العلماني ، ولعله منسوب على غير قياس إلى العالم بفتح اللام — وهذا الاسم ترجمة للكلمة اللاتينية Secularius التى تعرف فى الإنجليزية باسم Seular كوصف Secularism كاتجاه ومذهب . (٣)

٦٢ — لكن هذا لا يتفق مع أصل الكلمة إذ هى فى أصل معناها العلم ، ذلك أن الأصل اللاتينى للكلمة Secularius ومعناه عالم متبحر . (٤)

(١) العلم لغة : العلامة — الجبل . المعلم : الأثر ، يستدل به على الطريق العالم : الخلق . العالمون : أصناف الخلق .

(٢) مقدمة كتاب دلائل النبوة ومعجزات الرسول د / عبد الحلیم محمود . طبعة دار الإنسان بالقاهرة — ١٣٩٤ هـ .

(٣) الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر — مشكلات الأسرة والتكافل ص ١١ ، وراجع كذلك المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد ذهب هذا المذهب ، وهو ليس بحجة لما قدمنا .

(٤) وإن كانت ترجمة العلمانية بمعنى العلمية فى الإنجليزية Scientic من Science وهو العلم فإن الكلمة صارت مصطلحا على نحو ما قدمنا .

وإذ نشب الصراع أول ما نشب بين الكنيسة والعلماء فقد صار العلم .. علما على الحد بين سلطان الكنيسة ومن ثم صارت Secularism علما على عدم امتداد سلطان الكنيسة إلى العلم والعلماء ، أو علما على حصر سلطان الدين والكنيسة بعيدا عن الدولة ، ومن ثم فإننا نرى أن الكسر أولى من الفتح ، لأنها مصطلح ، ولامشاحة في الاصطلاح .



« المبحث الرابع »

تطبيقاتها وآثارها

تقدمة :-

٦٣ — طبقت العلمانية في أوروبا .. فماذا أنتجت ؟ وماذا كان آثارها ..؟ وانتقلت إلى شرقنا الإسلامي سريعا .. انتقال الماء أو انحداره من القمة إلى السفح فقد بدت أوروبا في عصر « العلمانية بدت في قيمة الحضارة المادية .. وبدا الشرق الإسلامي في السفح أو في القاع .. معنويا .. وماديا ..

وكانت أول الهزيمة — كما أسلفنا — هزيمة النفس ، ولاتزال ! وامتدت آثار العلمانية في الفراغ القائم أو الكائن في المنطقة مع البعد عن الإسلام ومع غياب العقيدة الحقة التي كانت تملأ الألباب وتملك الألباب !

— امتدت العلمانية إلى الأفراد فمسختهم !

فأينا .. مصطفى كمال في تركيا .. ورفاعة الطهطاوى في مصر .. وآخرين أمسكنا عن ذكرهم ا. (١)

— وامتدت إلى المجتمعات فصبغتها : تعليما .. وإعلاما .. و« خلقاً » وانحلالا !

— وامتدت إلى الدول فأتت بنيانها من القواعد أو كادت :

في تركيا .. في مصر .. في الجزيرة العربية .. وسوف نرى بإذن الله .

أولا — آثار العلمانية في أوروبا وأمريكا

٦٤ — قد يكون من الصعب أن نقدم الصورة الدقيقة .. وليس تحت أيدينا من

(١) ليس ذكر بعض الأشخاص خروجاً عن الموضوعية التي ارتضيناها منها ، لكنه « اضطرار » وهو ثانياً تمثل لأسلوب القرآن حين ذكر البعض بالأسماء « فرعون ، قارون ، عاد ، ثمود ، أصحاب الرس ، وأعقب ذلك » وقرونا بين ذلك كثيراً ، وأخيراً لأن هؤلاء صاروا في ذمة التاريخ فلم يعودوا ملك أنفسهم ولملكنا لأحد .

الإحصاءات إلا القليل .. لكننا نحاول تقديمها .. من خلالها ثم من خلال
المشاهدة (١)

٦٥ — إذا نظرنا إلى الفرد : فإننا نجد العلمانية قد أفرغت قلبه وعقله من الدين .. لأنها أشعرته بعدم أهميته .. بل بعدم لزومه .. صحيح أننا مازلنا نرى فارقا بين العلمانية والإلحاد .. فالعلمانية تقدم « السلبية » بالنسبة للدين .. يستوى عندها أن يوجد أو لا يوجد .. شريطة أنه إذا وجد فلا عمل له في المجتمع ولا دخل له بالدولة — غير الإلحاد الذي يقدم « الإيجابية » ضد الدين .. وهو الفارق الذي يقوم في الإنجليزية بين لفظ NON ولفظ Anti فلئن عنت العلمانية « اللادينية » Nonreligious فإنها مرحلة سابقة على مرحلة ارتكاسا وهي « ضد الدين » أو « معاد للدين » Antireligious هذا الفراغ الذي يعيشه الأوربي أو الأمريكي — بعيدا عن الدين ، والذي اضطر الكنائس لاجتذاب « زبائن » لها (١) أن تشرع الرقص المختلط في نهاية صلوات الكنيسة لتشجيع الشباب على الصلة بالكنيسة .

هذا الفراغ الذي يعيشه الأوربي أو الأمريكي ، خواء روحيا ، وخواء فكريا .. له أثر بعيد داخل الفرد ، فالفرد الأوربي أو الأمريكي وإن بدا سعيدا بتوافر إمكانيات الحياة المادية ، لكنه في حقيقته غير ذلك .. لأنه يحس هذا الخواء الذي لم تملأه

(١) فضلنا هذه الطريقة على النقل مما كتبه الأجانب حيث كثر النقل في الرسائل والكتب .

(١) من إحصائية مضى عليها خمس وثلاثون عاما لكنها تعطي فكرة عن « زبائن » الكنائس والذي يتناقض في كل

يوم :

| نوعية الناس | مدينة صناعية صغيرة | مدينة صناعية كبيرة | ابر شبه طبقية عائلية بباريس سانت ايوليب |
|------------------|--------------------|--------------------|---|
| مديرون ومهندسون | ٥٠ — ٦٠ | ٤٢ | ٢٣ |
| مهن حرة | ٤٠ | — | ١٠ |
| موظفون | ٣٠ | ٣٢ — ٣٥ | — |
| أصحاب حرف وعمال | ٢٠ | ٩ | ٤ ر ٥ |
| عمال مهرة يدويون | ١٠ ر ٥ | ٦ | ٢ ر ٥ |

تاريخ البشرية المجلد السادس — القرن العشرين — الجزء الثاني — إعداد اللجنة الدولية بإشراف منظمة اليونسكو ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١ — ص ٢٩٧ .

فلسفة حديثة ولا قديمة ، ولا محاولات اللهو الفارغة التي بلغت في إسفافها وسقوطها دركا بعيدا .. تأنف منه بعض الحيوانات .

وكان من نتيجة ذلك إصابات بأمراض عصبية ونفسية أقلها « الاكتئاب » ، وأشدّها « الصراع » و« الجنون » الذي تفشى بنسبة كبيرة لم تكن متوافرة قبل انتشار الحضارة المادية الحديثة ! وصاحب ذلك محاولات انتحار ترتفع نسبتها يوما بعد يوم وعاما بعد عام .

٦٦ — وتفسير ذلك أن الغرب يعيش حياة « الضنك » التي قد تتوافر مع توافر أسباب الحياة المادية .. لأنها أمر نفسى داخلى لاعلاقة له بتوافر إمكانات الحياة أو عدم توافرها .

ومن ثم فإن « الضنك » أكثر انتشارا في مجتمعات الرفاهية التي لهت الغرب للوصول إليها « ماديا » ونسى أنه قد ترك نصف تكوينه إذ أرضى « الأرض » دون « السماء » ، أو أشبع « الجسد » وتغافل عن « الروح » . وصدق رب العالمين : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾^(١) هذا في مقابل المؤمن السعيد المطمئن إلى جنب الله : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾^(٢) .

وأى حياة أهدى من حياة بغير ضلال ؟

وأى حياة أسعد من حياة بلا شقاء !؟

هذه لمحة عن الفرد في أوروبا ، يؤكدها النظرة الفاحصة لمن اتيح له أن يجوس خلال هؤلاء .. وتؤكدها النظرة الحزينة التي تجدها في عيني المرأة إذا اقتربت من الخمسين لأنها عادة تعيش .. بلا رجل ، ولا ابن ، ولا بنت ، حتى ولو كانت قد أنجبت فإذا وصلت إلى سن أكبر من ذلك فأفضل أماكنها « ماوى » العجزة وملاجئهم !^(٣)

(١) طه آية ١٢٤

(٢) طه آية ١٢٣

(٣) وقد صاحب ذلك ظهور مذاهب عدة : ١ — ظهور القومية ٢ — ظهور نظريات أصل الأجناس في القرن =

أما الأسر :-

٦٧ — فقد قل الزواج إن لم يكن قد ندر ، وفترات الاختبار التي تسبقه والتي تمتد سنين .. هي فترات الزواج « الحقيقي » ، وإن كان في حقيقته زنا وفحش !

وغالبا ماتت هي فترات الاختبار بالاكتفاء بها للانتقال إلى اختبار آخر .. أو للعدول عن هذه الفكرة السخيفة « فكرة الزواج » إلى فكرة المعاشرة الحرة الاختيارية بينهما دون « أعباء » الزواج ^(١) ، وحتى إذا اختاروا الزواج .. فهم ينفرون من الأطفال ، وقد بلغ الأمر حد أن أكثرهم إذا رزق بأطفال فإنهم غالبا لا يصحبونهم في فترات « الفسح » في نهاية الأسابيع حتى يستمتعوا وحدهم بالفسحة دون ضجيج الأولاد ! ^(٢)

وبرغم التشجيع المستمر ، والمميزات المادية التي تعطىها الأنظمة للأسر حتى تقوم

= ١٩ مثل نظرية داروين في النشو والترقى . ٣ — ظهور روايات تعكس التغييرات الاجتماعية مثل رواية تولستوى الحرب

والسلام عام ١٨٦٤ ، ورواية دستوفسكى (الأخوة كارامازوف) ١٨٧٩ ، والبعث لتولستوى عام ١٨٩٩ ، مدام بوفارى ١٨٥٧ (الرسالة المذكورة ص ٦٧ — ٦٨) . وقد كبرت مدارس الضياع كما يسميها البعض : كالوجودية ومن زعمائها جان بول سارتر ، والرمزية ظهرت في القرن ١٩ ومن زعمائها بودليرد رامبوا ، والسريالية — من المدارس المتأثرة بفرويد ولكنها تهتم بالشعر ، وأدب التفسخ : وهو أدب يميل إلى التشاؤم والابتذال . وأدب المستحيل : وهو أدب يميل إلى الإلحاد ، والأدب العدمي : وهو أدب أكثر تشاؤما . وأدب الهروب والحلم : وهو أدب يرفض الحقيقة النفسية (راجع رسالة الماجستير للأخ حسين بركات ص ١٧٨ — ١٧٩) .

(١) سألت سائقة « تاكسى » عن حالتها الاجتماعية فقالت : غير متزوجة وعندى ولد ، قلت كيف ؟ قالت : من معاشرة جنسية بغير زواج ، لأننا لانحب مسؤوليات الزواج !! .

(٢) نشرت الصحف البريطانية في عام ١٩٧٧ (١٣٩٧ هـ) أنه وجد ثلاثة أطفال ميتين في أحد البيوت ، وتبين أنهم ماتوا جوعا نتيجة سفر أبويهم في أجازة نهاية الأسبوع وتركهم الأطفال حتى لا يعجزهم ، وقد سبى الأبوان ترك طعام للأطفال ، في الوقت الذي وجد فيه كلبان في نفس السكن أحياء لأن الأبوان .. لم يسوا أن يتركوا لهما الطعام بينما نسيا طعام أطفالهم !!! .

وفي إحصائية عن بعض البلاد الأوربية (النمسا) أن تناقص عدد السكان (الأصليين) فيها نتيجة البعد عن إيجاب الأطفال . هذا التناقص يؤدي إلى انقراض شعب النمسا خلال خمسين عاما ، والمشكلة عندهم ليست فقط انقراض شعبهم ، إنها مع ذلك من الوريث ؟ وهم يعتقدون أن العرب النازحين إلى هناك (وبعبارة أخرى المسلمين) هم الوريث الأول لهم .. ومن يدري لعل الله يحقق (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها ...) « سورة الأحزاب » .

على الإنجاب فإن أكثرهم لا يزالون معرضين ، حتى إن بلدا أوربيا — فيما علمت — مهدد أن ينتهى شعبه خلال خمسين عاما .. ليتره الأجنب الوافدون .. وبالأخص من الدول الإسلامية لأن أكثر أبنائها حريصون على الزواج وحريصون على الإنجاب !...

٦٨ — وداخل الأسرة لا تجد دفء العواطف الأسرية في الشرق ، ومجرد أن يصل الولد أو البنت سن « البلوغ » فإن أيا منهما يقوم بالانفصال عن الأسرة وإن تلكأ فيه طالبته الأسرة . لقد شككت لى إحدى المسلمات أن أسرتها تلومها لأنها تجاوزت الثامنة عشرة ولا تزال تعيش مع الأسرة .

والذى شاع — بكل أسف داخل الأسرة الأوربية لإشاعة « الدفء » هو أشد أنواع الفاحشة « جرما » هو « الزنا بين المحارم » ، وأكثره ما يكون بين الأخ وأخته ^(١) ، وأقله — حتى الآن — زنى الأب بابنته ^(٢) ، وزنا الابن بأمه .. أ

أى إنحدار ذلك الإنحدار !؟...

إن أكثر الحيوانات تعف عن ذلك !؟

أما المجتمع —

٦٩ — فإنه مجموع هؤلاء الأفراد « التعساء » ، ومجموع تلك الأسر المفبكة المنحلة ، إضافة إلى « انعدام » العلاقات بين الجيران .. حتى إن الواحد إذا مات لا يعرف إلا من رآه تحت التتنة التى تتصاعد بعد أيام من موته .

وذلك فضلا عن شيوع « الأمراض الجنسية الخطيرة » فى المجتمعات الأوربية نتيجة الزنا واللواط .

وإذا كانت الإحصاءات تدل على أن رجال الدين : ٨٠ ٪ منهم زناة ،

(١) الميرالدريسون البريطانية نقلا عن مقال للدكتور / محمد على البار (المدينة العدد ٩٠٩٣ فى ٢٨ / ٢ / ١٤٠٤) .

(٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٨٢ — مجلد ١٦ .

٤٠ ٪ منهم شذاذ^(١)... فكيف تكون النسبة بين أفراد المجتمع الآخرين ؟ وقد كان نتيجة ذلك كما تدل الإحصاءات :—

- مليون حالة إجهاض سنويا في الولايات المتحدة .
- مليون حالة إجهاض سنويا في أوروبا « عدا أسبانيا والبرتغال » .
- مليون حالة إجهاض سنويا في أسبانيا والبرتغال « لتحريم الدين الكاثوليكي حبوب منع الحمل ، ولكثرة السياحة هناك » .
- ٣ مليون حالة إجهاض سنويا في أمريكا اللاتينية .

— ٦٠٠.٠٠٠ حالة ولادة من سفاح في الولايات المتحدة الأمريكية ، منها ١٠٠.٠٠٠ حالة دون سن الرابعة عشرة !

(٢)
— ٨٠ ٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم وقريبا من النسبة زوجات تخن أزواجهن — أما تجارة البغاء ، فرائجة ومنتشرة رغم رواج الزنا واللواط والإباحية ، أمر تعجب له ...

وفي رأى الأوربيين في سبب انتشار البغاء أنه — بمعاييرهم المادية — أقل تكلفة من الصداقة والمخادنة .. فما يقدمه الصديق لصديقه يفوق تكلفة البغاء ، فضلا عن أن صنفا من الرجال قد لا يجد الصديقة بسهولة ، ومن ثم فهو يجد « البغى » بكل سهولة !!

والبغاء لم يعد قاصرا .. على حاملي رخصة البغاء .. إنه أحيانا يمارس من سيدة البيت المحترمة — بعلم زوجها — لتحسين حال الأسرة أو شراء شيء في البيت لا يتوفر من الدخل الثابت للأسرة !!!

هل هذه مجتمعات ينتظر لها البقاء .. أم أن الهلاك قد اقترب منها أيما اقتراب !

(١)المقال المذكور وآخر بالعدد ٦٠٥٨ في ٢٢ / ١ / ١٤٠٤ هـ والمقال يرجع الإحصاءات إلى مصادرها ، وقد وافق مجلس اللوردات على إباحة الشذوذ الجنسي في بريطانيا عام ١٩٦٥ .
(٢) راجع ماجاء بالمقاييس السابق الإشارة إليها .

— أما نسبة الجرائم فقد تزايدت بصورة رهيبه ، وفي إحصائية عن الولايات المتحدة الأمريكية : ١٧٥٠٠٠ ر. ١٧٥٠٠٠ جريمة خطيرة كل عام ، وقبض على ١٥٠٠٠٠ ر. ١٥٠٠٠٠ طفل ما بين ٧ — ١٧ سنة ، كما وصلت حالات الانتحار ٢٠٠٠٠٠ حالة كل عام .. (١)

ثانيا : آثار العلمانية في المنطقة الإسلامية

٧٠ — انتقلت العلمانية إلى شرقنا الإسلامي .. إما انحدار الماء من القمة إلى السفح ، أو انتقالها خلال الأواني المتسطرقة ، وإما انتقال الجرثومة يحملها جسد صحيح أو مريض ، أو انتقال الجرائم تنفثها حرب كيمياوية رهيبه لاترعى « ضميرا » ولا « إنسانية » والنماذج الأولى نماذج لانتقال العلمانية « تلقائيا » وفقا لسنن الكون والطبيعة ..

والتמודجان الأخيران نماذج لانتقال العلمانية وفقا « للتخطيط » المسبق أو العمد والإصرار المقترنين بالجرائم الكبيرة !

وسوف نقدم نماذج لأفراد « مرضت » ونقلت الجرائم .. ثم نقدم تحليلا للمجتمعات الإسلامية بعدما أصابها الجرائم ، ثم نماذج لبلاد إسلامية — يتهددها الخطر .. بعد أن أصيبت مجتمعاتها بهذه الجرائم !

١ — آثار العلمانية في الأفراد :-

٧١ — هذا هو النموذج الأول ، نقدمه من خلال بعض لأفراد :
في تركيا .. مثل ضياء كوك الب ، ومثل مصطفى كمال (الشهير بأتاتورك) وفي مصر .. مثل : رفاعه بك رافع الطهطاوى ، على عبد الرازق ، طه حسين ! منهم من

(١) ويشير أحد الكتاب إلى أثر العلمانية في الفكر الغربى متمثلا في :

١ — نظام الاقتصاد القائم على الربا .

٢ — القانون الوضعى المنفصل عن شرائع الله .

٣ — التعليم اللادينى المتحرر من نفوذ الكنيسة .

٤ — الديمقراطية التى تحمل الإيمان بالدولة محل الإيمان بالعقيدة .

راجع سقوط العلمانية — أنور الجندى ص ١٧ .

حمل العلمانية عن قصد .. قناعة منهم بأنها طريق التقدم ، أو عمالة منهم لحساب أعداء الله .. يأخذون مقابلها المناصب والأموال !

أوحملوها عن غير قصد .. عفاوا منهم كما يحمل الجسد الصحيح الجرثومة دون أن يحس أنه يحمل جرثومة ينقلها لبيتلى بها غيره من الأجساد الضعيفة أو قليلة المناعة .. بل لقد كانوا هم الجرثومة التي أمرضت مجتمعاتهم ولناخذ شيئا من الأمثلة لهذه النماذج « الوطنية » .

ضياء كوك الب :-

٧٢ — من أبناء تركيا ^(١) بلغ حد التأثير في الجيل التركي الجديد ، وعين أستاذا أول لعلم الاجتماع بجامعة استنبول عام ١٩١٥ م « بمواهبه الشخصية » عين عام ١٩٢٢ رئيسا للجنة التأليف والترجمة ، كان يؤيد مصطفى كمال بقوة وحماس ، وحمل لواء « علمنة تركيا » فكريا . يقول الأستاذ الندوى — أكرمه الله :-

« إن ضياء كوك دعاً بكل قوة وصراحة إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب ، وتكوينها تكوينا قوميا خالصا ، وإيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد للحضارة القديمة التي ساهم الأتراك على زعمه في تكوينها وحراستها .

يقول — أى كوك — فى مقالة له : « إن الحضارة الغربية امتداد لحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط القديمة ، وكان مؤسسو هذه الحضارة التي نسميها بحضارة البحر الأبيض المتوسط من الأتراك مثل الفينيقيين والرعاة ، لقد كان فى التاريخ عصر طوراني قبل العصور القديمة ، لأن سكان آسيا الوسطى القدامى كانوا أجدادنا ، وفى زمن متأخر جدا رقى الأتراك المسلمون هذه الحضارة ونقلوها إلى

(١) ولد بها عام ١٨٧٥ أو ١٨٧٦ (فى دياربكة) ومات فى عام ١٩٢٤ فى الثامنة أو التاسعة والأربعين ، التحق بالمدرسة الثانوية ثم العسكرية ، درس الأدب والرياضيات والتاريخ واللغة الفرنسية والعلوم الشرقية ، وكانت أفكار الثورة الفرنسية التي تسربت . أعجب بهيجل Haeckel وبشر Buchner واسبنسر Spencer ولى بون Lebon ، وسافر فى عام ١٨٩٦ إلى قسطنطينية ، التحق بجمعية الاتحاد والترقى وشارت هذه الجماعة عام ١٩٠٦ ضد النظام الجائر بقيادة ضياء ، خلخع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ ، أصدر ضياء جريدتين بيام ، Pècle (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية — الندوى ص ٣٩) .

الأوروبيين ، وبتحطيم الامبراطوريتين الرومانيتين الغربية والشرقية أحدث الأتراك انقلابا في تاريخ أوروبا ، لذلك نحن جزء من الحضارة الغربية ولنا سهم فيها » .

ثم يقول : « حين تقطع أمة شأوا بعيدا في نشوئها ، ترى من الواجب أن تغير حضارتها أيضا ، لما كان الأتراك قبائل رحالة في آسيا الوسطى دانوا بحضارة الشرق الأقصى ، ولما انتهوا إلى عصر « السلطنة » دخلوا في مساحة الحضارة البيزنطية ، والآن في طور انتقالهم إلى الحكومة الشعبية هم مصممون على قبول حضارة الغرب » .

ثم يقول : « وإن شعوبا تدين بديانات مختلفة يمكن أن تدين بحضارة واحدة ، إن اليهود واليابانيين يشاركون الأوروبيين في حضارة واحدة . »

وعلى ذلك فالدين شيء ، والحضارة شيء آخر ، وينسى الفارق بين طبيعة الدين الإسلامي والدين المسيحي فيقول : « ليس الدين اسما لمجموعة من المؤسسات المقدسة والعقائد والتقاليد ، فالمؤسسات التي لاتحمل قدسا وتمجيدا دينيا (كالأفكار العلمية التطبيقية والأدوات الصناعية ومثل الجمال) تؤلف نظاما مستقلا يخرج عن نطاق الدين والعلوم الإيجابية : كالرياضيات والعلوم الطبيعية ، وعلم النفس وعلم الحياة ، والاجتماع ، والطرق الصناعية-والفنون الجميلة لاتمت بصلة إلى الدين ، لذلك لايصح أى ارتباط للحضارة بالدين ، ليست هناك حضارة مسيحية ولاحضارة إسلامية ، فكما لايصح أن تسمى الحضارة الغربية حضارة مسيحية كذلك لايصح أن تسمى الحضارة الشرقية حضارة إسلامية . »

ثم أشار إلى سبب نهضة الروس « رغم أنهم شرقيون » « وهذه الحقيقة التاريخية تكفى لإثبات أن الحضارة الغربية هي الشارع الوحيد إلى التقدم »^(١)

« علينا أن نختار إحدى الطريقتين ، إما أن نقبل الحضارة الغربية أو نظل مستعبدين لقوى الغرب » — لا بد أن نختار أحد الأمرين .^(٢)

(١ ، ٢) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

ثم لا يترك الاختيار إلى من يخاطب بل يمضى ليقول :
(١)
« يجب علينا أن نسيطر على الحضارة الغربية لندافع عن حريتنا واستقلالنا » كل ذلك بغير إشارة واحدة إلى تميزنا بشيء عن الغرب أو احتفاظنا بشيء غير الحضارة الغربية !!

ويعلق على ذلك صاحب كتاب القومية التركية والحضارة الغربية : « وكان — أى كوك — يتخيل القومية التركية كأساس دولى عالمى ، ويرى فيها عوضاً عن الخلافة الإسلامية .. » (٢)

ثم يقول : « ومع أن دراساته عن الاجتماع والمدينة الشعبية والتاريخ ليست لها قيمة علمية كبيرة إذا قورنت بمؤلفات علماء تركيا الحاضرة وغيرها ، ولكنه لا يستهان بقيمته كزعيم لهذا الاتجاه ومؤسس هذه المدرسة » .

وإن بعض مفاهيمه نسيت أو أغفلت في تركيا الجديدة ، أو أنها تعتبر اليوم تافهة ولا يلاحظ فيها ابتكار وطرافة ، مع أنها كانت تبدو في عصره جديدة ومبتكرة فذلك لأنها أصبحت الآن حقائق ، ويتجلى من ذلك عمق تأثيره وسعة أفقه ونظره . (٣)

مصطفى كمال الشهير « باتاتورك » : —

نأخذ من كتابات معجبيه (٤) فنسجل عليه مايلي : —

٧٣ — يقول عرفان أوركا Irfan Orga « كان قليل الاختلاط في حياته المدرسية يثور ويهيج بسرعة ، شديد الغرام بالإناث ، يجذبه هذا الجنس (Sex) كالمغناطيس .

— كان يتسلى بالخمر ويشغل بها نفسه لأنه لا يجد ما يسلى نفسه وروحه كالإيمان

(١) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٢ ، ٣) المرجع السابق ١٤٢١٣ — ٣١٢٣٠ .

(٤) الذئب الأغبر لامستونج ، أتاتورك لعرفان أوركا ، مذكرات رضا نور (أحد وزراء مصطفى كمال) .

بالله واليوم الآخر ، لأنه كان لا يؤمن بهما(١)

— كان يشعر بفرح وسرور عندما يعتدى على الجنس الآخر ويسطو به وكانت هذه طبيعته التي فطر عليها ، وقد تجلت هذه الطبيعة في تصرفاته .

لم يكن يعترف بعواطف غيره لأنه لا يرى أحدا يوازيه ... (١)
— ويذكر له رضا نور في مذكراته « حوادث خلقية » نعت عن ذكرها ..

— ويمضى أوركا : « وقد هضم في شبابه مع أفكاره الثورية تعاليم ضياء كوك الب هضما جيدا ، وقد كافح ضياء كوك الب للتنور والحرية الدينية ، وكان رائد التنور الفكرى الغربى ، وقد تكهن في سنة ١٩٠٠ م بانقراض الدولة العثمانية واضطراب حبلها ...

وقد دعا بقوة إلى إلغاء الشريعة وإقصاء قضاة المحاكم الدينية الذين هم يشرحون القانون الإسلامى ويفسرونه ، وكان يرى أن تقام المحاكم الحديثة والمحاكم المدنية .

— ويذكر عنه أرمسترنج قصة لها دلالة بعيدة :

ذكر أنه تعرف أثناء حرب تركيا بفتاة أو سيدة تدعى « لطيفة هانم » وأنه حاول خلال المعارك أن يراودها عن نفسها بعد أن نقل مقر قيادته إلى « مخدعها » لكنها تأبت .. فتزوج منها .. ودام زواجه منها شهرا .. أيمن أن يكون هذا الزواج الذى شرعه رب العباد .. وقد قال الفقهاء فيه أن من شروط صحته « نية التأيد » .

وهل يمكن أن نستظهر وجود هذه النية « نية التأيد » من خلال هذه الوقائع « ؟ أم أننا يمكن أن نطرح السؤال بصيغة أخرى .. هل كانت هناك أصلا « نية الزواج » ؟!

— ويمضى « أوركا » فى تحليل لنفسيته وشخصيته فيقول : « لقد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين فإنه منافسه الأكبر ، وكان يعتقد من صغره أن لاجابة إلى الله (!!) إنه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة (١)

وكان لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس ، ويضيف أنه كان فى آخر عهده يرفع

(٢) مذكرات رضا نور — نشر ملخص لها فى مجلة المجتمع على حلقات ، وهى تحت الطبع ككتاب .

قبضته ويشير إلى السماء ساخرا مهددا (11) ، وكان يرى أن الناس قد أصبحوا فريسة الأوهام والجمود بتأثير الإسلام ، وكان يبغض الرجل الذى يخضع للقضاء والقدر ويقول : « هكذا أراد الله » « وهذا الذى قدر لى » وكان يعتقد أن لاجود للاله والإنسان يصنع قدره ، وكان يقول : إن قوة العقل وقوة الإرادة تغلبان على قوة الإله ، ومضى يقول :... لذلك لم يمنعه شىء عن أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا وشيئا لاحاجة إليه ، ولكن الذى أعطاه للأمة التركية عوضا عن الدين هو الإله الجديد أى : الحضارة الغربية .. وقد تعلم من تاريخ المرثيات الأخرى أن الآلهة القديمة تموت بصعوبة وعسر .. لذلك لا تخرج عقيدة الإله من قلب الأمة التركية إلا بعد مدة طويلة .

وفى موضع آخر :

« وكان يبغض الإسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بغضا شديدا .. وكان يقول .. نحن فى طريق الحضارة والمدنية ويجب أن نعتز بذلك ونفتخر ، انظر إلى المسلمين من نواحي العالم الإسلامى ماذا يعانون من المصائب والنوازل والدمار ؟ — لماذا — لأنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا عقولهم للانسجام مع هذه الحضارة السامية المشرقة⁽¹⁾ وهذا سبب بقائنا مدة طويلة فى الحضيض ووراء الركب ... وفى موضع ثالث يتحدث عن بعده عن الدين بل رفضه له :

« لم يكن ذلك سرا أن مصطفى كمال رمى المصحف على رأس شيخ الإسلام ... » ثم يعود لحديث الحضارة : « .. وكان يعبد هذا الإله الجديد (الحضارة الحديثة) بحماس ولهفة ، وكان له دائما أبدا وفيا ، وقد نشر هذه الكلمة « الحضارة » من أقصى البلاد إلى أقصاها ، وعندما يتحدث عن هذه الحضارة تتقد عيناه لمعا وإشراقا ، ويظهر على وجهه إشراق كإشراق الصوفية عند مراقبة الجنة .

وأما تصوره للحضارة فتدل عليه كلماته ثم أفعاله : —

٧٤ — أما كلماته :

يقول مصطفى كمال لشعبه : « يجب علينا أن نلبس ملابس الشعوب المتحضرة

(١) المرجع السابق : ٢٧ .

الراقية (١) وعلينا أن نبرهن للعالم أننا أمة كبيرة راقية ، ولا نسمح لمن يجلبها من الشعوب الأخرى بالضحك علينا وعلى موضتنا القديمة (١) نريد أن نسير مع التيار والزمن . (١)

وفي مناسبة إلغاء الخلافة « ٢ آذار / مارس ١٩٢٤ » تقياً قيحا وصديدا فقال :

« إن الامبراطورية العثمانية قامت على أسس الإسلام ، إن الإسلام بطبيعته ووضعه (عربي) وتصوراته (عربية) وهو ينظم الحياة من ولادة الإنسان إلى وفاته ، ويصوغها صياغة خاصة « انظر كيف كان يعلم حقيقة الإسلام » ، ويخفق الطموح في نفوس أتباعه ، ويقيد فيهم روح المقاومة والاقترام ، والدولة لاتزال في خطر مادام الإسلام دينها الرسمي » . (٢)

وأخيرا فقد كان يردد :

« أنا تركيا ، هزمتى هزيمة تركيا .. » (٣) وفي مكان آخر : « انتصرت على العدو وفتحت البلاد هل أستطيع أن أنتصر على الشعب .. » ؟

فضلا عن كفره وجحوده بالدين .. فقد كان رجعيا في تعبيره إذ استعمل تعبير لويس السادس عشر : الدولة هي أنا L'état C'est Moi وكان يتمنى الانتصار على الشعب !!

٧٥ — وأما أفعاله :—

فقد ذكر مادحوه قبل قاده ا

(١) منع الطربوش ، وإلزام القبعة .. حتى سميت معركته فيها « حرب القبعة

(١) المرجع السابق ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٥ .

الدموية « (!)

- ٢) إعدام رجال الطبقة الدينية .
 - ٣) طرد الخليفة وإلغاء الخلافة .
 - ٤) جعل الدولة عَلمانية .
 - ٥) العمل بالقانون المدني السويسرى .
 - ٦) العمل بالقانون الإيطالى الجنائى .
 - ٧) العمل بالقانون التجارى الألمانى .
 - ٨) منع التعليم الدينى .
 - ٩) إلغاء الحجاب وفرض السفور وتقرير التعليم .
 - ١٠) إلغاء الحروف العربية وفرض الحروف الاتينية .
 - ١١) منع الآذان بالعربية وفرضه بالتركية ، ذكر مؤلف : « الرجل الصنم » أنه سمع الآذان يوما يردد : « أشهد أن محمدا رسول الله ... فقال كيف يذكر اسم هذا الرجل » يعنى رسول الله ﷺ « خمس مرات فى اليوم أكثر مما يذكر اسمه (!!!) » ويذكر أن هذا كان سبب تحطيم مئذنة جامع أيا صوفيا وتحويله إلى متحف .
- وفى عبارة موجزة « لقد حطم الأساس الدينى ، وغير وجهة نظر الشعب التركى والحكومة التركية » .^(١)

٧٦ — وفى تقويم سريع لمصطفى كمال ، نقول بعون الله :

أنه أحدث وقتها ردود فعل مختلفة :

- فالجاهلون والحمقى والخائنون^(٢) .. أعجبوا به أيما إعجاب ، وتمثل الإعجاب فى تقليد البعض له أو إعلان الإعجاب بمبادئه ، وتقليد خطواته مع شىء من التنقيح أشرنا إليه عند الحديث عن صناعة الزعماء .
- وأعداء الله ... قد سجلوا إعجابهم كذلك وبدأت من بعدها صناعة

(١) ارسترنج فى : Grey Woolp - P. 287 .

(٢) وبلغ الإعجاب حد قبول بعضهم أن يكون طبعة جديدة له .

الزعماء . (١)

— أما المسلمون ... فقد انقسموا فريقين : الغالبية العظمى .. لم تملك غير الدموع تسكبها على الخلافة وتسجل حزنها على ذهابها ، وترجمها البعض ترجمة شعرية أمينة . (٢)

أما الأقلية فلجأت إلى العمل .. فكان في مقدمتهم إمام ملهم .. أقام جماعة في

(١) وقد بدأت من يومها في المنطقة الإسلامية صناعة جديدة هي : صناعة الزعماء .. وقد أشار إليها صاحب كتاب لعبة الأمم حين أشار إلى أنهم لو لم يجدوا « ناصرا » لصنعوا « ناصرا » وقد كان المذكور هو الطبعة المسقحة لمصطفى كمال وكان لا يكم إعجابه بمصطفى كمال ، أما الطبعة الثانية من مصطفى كمال فقد كان أنور السادات الذى أعلن أكثر من مرة إعجابه وإعجاب أبيه بمصطفى كمال ، كما كان يردد شعار العلمانية التى أكدها في تركيا مصطفى كمال .. لادين في السياسة ولاسياسة في الدين .

| | |
|---|--|
| و نعتت بين معالم الأفراح ودفنت عند تبلج الإصباح في كل ناحية وسكرة صاح وبكت عليك بمالك ونواح تبكى عليك ، بجمع سحاح أحما من الأرض الخلافة ماح قتلت بغير جريرة وجناح ونضوا عن الأعطاف خير وشاح قد طاح بين عشية وصباح كانت أبرر علائق الأرواح في كل غدوة جمع غداة ورواح كيف احتيالك في صريع الراح (*) والناس .. نقل كتائب في الساح لم تسلم بعدد عبادة الأشباح حتى تناول كل غير مباح | (٢) عادت أغاني العرس رجح نواح كفنت في ليل الزفاف بثويه شيعت من هلع بعيرة ضاحك ضجت عليك مآذن ومنابر الهند والهة ومصر حزيننة والشام تسال والعراق وفارس باللرجال لحة موعودة خلعوا عن الأعناق خير قلادة حسب أتى طول الليالي دونه وعلاقة فصمت عرى أسبابها نظمت صفوف المسلمين وخطوهم إن الغرور سقى الرئيس براحه نقل الشرائع والعقائد والقبرى تركته كالشبح المؤله أمة هم أطلقوا يده كقسيصر فيهمسو |
|---|--|

* * *

| | |
|--|--|
| يدعو إلى الكذاب أو لسجاح (*) (*) فيها يساع الدين يسع سماح وهوى النفوس وحقدما الملحاح | فانسمعن بكل أرض داعيها ولتشهدن بكل أرض فتنه يفتى على ذهب المعز وسيفه |
|--|--|

(*) براحة أى بخمرة إشارة إلى نشوة الغرور بالانتصار الزائف والراح هي الخمر .
(*) (الكذاب : هو مسيلمة الذى ادعى النبوة ، وسجاح امرأة فعلت مثله) أمير الشعراء أحمد شوق .

مقدمة أهدافها « إعادة الخلافة الإسلامية العظمى » .. مرة أخرى ، وأن تحفظ بأن دون ذلك خطوات .. وخطوات .^(١)

٧٧ — وأما نهايته ، فقد سجلتها له وثيقة عرفت أخيرا ، لقد كان يريد أن يستخدم سلطته الدستورية في اختيار خليفة له فاختار السفير البريطاني ليحكم الشعب^(٢)

(١) راجع ماكتبه الأستاذ الندوى تحت عنوان « تأثير أتاتورك في العالم الإسلامي » وإن اكتفى بتسجيل الشعور الأول .

(٢) نشرت (صنداى تايمز) صفحة من أغرب صفحات أسرار التاريخ الدبلوماسى بعنوان « كيف رفض رجلنا أن يحكم تركيا » ، قالت الصحيفة : « أنه في نوفمبر ١٩٣٨ كان كمال أتاتورك رئيس تركيا يرقد على فراش الموت وعلى امتداد ١٥ سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرر تركيا رغم أنها ويدخلها إلى القرن العشرين ، ومنع لباس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية . وعندما قد أتاتورك على فراش الموت كان يخشى أولا أن لا يجد شخصا يخلفه قادرا على استمرار هذا العمل الذى بدأه فاستدعى السفير (بيري لورين) السفير البريطانى إلى قصر الرئاسة في استانبول

أما مادار بينهما فقد ظل سرا أكبر من ثلاثين عاما ، وما هو اليوم يكشف النقاب عنه — لأول مرة — على يد (بيرز ديكسون) عن حياة والده (السير بيرسون ديكسون) فقد كان بين أوراق (ديكسون) برقية بعث بها (بيرس لورين) إلى اللورد (هاليناكر) وزير الخارجية وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة تاريخية في التاريخ البريطانى المعاصر على الإطلاق ففيها يروى (لورين) تفاصيل مقابله غير المألوفة مع الدكتاتور ، المختصر :
عندما وصلت .. وجدت صاحب الفخامة يجلس على فراشه تستند به بعض الوسائد ويحيط به طبيب وممرضتان .. وما أن دخلت حتى نادى الرئيس الطبيب والممرضتين قائلا لهم : إنه سيضرب لهم الجرس إذا احتاج لهم ، وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن به نية ١٥.١٥ يده رقال لى : إته أرسل فى طلبى لأنه يريد أن يطلب منى طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جواى عليه بطريقة قاطمة .

ولقد كانت صداقتى ونصيحتى إليه هى الوحيدة التى كانت ثابتة لانتغير وكان هذا هو السبب الذى جعله يستشيرنى فى مناسبات متعددة .. بحرية تامة كما لو كنت وزيرا فى مجلس الوزراء التركى . ولقد كان من سلطاته كرئيس للجمهورية أن يختار خليفة له قبل وفاته ، وقد كانت أخلص رغبة له هو أن أخلفه فى منصبه الرئيس ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلى لمثل هذا الاقتراح . وبعد بضع دقائق من التفكير الصامت قلت لفخامته : إن جواى هو ألى عاجز تماما عن أن أجد الكلمات التى تعبر عن مشاعرى بصدق أو بما فيه الكفاية ، وبالفعل فقد كانت مشاعرى فى هذه اللحظة مهزوزة بأعمق مما أستطيع أن أذكر أننى أحسست به من قبل أى وقت آخر من حياتى ، فهذا الاقتراح أطلال فخامته لونا فريدا من الشاء والمدبح للشخصى أنا فحسب ، وإنما للسياسة الخارجية لحكومة صاحب الجلالة ... ولكننى كنت أشك تماما فيما إذا كانت أفضل ملكاتى تتركز فى المقدرة الادارية كما أن مسؤوليات السفير البريطانى تختلف تماما عن مسؤوليات رئيس الجمهورية التركى ، وأضفت بأن قدراتى وتخبرتى تليق أكثر ما تليق باستمرارى فى صفتى الثانية ، وعلى ذلك فإننى لأجد سوى أن أعتذر آسفا ولكن بحزم ... (راجع كتاب — الرجل الصنم — وقد أشار إلى تفصيلات أخرى ...) .

التركي المسلم !! .

رفاعة بك الطهطاوى :-

٧٨ — لا يزال هذا الاسم يقرب « بحرية الفكر » فما هي القصة ؟
رجل من صعيد مصر .. الذى يلتزم الكثير من التقاليد وهو فضلا عن ذلك ..
من علماء الأزهر الشريف .

كان ابتعائه فى أول بعثة ذهب فى عهد محمد على إلى أوروبا ، وقد طلب الأخير
إلى شيخ الجامع الأزهر « الشيخ العطار » اختيار إمام (!!) للدعوة فوقع اختياره على
الشيخ الطهطاوى ، وقد كان يعامل ماليا معاملة « اليوزباشى »^(١) وصحبه مدير
البعثة الفرنسى مسيوجومار والمستشرق البارون دى سامى .

وتعلم رفاعة اللغة الفرنسية ثم درس التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب الفرنسية ،
وقرأ مؤلفات فولتير وجان جاك روسو ، ومونتسكيو وراسين ، كما كان يجتمع بطائفة
من العلماء والمستشرقين .

ابتعث إلى باريس بين عام ١٨٢٦ — ١٨٣١ وعاد فألف :

* * مناهج الألباب المصرية فى مباحج الآداب العصرية :

* * المرشد الأمين للبنات والبنين .

* * تلخيص الإبريز فى وصف باريز « يقصد باريس » عاصمة فرنسا .

وكان من آرائه التى حملها :

(١) جميع ما يجب على المسلم للمسلم يجب على أعضاء الوطن « تعبير جديد » ،
من حقوق بعضهم على بعض ، لما بينهم من الحقوق الوطنية ، فضلا عن الحقوق
الدينية ، فيجب أدبا (١) لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكميل
نظامه . (٢)

(١) رتبة عسكرية تساوى « النقيب » حاليا .

(٢) مناهج الألباب .. ص ٦٦ . مصر ١٢٨٦ هـ .

٢) ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الكلم عند الفرنسيين ، وهي من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم إلى درجة عالية .. ومايسمونه بالحرية عندهم ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عندنا العدل والإنصاف ، وذلك لأن معنى الحكم بالحرية هو التساوى فى الأحكام والقوانين ، فهذه البلاد حرية بقول الشاعر :
وقد ملأ العدل أقطارها وفيها توالى الصفا والوفا^(١)
٣) ويصل إلى أن مدينة الغرب تقدم على نفس أسس مدينة الدين ، إن صح التعبير .

لأن من زاول علم أصول الفقه ، وفقه ما شتمل عليه من الضوابط والقواعد جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول أهالى باقى الأمم المتمدنة إليها وجعلوها أساسا لوضع قوانينهم « قوانين تمدنهم » وأحكامهم قل أن تخرج عن تلك الأصول التى بنيت عليها الأصول الفقهية ، التى عليها مدار المعاملات فيما سمي عندنا بعلم أصول الفقه ، يشبه مايسمى عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية ، وهو عبارة عن قواعد عقلية تحسينية وتقبيحية ، يؤسسون عليها أحكامهم المدنية ، وما نسميه بالعدل والإحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية ، وما يتمسك به أهل الإسلام من محبة الدين والتوسع بحمايته ، مما يفضلون به على سائر الأمم فى القوة والمنعة يسمونه محبة الوطن .^(٢)

٤) وبالجملة (فالتياترو) (أى المسرح) عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل .^(٣)

٥) وأن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتى من كشفهن أو سترهن (!!) بل منشأ ذلك التربية الجيدة والحسيسة ، والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك فى المحبة بين الزوجين^(٤)

٦) أن الرقص عندهم فن من الفنون ... فهو نظير المصارعة فى موازنة الأعضاء ودفع قوى بعضها إلى بعض ، فليس كل قوى يعرف المصارعة .. وما كل راقص

(١) مناهج الألباب .. ص ١٠٥ .

(٢) ، ٣ ، ٤) تلخيص الإبريز ص ١٦٦ .

يقدر على دقائق حركات الأعضاء ، وظهر أن الرقص والمصارعة مرجعهما شيء واحد يعرف بالتأمل ، ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس ، وكأنه نوع من العياقة والشلبنة (الأناقة والفتوة) ، بخلاف الرقص في أرض مصر فإنه من خصوصيات النساء لأنه لتبهيج الشهوات ، أما في باريس فإنه نمط مخصوص لايشم منه رائحة العهر أبدا ! ، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها ، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية ، وهكذا سواء كان يعرفها أم لا . (١)

٧٩ — وقد علق على ذلك أحد الكتاب : (٢)

يزعم فريق من الناس أنهم ملائكة مطهرون ، ويخاصر أحدهم المرأة الناعمة الحسنة بيسراه وأصابع يمينه تضغط أنامل يسراها ، وصدرة على نهدها ، وعيناها تناجيان عينيها ، وشذى عطرها يسكره ، وبخار لهيبه يحرقها ، والساق تلتف بالساق حيناً ويتجاوزها حيناً آخر ، والقندان يمسيان ذات اليمن ، وبموجان ذات الشمال ، كل ذلك ودقات « الجازباندا » هائجة تثير من الغرائز وتفور بها كما يفور التنور ، والأضواء تسطع تارة لتبهر الأبصار وتضؤل أخرى لتوحى إلى المتخاصرين أشجان الظلام وصاحبنا لحم ودم ، وصاحبتنا لحم ودم ثم يزعم هو و تزعم هي أنهما يفعلان طلبا للرياضة البدنية الطاهرة ، وتنشيطا للدورة الدموية الراكدة ، كما يمشی الجندي على أنغام الموسيقى ، وكما يلاعب الرجل صاحب كرة القدم .

٨٠ — وفي تقييم سريع لرفاعة رافع الطهطاوى نقول بعون الله :

إنه فيما يبدو لنا — لم يكن عامدا إلى العلمانية عالمها بها ، وإنما حدث لديه « خلط » و« خبط » نتيجة الانتقال من « الانغلاق » إلى « الانفتاح » فأفلت منه الزمام .. فجعل حقوق الوطنية كحقوق المسلم على المسلم .. مع اختلاف النبعين اختلافا بينا ... اختلاف الأرض عن السماء ! وخلط الحرية التي قيل إنها تعنى الانطلاق من كل قيد حتى قيد الدين بالعدل والانصاف المستمد من الله العدل في كتابه العدل !

(١) المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٢) محمد توفيق دياب (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ٢ ص ١٩٧) .

وخلط كذلك بين أصول الفقه التي تقوم عليها الاجتهادات الفقهية التي غايتها بيان حكم الله في أمر من الأمور ، خلط بينها وبين الأسس التي تقوم عليها قوانينهم وهي أسس وضعية لا تخلو من الظلم والهوى والباطل والقصور ! صورة من النبع الذي استقت منه !

ثم يخبط بعد ذلك في حديثه عن « التياترو » « المسرح » ، وحديثه عن مصدر العفة في النساء ، وحديثه عن الرقص الذي تتلاصق فيه الأجساد وتختلط الأنفاس وترقص حوله الشياطين ... فينفى عن هذا اللون من الرقص عهر ... وقد قسونا على الرجل في غير هذا المكان .. (١) لكننا نحسبه من « الجاهلين » والله يغفر لنا وله ، آمين .

على عبد الرازق :-

٨١ — أحد علماء الأزهر ومن تلاميذ الشيخ محمد عبده (٢) كان يعمل قاضيا شرعيا ، أخرج كتابه « الإسلام وأصول الحكم » غداة إلغاء الخلافة ، قيل إن المندوب السامى البريطانى كان يسانده ، ولذا وجه إليه فاتحة الكتاب ، ولاذ به من إيذاء المؤذنين ، وقيل إن ذلك كان في مواجهة الحملة التي قادها الأزهر بتشجيع من ملك البلاد (٣) الذي كان يشرب لتكون إليه الخلافة بعد إلغائها في تركيا وطرد خليفتها .

وأيا كانت الظروف والأسباب فإننا نترك لكلمات الرجل الحكم عليه :-

أ) أنكر أن تكون الخلافة أو القضاء أو وظائف الحكم ومراكز الدولة جميعا من الدين في شيء ووصفها بأنها « خطط دنيوية صرفة ، لاشأن للدين بها ، فهو — أى

(١) الغزو الفكرى للمؤلف بالاشترك .

(٢) يقول : H.R. Gibb وقد بدأ تلاميذ الشيخ محمد عبده المخلصون حتى في حياته يظهرون بمظهر واضح صريح ، وقد كان هو نفسه في مادة العقيدة يعارض قبول كل شيء دون مناقشة ، أى يعارض (التقليد) كما يقال في الإسلام ، وهذا الآن يعتبر لبنة في بناء الحركة المتميزة أو خشية الخلاص في حركة التحرر العلمانية . (الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٧٢) .

وفي مكان آخر « إن تلامذته الحقيقيين يمتزجون بالصفوف التي أنشئت لإنشاء أوروبا ويضمون للحلقات العلمانية (الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٨٤) .

(٣) الملك فؤاد الأول .

الدين — لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسية » . (١)

(ب) اتبع طريقة « التساؤل لإثارة الشك أو التشكيك .. فكان منها : هل جمع رسول الله ﷺ بين الرسالة والملك ، أم انحصرت كل مهمته في الرسالة ؟ .. ثم يمضى : لايهولنك البحث في أن الرسول ﷺ كان ملكا أم لا ، ولا تحسبن أن ذلك البحث ذو خطر في الدين قد يخشى شره على إيمان الباحث ، فالأمر إن فطنت إليه أهون من أن يخرج مؤمنا من حظيرة الإيمان ، بل أهون من أن يزحزح المتقى من حظيرة التقوى . » (٢)

(ج) إذا ترجح عند بعض الناظرين اعتبار تلك الأمثلة ، واطمأن إلى الحكم بأنه ﷺ كان رسولا وملكاً ، فسوف يعترضه عندئذ بحث آخر جدير بالتفكير فهل كان تأسيسه ﷺ للمملكة الإسلامية وتصرفه في ذلك جانب شيئا خارجا عن حدود رسالته ﷺ ، أم كان جزءا مما بعثه الله له وأوصى به إليه ؟

(د) ثم يعود إلى أسلوب « لبس الحق بالباطل » فيقول : « ولاية الرسول على قومه ولاية روحية ، منشؤها إيمان القلب وخضوعه خضوعا صادقا تاما يتبعه خضوع الجسم وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال تلك ولاية هداية من الله وإرشاد إليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض ، تلك للدين ، وهذه للدنيا ، تلك لله ، وهذه للناس ، تلك زعامة دينية ، وهذه زعامة سياسية ، ويبعد ما بين السياسة والدين » (٣)

(هـ) ثم يعود للتساؤل المشير إلى الشك أو التشكيك : « هل كان له ﷺ صفة غير صفة الرسالة بها يقال أنه أسس فعلا أو شرع في تأسيس وحدة سياسية أم لا ؟ وهل كانت زعامة النبي ﷺ في قومه زعامة رسالة أم

(١) ص ١٨٢ من المرجع المذكور — نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت — الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .

(٢) المرجع المذكور ص ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٧ .

زعامة ملك ١٢»

وهل كانت مظاهر الولاية التي تراها أحيانا في سيرة النبي ﷺ مظاهر دولة سياسية أم مظاهر رياسة دينية ؟

وهل كانت الوحدة التي قام على رأسها النبي عليه الصلاة والسلام وحدة حكومة ودولة ، أم وحدة دينية صرفة لاسياسية ؟ وأخيرا هل كان ﷺ رسولا فقط أم كان ملكا ورسولا ؟ (١)

و) ويجاول الإجابة بعدما أشار :

« لعلك الآن اهتديت إلى ماكنت تسأل عنه قبلا ، من خلو العصر النبوي من مظاهر الحكم وأغراض الدولة ، وعرفت كيف لم يكن هناك ترتيب حكومي ، ولم يكن ثمة ولاية ولاقضاة ولاديوان ، ولعل ظلام تلك الحيرة التي صادمتك قد استحال نورا ، وصارت النار عليك بردا وسلاما » .

وأخيرا يكشف الأوراق فيصرح : « لاشيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق (٢) الذي ذلوا له واستكانوا إليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية ، وأمتن مادلت عليه تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم » .

٨٢ — وفي تقويم سريع :

حمل على عبد الرازق بطريقة التساؤل والتشكيك فكرة فصل الدين عن السياسة ذلك الفكر الذي تردد من قبل على السنة دعاة العلمانية في الغرب ، وراح يدعم رأيه بأمور من السيرة يلتوى فيها التواء .. ولم يقدم دليلا واحدا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ...

— وفي رد سريع على : على عبد الرازق نقول بعون الله :

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢) يقصد نظام الخلافة (III) كما هو واضح من السياق .

لقد كان تعريف الخلافة التي يحاول إبعادها عن الدين « خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا » ، والبعض يجعل العبارة الأخرى وسياسة الدنيا به « وهي مفهومة بالضرورة من السياق .

ومعنى ذلك أن سياسة الدنيا قسم لا قسم ، فسياسة الدنيا لا تكون بغير الدين .. ومن ثم فلا فصل بينها وبين الدين ، والدولة والحكومة والتشريع وغير ذلك من وظائف الدولة مسخرة في حراسة الدين ، وفي سياسة الدنيا بهذا الدين ، أيجتاج ذلك القول بعد ذلك إلى بيان ؟!

— ونعرض بعد ذلك عن البحث وراء النوايا ...

هل كان على عبد الرازق مسخرا للاستعمار البريطاني الجاثم على أرض مصر ، والذي كانت دولته العظمى تقف بالدرجة الأولى وراء إلغاء الخلافة فيما تمثّل بشروط كبرزون وزير خارجيتها ؟

أم كان ماردده على عبد الرازق « زلة عالم » سقط فيها تأثرا بالفكر الوافد .. ؟

— بعبارة أخرى وعلى طريقته :

هل ارتكب ما ارتكبه عامدا عالما .. أم ارتكبه جاهلا غير عامد ؟ وهل يقبل من مثله في ثقافته ، ومنصبه ادعاء الجهل ؟ وادعاء العفو .. ؟ وأخيرا .. هل صح أنه عاد عما كتب ، وإن لم تنشر تلك الأوبة وهذه التوبة .. ؟!

— أسئلة نعرض عنها مكتفين بما سجلناه موضوعيا من أنه حمل — إن عمدا وإن جهلا — فكر العلمانية الفاصلة للدين عن الدولة أو للدين عن السياسة — والله أعلم .

وأخيرا .. نختم بطله حسين :—

٨٣ — الذى ثار حوله ما قيل من محاولة « هدم الشواخ » !

ونأخذ طه حسين من لسانه :

أم « السبيل إلى ذلك ليست في الكلام يرسل إرسالا ، ولا في المظاهر الكاذبة

والأوضاع المملقة ، وإنما هى يعنى الطريق — واضحة بينة — مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهى واحدة فذة ليس لها تعدد : وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ونكون لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ومايجب منها ومايكره ومايحمد منها ومايعاب ومن رعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع »

(ب) وفى حديثه « عن الأم التى أرضعته » يقول :

« كل شىء فى فرنسا يعجبني ويرضيني ، خير فرنسا وشرها حلو فرنسا ومرها ، نعيم فرنسا وبؤسها ، كل ذلك يروقني ويلذني وتطمئن إليه نفس اطمئنانا غربيا ، إني أحسب أن نفسى تسبق القطار إلى باريس على سرعة القطار (!) »

(ج) وفى حديثه عن أحد أساتذته « كازانوف » :

« عرفته أستاذا فى (الكوليج دى فرانس) ولم أكد أسمع له حتى أعجبت به إعجابا لم أعرف له حد ، كان يفسر القرآن (!) وكنت حديث العهد بباريس كنت شديد الإعجاب بطائفة من المستشرقين ، ولكن لم أكن أقدر أن هؤلاء المستشرقين يستطيعون أن يعرضوا فى إصابة وتوفيق لألفاظ القرآن ومعانيه ، والكشف عن أغراضه وأسراره ، فلم أكد أجلس إلى كازانوف حتى تغير رأبى ، أو قل حتى ذهب رأبى كله ، وماهى إلا دروس سمعتها منه حتى استيقنت أن الرجل كان أقدر على فهم القرآن وأمهر فى تفسيره من هؤلاء الذين يحتكرون علم القرآن ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق فى تأويله (!) »

فتنت بهذا الرجل (!) لا لأنه كان عالما صادقا (!) ولا لأن منهجه فى البحث كان منهجا دقيقا بل لهذا ولشئ آخر خيرا من هذا ، كان حرا خصبا رفيعا لا يتعصب لرأبى ولا يتأثر بهذه العواطف المنكرة التى تفسد على الناس علمهم وأدبهم وفنهم وحياتهم العقلية والشعورية بوجه عام .

كان « كازانوف » مسيحيا شديدا الإيمان بمسيحيته يذهب فيها إلى حد التعصب

ولكنه كان إذا دخل غرفة الدرس في « الكوليج دي فرانس » نسي من المسيحية واليهودية والإسلام كل شيء إلا أن لها نصوصا يجب أن تخضع للبحث اللغوي ، كما تخضع المادة الصماء يتناولونها في معاملهم بما يشاؤون من ألوان البحث والإمتحان (١) نعم لم يكن مسيحيا ولا يهوديا ولا مسلما حين كان يعرض لنص من النصوص القرآنية يدرس لفظه ويكشف عن معناه « (١)

(د) وفي مكان آخر يردد دعوة سلفه التركي ضياء كوك :
« إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط » (٢)

« إن من السخف الذى ليس بعده سخف واعتبار مصر جزءا من الشرق .
اعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين » . (٣)

(هـ) ويدعو دعوة صريحة :

« أن نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يجب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب ، وأن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها . (٤)

٨٤ — وفي تقويم سريع لطفه حسين نقول :

إن نشأته التى كتب عنها فى الأيام وماتعرض له من بؤس فى طفولته ، وماتعرض له فى صباه وشبابه إبان دراسته فى الأزهر مع تقدير فقدانه لبصره ... كل ذلك جعله ينفر من مجتمعه الأصيل ، فلما انتقل إلى المجتمع الفرنسى ، ووجد منه عطفًا وتعاطفًا حقيقًا أو مصطنعًا ، عفويا أو مخططًا ... وأحيط بالمستشرقين من أساتذة يعرضون ما عندهم عرضا علميا شيقا يأخذ بالألباب ،

(١) طه حسين ، حياته وفكره فى ميزان الإسلام — أنور الجندي ص ٣٦ — ٣٧ .

(٢) (٤٤،٣،٢) مستقبل الثقافة ص ٤١ — ٤٤ .

ثم أحيط بجنان الأسرة التي زوجته إحدى بناتها ، وهو بعد في مصر ربما لم يجد من يقبل به ... ثم اللقب الذي حظى به من السوربون « دكتور » .

كل هذه الظروف وغيرها وراء التحول النفسى الكبير ، الذى صاحبه أو أعقبه تحول عقلى كذلك .. دفع طه حسين أن يحب في فرنسا حتى بؤسها ومرها وشرها ، وجعل نفسه تسبق القطار إلى باريس حين يرتادها ! وجعله يفضل « كازانوفيا » على الذين يبتكرون علم القرآن ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق في تأويله ! مع أن الأول في اعترافه « مسيحي متعصب » .. والآخرون مسلمون أيا كانت درجة إسلامهم !

فطه حسين وقع فيما يخالف الفطرة .. أن يحب فرنسا أكثر من وطنه ، وأن يحب قومها أكثر من قومه ... على النحو الذى قدمنا ، والحكمة ضالة المؤمن : بلدى وإن جارت على عزيزة وأهلى وإن ضنوا على كرام فإذا أضفنا للفطرة الدين وهو كذلك فطرة ، فالبلد مسلم وأهل القرآن مسلمون .. أما الآخرون فقد وصفهم هو بأنهم « متعصبون » !

* * * *

٢ — آثار العلمانية في المجتمعات الإسلامية :

٨٥ — لاجرم أن المخططين لنقل العلمانية .. بحثوا علميا عن وسائل النقل السريعة والمؤثرة ..

فكان اهتمامهم بالتعليم

وكان اهتمامهم بالإعلام

وكان اهتمامهم بإقصاء الحكم عن الدين

وسوف ننظر في هذه الثلاثة ، ثم ننظر في آثار العلمانية في الأخلاق

والتقاليد ! .

أ - علمنة التعليم :

٨٦ — لقد سلك الناس مسالك مختلفة في التعريف بالتعليم ، ولكن الفكرة الأساسية التي تسيطر عليها جميعا أن التعليم هو الجهد الذي يقوم به آباء الشعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها .
إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ ، القوى الروحية التي تتصل بفطرية الحياة ، وترى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدتها إلى الأمام .

إن جون ديوي John Dewey الذي كان تأثيره في نظام التربية الأمريكي أكبر من تأثير كل رجل في هذا العصر ، يقول في كتابه « الديمقراطية والمعارف » Democracy and education إن الأمة إنما تعيش بالتجديد ، وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها وتصوغهم في قوالب عقائدها ، ومناهج حياتها .

ويقول البروفسور كلارك Prof Clark : مهما قيل في تفسير المعارف فمما لا يحصى عنه أنه سعى للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها ، وعليها تقوم حياة الأمة وجهادها في سبيل تخليدها ، ونقلها إلى الأجيال القادمة لذلك ليس من المعقول وليس من الجائز أن تستورد أمة شخصيتها ورسالتها ، ولها عقائدها ومناهج حياتها ، ولها طبيعتها ونفسيته ، ولها تاريخها وماضيها ، ولها محيطها الخاص وظروفها الخاصة ، ليس من المعقول أن نستورد نظاما تعليميا من الخارج ، ولا أن نكل وظيفة التعليم والتربية وتنشئة الأجيال وصياغة العقول إلى أناس مهما بلغوا من البراعة في تدريس مواد تعليمية ، وإتقان اللغات والفنون لايؤمنون بهذه الأسس والعقائد ولايتحمسون لشرحها وتعزيدها ، يقول الأستاذ الأمريكي Dr . J.B. Conanr في كتابه Education And Liberty إن عملية التعليم ليست عملية تعاط وبيع وشراء وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم

الإنجليزية أو الأوربية إلى بلادنا .

« هذا مع ملاحظة تقارب البلدين : دينا ولغة وحضارة !! » .

ويقول عالم سوفيتى كبير (فى نظرهم) : « إن العلم الروسى ليس قسما من أقسام العلم العالمى ، يشغل فى البلاد السوفيتية إنه قسم منفصل بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف فإن سمة العلم السوفيتى أنه قام على فلسفة واضحة متميزة ، إن التحقيقات العلمية لاتزال فى حاجة إلى أساس ، وإن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المثالية التى قدمها مركس وانجلز ولينين وستالين ، إننا نريد أن نخوض (وفى أيدينا هذه الفلسفة) فى معترك العلم الطبيعى ونصارع جميع التصورات الأجنبية التى تناهض فلسفتنا الماركسية بكل عزم وقوة . »^(١) وفى تعبير آخر :

« إن التعليم هو الحامض الذى يذيب شخصية الكائن الحى ، ثم يكونها كيف يشاء ، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرا من أى مادة كيميائية ، هو الذى يستطيع أن يحول جبلا شائخا إلى كومة تراب » .^(٢)

وفى مكان آخر : « إياك أن تكون آمنا من العلم الذى تدرسه ، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها » .^(٣)

ثم يقول : « يالبلادة فرعون الذى لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد ، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحداث فى التاريخ . »^(٤)

ويقول « جب » :

« التعليم أكبر العوامل الصحيحة التى تعمل للاستغراب ، والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة التعليم ماتدل عليه ، ولاتستطيع الحكم على مدى الاستغراب فى العالم الإسلامى إلا بمقدار دراسة الفكر الغربى والمبادئ والنظم الغربية ، إن إدخال طرائق جديدة فى الفكر فى البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاما جديدا فى

(١) نقلا عن الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ونقلا عن : From Hitter to Britber .

(٢) نقلا عن الشاعر الإسلامى أكبر (الاله آبادى) راجع الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .

التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال إلى الدراسات العالية .. فقد انتشر في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية ولاسيما تركيا وسوريا ومصر ، يرجع غالبا إلى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة .. هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت ذوقهم ، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوربية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالموثرات التي فعلت فيهم فعلمها أيام الطفولة وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نُفذت هذه الخطة إلى أبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند .» .

— ويقول اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني (وهو من أخطر من حكموا مصر إبان فترة احتلالها المشعوم) :

« إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ! والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا في طريق أى إصلاح تعليمي ، وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الديني ولايصيبون إلا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير والتقدير ، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه خطوة جلييلة الخطر .

ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح الأمل محصورا في إصلاح التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين : فإما أن يتطور ، وإما أن يموت ويختفى » . (١) .

— ويقول عميد المبشرين زويمر في (مؤتمر القدس عام ١٩٣٥ م — ١٣٥٤ هـ) :

(١) تقرير لورد كرومر لسنة ١٩٠٦ الفقرة ٣ ص ٥ الاتجاهات الوطنية د / محمد محمد حسين ج ١ ص ٢٧٥ .

« لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن ١٩ إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، وأنكم أعددتُم نشئا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها .. وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية . » (١)

— ونختم هذه المقتطفات بقول « عميد » الأدب العربي : وقد تولى يوما منصب وزير التعليم : « التعليم عندنا على أى نحو قد أقمنا صروحه ، وضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوربي الخالص ، مافى ذلك شك ولا نزاع ، نحن نُكُونُ أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكوينا أوربيا لاتشويه شائبة » (٢)

ثم يمضى : « إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين » . (٣)

ويختم : « .. أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ولنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب (!!) » (٤) « وأن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها » ... (٥)

٨٧ — وبعد هذه النصوص نخرج بالنتائج الآتية :

(١) أن القائمين على تنفيذ علمنة المنطقة الإسلامية أدركوا خطر التعليم إنه هو الذى يشكل النماذج الجديدة التى إليها مقاليد البلاد ، فإن أردناها علمانية فليكن التعليم علمانيا .

(٢) أن علمنة التعليم سارت على ساقين :

أ — إحداهما تقضى على التعليم الدينى وتكتم أنفاسه بسبيلين :

(١) أساليب الغزو الفكرى ص ٦٢ .

(٢) (٤ ، ٣ ، ٢) : مستقبل الثقافة في مصر ص ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤ .

(٥) مستقبل الثقافة في مصر ص ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ .

التطويق من الخارج ، والتطوير من الداخل .

أما التطويق من الخارج : فلم تقتصر فقط على الترحيب بالتعليم غير الدينى ، بل اعتمدت على الازدراء بالتعليم الدينى ، والازدراء لمعلمه وطالبه بالكلمة الخبيثة ، والكاريكاتير الخبيث ، والتمثيلية والمسرحية والفيلم ، كل ذلك استهزاء وسخرية حتى يبعد الناس عنه ، ومن ناحية أخرى اعتمدوا على وسيلة عملية وهي قفل باب الوظائف اللامعة أمام خريج الجامعة أو الكلية والمعهد الدينى ، وقصر وظائف الخريج على : التدريس أو الوعظ أو المأذونية وخفض رواتب هؤلاء بما يجعلهم دون خريج الجامعة غير الدينية بمراحل . (١)

وأما التطوير من الداخل : فقد نصح به كرورم عام ١٩٠٦ كوسيلة للتخلص من (جمود الأزهر وتعصبه ونفذ عام ١٩٦١ م بإصدار قانون تطوير الأزهر . وقد كان الهدف خبيثا بإزالة (التركيز) الذى كانت تتميز به الدراسات الأزهرية ، وكانت تحافظ به على التراث القديم ، ففضلا عن المناهج والبرامج (الهشة) فقد ضار إلى جوار الكليات الثلاث التقليدية أضعافها من التى تحمل اسم الأزهر وليس لها من دراستها إلا قشور القشور ! وبذا جرى تمييع هذا اللون من الدراسة الدينية .

ب — أما الثانية : فكانت نشر التعليم العلمانى وتشجيعه فى مراحل المختلفة وبمناهجه المختلفة ، وساعد على ذلك :—
* إضفاء إهتمام الدولة على هذا اللون من التعليم ، وإفساح المجال أمام خريجه

(١) فى أوائل القرن العشرين (إلى ثلثه) كان راتب خريج الجامعة غير الإسلامية يزيد على خريج الجامعة الإسلامية أربعة أضعاف (١١) فبينما كان خريج الأزهر يتقاضى (٣ جنيهاً) كان خريج الجامعة المصرية يتقاضى اثنى عشر جنيهاً ! راجع كتيباً تحت عنوان المشايخ والاستعمار — مكتبة المنار — الزرقاء . الأردن ومن أمثلة ماساقه الكتيب المذكور مانقله عن مجلة (كانت تملكها راقصة) من سخرية بشخصية الشيخ مخلوف وذلك إثر إقالة العالم الجليل حسنين محمد مخلوف من منصبه كذلك ماساقته عن جريدة يومية من سخرية بالعالم الجليل الشيخ محمد الغزالي إثر هجومه على الميثاق الوطنى عام ١٩٦١ إذ صورته الجريدة راكباً حماراً وقد وقعت عمامته على الأرض بتأثير « جاذبية نيوتن » والشيخ يصبح « نرفض القوانين الأوربية » ص ٢٠ ، ٢١ من الكتيب المذكور .

لتولى الوظائف العليا والمناصب الهامة .

* ابتعث البعثات من خريجي هذا اللون من التعليم لحمل الألقاب العلمية الرفيعة :
الماجستير ، الدكتوراه ، وإضفاء الهيبة والاحترام على أصحابها ... مع مايجرى
معهم في الخارج من علمنة شديدة رأينا فيما مضى نماذج لها !

* فتح المدارس الأجنبية التي اهتمت باستيعاب أبناء « الطبقة الراقية »
(الأرسقراطية) يعلمونهم كيف يلوون لسانهم باللغة الأجنبية ، ويتباهون بها ،
ويعزفون عن لغة القرآن ، بل وينفرون منها ، ويتعلمون كل ماهو « غربي » من
التقاليد والأخلاق والمثل والسلوك ! .

وهذه الطبقة هي التي كان إليها الإمساك بقيادة البلاد .

* إجراء الاختلاط .. بدءا بالمدارس الأجنبية التي تشملها حماية خاصة ، ثم
تدرجا من أعلى بالنسبة للتعليم الوطني في الجامعات ثم نزولا إلى المدارس
الابتدائية .. وأخيرا صعودا إلى التعليم المتوسط بل والتعليم الثانوى الذى تكون فيه
سن المراهقة الخطيرة . (١)

* ولا بد أن تتلو خطوة « ثنائية التعليم » دعوة إلى « وحدة التعليم » تماما
كالدعوة التي سبقت إلغاء المحاكم الشرعية في مصر إذ كانت تشكو من ثنائية
جهات التقاضى !

وعندما تروج هذه الدعوة فإنها لا بد أن تكون لصالح التعليم العلمانى الذى
يمسك خريجه بمراكز القيادة التعليمية وغير التعليمية ! والله المستعان !

(١) وقد جرى التقليل من خطورة الاختلاط : « وإذا حدث استلطاف بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر إليه
على أنه نوع من الصداقة وليس غراما أو عشقا ، إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي
يستطيع الآباء تقبلها في الوقت المناسب على أى حال باعتبارها جانبا من جوانب النمو الجسمى للمراهق ..! وفي
كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفزها على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة
أو ضغطة على اليد أو قبلة ، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعى ... !! فالشوق إلى
القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية .. هذه ليست أمورا شائنة .. !!
(أساليب الغزو الفكرى — للمؤلف بالاشتراك ، فصل العلمانية) .

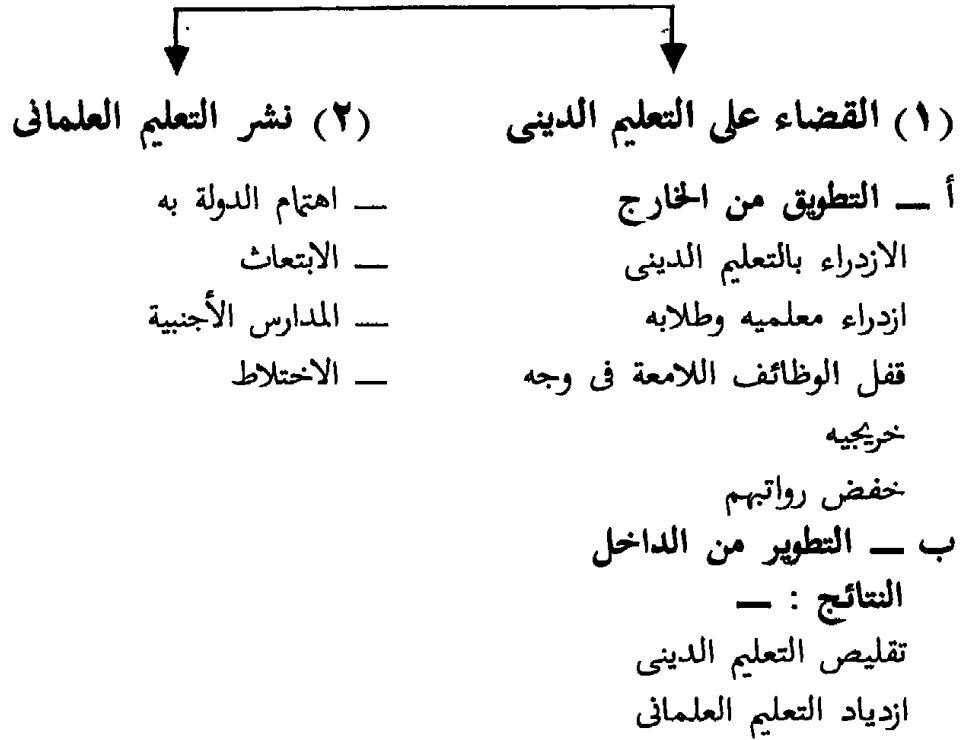
٨٨ — وهكذا نجد « علمانية التعليم » قد أدت حتى الآن :

- (أ) تقلص حجم التعليم الديني ، وتقلص نفوذ خريجيه ، وإبعادهم عن مراكز التأثير ومراكز صنع القرار ، بل وعن المراكز التوجيهية العامة .
- (ب) ازدياد حجم التعليم العلماني ، وانتشار آفاته في الداخل والخارج وأهمية خريجيه في مواقع التأثير والتوجيه وصنع القرار !.
- (ج) تصدر حملة الدكتوراة وبالذات الواردة من الخارج في صدارة المجتمع لمعانا وأهمية بما يجعلهم موضع القدوة بعد أن صاروا موضع التأثير ! .
- والغريب : أن بعضهم يحمل شهادات كتب عليها « لاتصلح للعمل بها بالولايات المتحدة الأمريكية » . لأنه كان من المهم أن يتصدرنا « الجهلة » الذين يحملون هذه الألقاب « زورا » فيردوا الجميل لأصحابها ومانحها في المناسبات المختلفة .

والأغرب من ذلك اشتراط تردهم على الوطن الأم (من الناحية التعليمية)
مرة كل خمس سنوات .. ليستمر « الرضاع » بغير فطام !!
هذا شيء مما ينبغي أن يقال حول « علمنة التعليم »
فلننظر ماذا فعلوا في الإعلام !....



علمنة التعليم (تلخيص)



ب - علمنة الإعلام :

٨٩ — لكن كان للتعليم خطورته من ناحية « تكوينه » و « تشكيله » لعقل المستقبل وقلبه ... فقد صار — للإعلام — بوسائله المختلفة — خطورته وتأثيره ... على عقل اليوم وقلبه مع مشاركته في صياغة عقل الغد وقلبه ..

ولئن كان التعليم يمتد إلى قطاع « الطلبة » ، فإن الإعلام يمتد إلى جميع القطاعات ... ما كان منها متعلما وما كان غير متعلم ، ما كان منها قارئاً وما كان غير قارئ ، بل ما كان منها راغباً وما كان غير راغب ، ليشارك بكل الإمكانيات والحواس على صياغة « الرأي العام » صياغة خاصة يتقبل معها العلمانية ... وما هو أكثر من العلمانية ..

— ولقد كان من أوائل وسائل الإعلام الصحف ، ولازال لها خطرهما ، ومعها المجالات .

— لكن الإذاعة تخاطب مساحة من الناس أوسع على اختلاف ثقافتهم واختلاف اهتماماتهم .

— « والتلفاز ، » من الوسائل الخطيرة التي غزت كل البيوت تقريبا .. لتنتقل إلى الناس في داخل بيوتهم ما يرغبون وما لا يرغبون ، بغير استطاعة منهم تجنب هذه الوسيلة أو توقيف بعض برامجها ! وباعتماد على حاستين خطيرتين في وقت واحد : السمع والبصر ... ليتخللاهما إلى الفؤاد ! (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون) . (١)

— وتشارك التلفزيون « السينما » مع تأثير أشد ..

— وأخطر من هؤلاء .. « الفيديو » الذي صار بعيدا عن كل رقابة ، وصارت تجارة أفلامه من أخطر التجارات ... وغزا بيوت المتفرجين يجلسون إليه الساعات ..

يفسدون أذواقهم ، ويفسدون قلوبهم ، ويفسدون عقولهم ...
وأخطر ما فيه أنه يهون « الحرام » ويجريء عليه :

(١) الأنعام آية : ١١٣ .

ومن بينه علاقات محرمة ، بل علاقات أشد تحريماً ، والأخطر من ذلك أن تجلس إليه الأسرة مجتمعة : فيها الأخ وفيها الأخت وفيها الأب وفيها البنت ، وفيها الأم وفيها الابن .. وهو يحطم هذه العلائق والعواطف النظيفة النبيلة ليقيمها على أساس أشد انحطاطاً مما عليه أكثر الحيوانات !

٩٠ — ونكتفى في التعليق على الإعلام بما سجله مؤتمر عالمي :^(١) « ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى إليها إعلامنا ولايزال إلى اليوم يتردى ، فبدلاً من أن يكون منير دعوة إلى الحق ، ومنار إشعاع للخير ، صار صوت إفساد وسوط عذاب ، وخفت صوت الدعوة وسط ضجيج الإعلام الفاسد ، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا وزلزل الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم .. ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق .

ج ـ علمنة القانون :

٩١ — سارت هذه جنباً إلى جنب علمنة التعليم وعلمنة الإعلام لتصير العلمنة من السفح إلى القمة ، ومن القمة إلى السفح !

— وكان أول مظهر لعلمنة القانون في تركيا عام ١٨٥٧ م ، ثم تلاه في مصر عام ١٨٧٥ م صدور بعض القوانين مستمدة من غير الشريعة الإسلامية .
ثم تلاه في عام ١٨٨٣ م إنشاء المحاكم الأهلية تحكم بالقانون بعيداً عن الشريعة الإسلامية .^(٢)

— وفي تركيا ومع إلغاء الخلافة تم (عام ١٩٢٤) :

- ١ — إصدار قانون مدني مستمد من القانون السويسري .
- ٢ — إصدار قانون جنائي مستمد من القانون الإيطالي .
- ٣ — إصدار قانون تجاري مستمد من القانون الألماني .

(١) المؤتمر العالمي لترجيح الدعوة وإعداد الدعاة — المدينة المنورة عام ١٣٩٦ هـ .
(٢) وفي أهرام ١ / ١٢ / ١٩٨٣ يطالب د. مصطفى كيو بالاحتفال بالعيد الثوري للمحاكم : أفتحت في ٣١ / ١٢ / ١٨٨٣ وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، سجلت الحكومة في خطاب أنها ستحتفل بمرور خمسين عاماً على إنشاء هذه المحاكم ، واعتبر يومى ٣١ / ١٢ / ١٩٣٣ ، ١ يناير سنة ١٩٣٤ عيداً لرجال القضاء .

وفي مصر .

ومع معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧ اشترط المؤتمر أن تستمد مصر تشريعها من التشريع الغربى (بعيدا عن الشريعة الإسلامية طبعا) ومع زوال المحاكم المختلطة صدر القانون المدنى عام ١٩٤٨ ناصا فى مادته الأولى على مصادر القانون جاعلا فى مقدمتها التشريع الوضعى ، ثم العرف الوضعى .

ووضع فى الدرجة الثالثة مبادئ الشريعة الإسلامية والقانون الطبيعى فجعل مكان (الشريعة) الدرجة الثالثة ، وجعل القانون الطبيعى مشاركا لها . وتبعها فى ذلك أكثر الدول العربية بعد استقلالها ، وصار القانون المدنى المصرى أساسا لكثير من القوانين فى البلاد العربية .

— ولما قضى على الازدواج فى القضاء بإلغاء المحاكم الشرعية بالقانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ وأحيل اختصاصها للمحاكم الوطنية ، فقد كان ينتظر إلغاء ازدواج التشريع بإلغاء التحاكم إلى الشريعة الإسلامية فى مجال الأحوال الشخصية . وهذا ما حاولت جهود يائسة الوصول إليه تحت مظلة شعارات مختلفة ، وبادعاء ضرورة التوحيد بين قوانين المسلمين وغير المسلمين !! .

وإن لم تتم الخطوة الأخيرة بصورة نهائية فقد صار النيل من قوانين الأحوال الشخصية فى الفترة الأخيرة خاصة منها ما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات .. وكان أقصاها وأقصاها ما صدر عام ١٩٧٩ (القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩) والذى صدر فى وقت وظروف تدل على الريية .. إذ أصدره رئيس الدولة فى غيبة مجلس الشعب بقرار خاص منه ، رغم أنه لم تكن هناك ضرورة ملحة لهذا الإصدار والمجلس يجتمع بعد الإصدار بفترة بسيطة !

٩٢ — بيد أن الدعوة إلى أن الإسلام دين ودولة ، وإلى استمداد القوانين من الشريعة الإسلامية ... والتي غذيت بدماء الشهداء فى بلاد وأوطان كثيرة قد أحدث أثرها فى محاولة « تملق » المشاعر الإسلامية بإصدارات قانونية ...

ينقصها الشمول ، كما يلزمها الإخلاص ، ونظافة اليد لتتولى تطبيقها . (١)
ومع ذلك لايزال شيطان العلمانية يعمل حتى في البلاد التي أعلنت التزامها
بالشريعة الإسلامية محاولة إحلال « النظام » والأنظمة محل الشريعة .. وتولى
« اللجان النظامية » أعمال المحاكم الشرعية .

ثالثا : أثارها في الدول

قلنا سوف نأخذ ثلاثة نماذج :

— تركيا — مصر — الجزيرة العربية
أما تركيا :—

٩٣ — فقد جرفتها العلمانية .. تعليما وإعلاما وقانونا ، وأورثت مجتمعها :
— فراغا عقديا .
— وفراغا خلقيا .
— واضطرابا في الموازين .
— وانحلالا وتفسخا .
* وكانت النتيجة :

ضعف سياسي .. جعل تركيا التي كانت في مقدمة الدول زمن الخلافة صارت
في مؤخرتها فضلا عن أنها قاعدة لحلف الأطلنطي .
ضعف اقتصادي .. جعل تركيا تستجدي القروض من الدول الأجنبية
الأمريكية والأجنبية .

ضعف اجتماعي .. جعل المجتمع التركي يبدو حيناً أوربيا وحيناً إسلاميا مع
تناقض داخل الشارع الواحد^(٢) وتناقض داخل البيت الواحد .

* بيد أن القانون الطبيعي : لكل فعل رد فعل ... عمل ولايزال يعمل ..
— ومأعله مندريس في الستينات .. مما اضطرت الراصدين إلى إحداث انقلاب
عسكري وإعدام عدنان مرتدريس .

(١) مثلها كذلك إصدارات دستورية باتخاذ الشريعة مصدرا رئيسيا للقانون أو المصدر الرئيسي للقانون ، دون
ماغير يذكر اللهم إلا اجتماعات تجتمع وتنفض ١١ .

(٢) يشاهد في تركيا في بعض الشوارع .. محل الدعارة مجاورا لمحل المسجد .

— وما فعله أربيكان في السبعينيات .. مما اضطرهم مرة أخرى إلى إحداث
إنقلاب عسكري ... لا يزال حكمه قائما .. وهو يحاول مقاومة التيار الإسلامي
بكل سبيل .

— وقبل هذا وذاك ما أعلنه خليفة أتاتورك (عصمت اينونو) : لقد زرعتنا
العلمانية وحصدنا الإسلام ولا تزال ننتظر مزيدا من فضل الله ﷻ وسيعلم الذين
ظلموا أى منقلب ينقلبون ﷻ . (١)

٩٤ — أما مصر :—

فقد تعرضت للعلمانية منذ عهد محمد علي ... في صورة البعثات المرسلت إلى
الخارج ، والمدارس المفتوحة في الداخل ، والقوانين التي صار اشتقاقها من
مصادر أجنبية والمحاكم الأهلية التي أقيمت ، ثم استمرار العلمانية .. تعليما ،
وإعلاما وقانونا وحكما .

ومحاولة تخريب المجتمع المصري باسم تخريبه في التقاليد ، والزى ،
والصلوات ومحاولة ربطه بعجلة السياسة الغربية ، وبعجلة الاقتصاد الغربى ، حتى
لا يقدر على الفكاك .

وما أحدثه الانقلاب العسكرى عام ١٩٥٢ . (٢)

(١) الشعراء ٢٢٧ .

(٢) راجع تفصيلا لذلك « حاضر العالم الإسلامى » للمؤلف حيث أشار الكتاب إلى أنه : « لم
يعد خافيا بعد ما نشر من كتابات رجال المخابرات الأمريكية ومن الوثائق الأخرى التي صدقتها الأحداث ، وبعدما
شهد به رجال ثقات تثق في أمانتهم وصدقهم — لم يعد خافيا أن الانقلاب العسكرى الذى تم في مصر سنة
١٩٥٢ كان انقلابا لصالح اليهود والنصارى في مصر .

وأشار الكتاب إلى أدلة الخط اليهودى :

- ١ — ما شهد به اللواء معروف الحضرى — رحمه الله — خاصة بقائد الانقلاب العسكرى .
 - ٢ — ما صرح به مؤسس إسرائيل (بن جوريون) قبل وقوع الانقلاب .
 - ٣ — ما ذكره مايلز كوبلاند عن صلوات رجال الانقلاب بالمخابرات المركزية قبل الانقلاب .
 - ٤ — ما قام به الانقلاب من حرب الإبادة ضد الجماعة التي حاربت اليهود .
 - ٥ — ما مارسه الانقلاب لصالح إسرائيل حتى انتهى بالإقرار الشرعى لها بالوجود على يد ولسان آخر حكامه .
- أما الخطر النصرانى فنحيل إليه في المرجع المذكور ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ . أما مستقبل الإسلام في مصر
فنحيل إليه كذلك في المرجع المذكور ص ٢١٧ ، ٢١٨ — نشر دار المجتمع بمجلة طبعة ثانية ، وثالثة .

وما حمله من لواء « التغيير الاجتماعى » بلوغا إلى التغريب المطلوب .

★★ كل ذلك أحدث أثره :

تفسخا فى العلاقات الاجتماعية ، ومشاكل داخل البيوت المصرية .
واختلافات فى القيم والنزعات والاتجاهات . وبعدا عن دين الله واستهزاء .. حتى
أغرى ذلك قائلهم أن يطلق الصيحة غداة هزيمة ١٩٦٧ بـ « علمنة الذات العربية
بإخراجها من الدين » . (١)

★ بيد أن القانون يعمل : لكل فعل رد فعل ..

من هنا قامت كبرى الجماعات الاسلامية فى مصر ، تحمل لواء رد العلمانية
على أعقابها وترفع شعار الإسلام دين ودولة ، مصحف وسيف ، عبادة وقيادة ..
وقامت بعدها ومعها جماعات أخرى بعضها تعجل فى التنفيذ والبعض الآخر مشى
أكثر هدوءا !

والجمر يتقد تحت الرماد .

(٢)

ومحاولات كثيرة للصد عن سبيل الله كشفت عنها وثائق كثيرة ! (٣)
لكن أمر الله أت (أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحانه وتعالى عما يُشركون ﴿١﴾ وما
قام به بطل من أبناء مصر تعبيرا عما يجيش فى صدور شعبها المؤمن لم يكن مجرد
(فلتة) إنه ظاهرة جديدة جدية بالدراسة والتعمق ، والله غالب على أمره ولكن
أكثر الناس لا يعلمون .

(١) وقد فسروا ذلك بقولهم « تحرير الذات العربية من إطاراتها الغيبية ، والإطارات الغيبية هنا تعنى الإسلام
بالذات وليس الدين بعامة — راجع سقوط العلمانية — أنور الجندى ص ٩ — دار الكتاب اللبنانى . بيروت .
(٢) راجع تفصيلا « دعاة لابغاة » للمؤلف — الباب الأخير : من البغاة ؟ وفيه إشارة إلى ثلاثة وثائق :-
— وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق جمال عبد الناصر تنادى باستئصال العناصر الداعية إلى إعتبار
الإسلام دينا ودولة .

— وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق أنور السادات تنادى باتباع طريق الاحتواء والتفريق .

— وثيقة صادرة فى عهد الرئيس السابق أنور السادات شارك فيها بعض العناصر اليهودية والمصرية ، وهذه
الوثيقة تجيب على السؤال من البغاة ؟ .

(راجع الكتاب المذكور ص ١٤١ وما بعدها) .

(٣) النحل آية ١ .

أما الجزيرة العربية : — (١)

٩٥ — فنكتفى فيها بالنقل عن واحد من أخلص رجال الفكر الإسلامي الحديث^(٢) حيث يقول : « نعم فلم تطل هذه الفترة ، فلم تلبث هذه البلاد المقدسة أن غزتها الحضارة الغربية وتدفق فيها سيل المصنوعات الحديثة ، والمستوردات الغربية ، وأكثر من أسباب الترف والكماليات فشحنت الأسواق وملاأت البيوت ، وقضت على التقشف في الحياة وصفات الفتوة والفروسية التي عرف بها العرب من قديم الزمان ، وكانت من أسباب قوتهم وانتصارهم ..

ثم تحدث عن آثار الثروة المفاجئة بسبب الزيت (البترول) ، ونقل عن مؤلف أمريكي THE MIDDLE EAST TO DAY Donleretz في كتابه : هذه الآثار في مجال الطبقة الحاكمة ، ثم مجال الطبقة السفلى .

ثم يشير الأستاذ الندوى إلى أن من المقررات التي لاتقبل الشك أن الجزيرة العربية اليوم هي غرس محمد ﷺ وثمره دعوته وجهاده !... وزيادة على ذلك ففيها الحرمان الشريفان ... إلخ .



(١) وتشمل الجزيرة العربية جغرافيا دول : ١ — اليمن الشمالي ٢ — اليمن الجنوبي ٣ — عمان ٤ — الإمارات ٥ — قطر ٦ — البحرين ٧ — الكويت ٨ — المملكة العربية السعودية .
(٢) الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسنى الندوى أمين ندوة العلماء العام . لكهنو — الهند . في كتابه القيم (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) وراجع كذلك (إلى أن تتجه الجزيرة العربية) لنفس المؤلف .

الفصل الثانى

الديمقراطية

« الوجه السياسى الغربى »

تمهيد وتعريف : —

٩٦ — كما كانت العلمانية بالنسبة للغرب انتصارا ضد طغيان الكنيسة وافتئاتها كانت الديمقراطية انتصارا ضد طغيان الملوك والحكام فى القرون الوسطى ولذا اقترنت هذه بتلك فى صيحة الثورة الفرنسية « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » .

ولذا كان « ميلاد » الديمقراطية مصاحبا لميلاد « العلمانية » — فيما نظن — والله أعلم ، كما كان مصاحبا لميلاد الرأسمالية .. ولقد كانت الأولى والأخيرة .. فى الواقع تفرعا على المذهب الفردى ^(١) Individialisme والذى اعتنق العبارة الشهيرة : Laissez faire Laissez passer وهو وإن كان فى أساسه « اقتصاديا » لكنه سرى إلى الجانب السياسى ليكون أساسا هاما للديمقراطية .

٩٧ — بيد أنه سبق ذلك تطور تاريخى داخل بريطانيا .. أدى إلى اعتناق المذهب الفردى بما أسهم فيه كل من هوبز ولوك « الإنجليزيان » وتبعهما بعد ذلك فى فرنسا جان جاك روسو ، وقد بدأ التطور داخل انجلترا

إثر الثورة المسلحة التى قام بها « البارونات » فى مواجهة طغيان الملك جون فى أوائل القرن الثالث عشر ^(٢) مما أدى إلى توقيع الملك على « العهد الأعظم » Magna - Carta .. واستمر التطور حتى القرن السابع عشر حتى صدرت

(١) بدأ المذهب الفردى اقتصاديا — كما سنشير — على يد مدرسة الطبيعيين أو الفسيوقراطية ، لكن فلاسفة القرن الثامن عشر استفادوا منه ومدوه إلى النطاق السياسى فصار أساسا — للديموقراطية وللرأسمالية فى آن واحد — وعضده فى المجال الأول نظرية العقد الاجتماعى ومذهب القانون الطبيعى — فالأول يفترض أن الإنسان كان فى حالة من الحرية ، والثانى يجعل الحرية والحقوق طبيعية لاصقة للإنسان .

(٢) إثر فرضه الضرائب الباهظة ومحاولة إجبار البارونات على تزويج بناتهم لأبناء الشعب .

وثيقة الحقوق **Bill of Rights** وبمقتضاها تحدد سلطان الملك وانتقلت السلطة إلى الشعب .

٩٨ — وإبان ذلك كانت كتابات هوبز « من فلاسفة القرن ١٦ » عن أن الناس ولدوا أحرارا ، ولكنهم لم يستطيعوا الحياة فوضى ، فتنازلوا متعاقدين فيما بينهم ليقوم مجتمع يحكمه فرد منهم .

وقد طور « لوك » النظرية من جانبيين : أولهما — أن الأفراد لم يتنازلوا عند العقد عن كل حقوقهم وحررياتهم بل عن جزء منها بما يلزم لقيام المجتمع ، وثانيهما — أن الرئيس كان طرفا في العقد ، وليس خارجا عن العقد كما فهم من كلام « هوبز » .

٩٩ — وقد تلقى جان جاك روسو هذه الفلسفة فصاغها إبان القرن الثامن عشر في نظرية العقد الاجتماعي **Contrat Social** والتي أسسها على أن الأفراد كانوا أحرارا يتمتعون بكافة الحقوق ، لكنهم أمضوا عقدا اجتماعيا نشأت بموجبه « إرادة عامة لمجموع الأفراد » أو « إرادة المجموع » بديلا عن الإرادات الفردية السابقة على التعاقد ..

هذه الإرادة العامة ترعى حقوق الأفراد الطبيعية التي لم يتنازلوا عنها جميعا وإنما تنازلوا عن جزء منها ليقوم المجتمع .

١٠٠ — ومن ثم تدعم المذهب الفردي بنظرية العقد الاجتماعي كما تدعم كذلك بالمذهب الطبيعي^(١) الذي يقر للأفراد بحقوق طبيعية غير قابلة للانفصال عن أشخاصهم^(٢) وأثر ذلك كله في انتقال السيادة **Souveraineté** من الملوك

(١) كان موجودا من العصور القديمة ، وأخذ صبغة اقتصادية في القرن الثامن عشر على يد مدرسة الطبيعيين ثم ساند المذهب الفردي في افتراض حقوق طبيعية للأفراد .

(٢) وظهر ذلك في إعلانات حقوق الإنسان التي أعقبت الثورة الفرنسية « تأثرا بالمذهب الطبيعي وبالمذهب الفردي » . وأول إعلان صدر في عام ١٧٨٩ نصت مادته الأولى : « يولد الأفراد ويعيشون أحرارا ويتساوون في الحقوق » !

« غاية كل هيئة سياسية هي صيانة حقوق الإنسان الطبيعية ، وهي حرية التملك ، الأمن ، ومقاومة الظلم » . =

حيث كانت مختلطة بأشخاصهم « LetatCest Moi » لويس الرابع عشر — إلى الشعوب ممثلة في برلماناتها .

« وصارت الديمقراطية علما على هذا الخليط من النظام .. » هي تعنى حكم الشعب^(١) ومن ثم بتقرير سيادة الشعب . (٢) وهي كذلك تقوم على مبدأ الشرعية Principede Legalité وهو يعنى سيادة القانون .

وهى فى الوقت نفسه تحفظ للأفراد حقوقهم وحررياتهم .

ومن ذلك نرى أن الديمقراطية تقوم على أعمدة ثلاثة :-

أولها : مبدأ سيادة الأمة Prircipede Souverainté denaitjon

ثانيها : مبدأ الشرعية Legalité

ثالثها : الحقوق والحرريات العامة Droits etliberteés de Ihomme وهو ما تناوله — بإذن الله — بشىء من الإيجاز إن شاء الله .

أولا : مبدأ سيادة الأمة

Souverainté Souverainty Souveventat

١٠١ — أشرنا إلى أن هذا المبدأ نشأ مرتكزا إلى نظرية العقد الاجتماعى ، باعتبار أن الأفراد عندما تنازلوا عن حررياتهم وحقوقهم المسبقة عن بعضها « على خلاف بين هوبز ولوك » إنما فعلوا ذلك لتقوم إرادة جماعية تسود عليهم وتكون

« الملكية حق مقدس غير قابل للمساس به . »

وهذه الحقوق الطبيعية لكل فرد لاتقدم ولاتمد إلا بقدر الفردى الذى يضمن لأفرادالجماعة الآخرين التمتع بنفس الحقوق .

وتبلورت حقوق الإنسان فى : الحرية ، الملكية ، الأمن ، المساواة ، حق مقاومة الظلم ، Liberté, Proprieté, Secureté, Egalité Resistenceà Ioppression وفى مقدمة دستور ١٧٩١ « لايجوز للسلطة التشريعية أن تضع أى قوانين من شأنها أن تضر أو تعرقل ممارسة الحقوق الطبيعية والمدنية المنصوص عليها فى هذا الباب » الباب الأول من الدستور ، والتي يضمن الدستور حمايتها .

(١) عرف الديمقراطية قديما عند اليونانيين وأصل الكلمة اللاتينى من شقين « ديموس Demos » : الشعب ، « كراتوس Kratos » : الحكم — السلطة .

(٢) وهى تنتقل إلى ممثليه فيكون لهم — بدلا من الملك — حق الأمر : Droit de Commardwe .

لها حق الأمر عليهم : وقد كان في البداية مقررا للملوك بديلا عن الحق الإلهي لهم ، أو تفويض الله لهم ، ثم انتقلت السيادة من الملوك إلى الشعوب إثر الثورات التي حدثت من سلطانهم « في إنجلترا » ثم في « فرنسا » وانتقل حق السيادة إلى الشعب ..

وتتمثل في التطبيق في صور عديدة :-

(١) حكم الديمقراطية المباشرة : بحيث يكون الحكم إلى الشعب كله .. هو الذى يقرر وهو الذى يقترح ، وهو الذى يشرع ، وهو أمر أقرب إلى الخيال .. إذ يستحيل عملا جمع الشعب كله في صعيد واحد !

(٢) حكم الديمقراطية شبه المباشرة : وهو وسط بين الديمقراطية المباشرة — التى تستحيل تنفيذا — وبين الديمقراطية الثابتة التى يعهد فيها إلى أفراد بأمر السيادة نيابة عن الشعب .

وفى — أى الديمقراطية شبه المباشرة — يبقى للشعب بعض مظاهر السيادة متمثلة فى : —

أ — الاقتراح الشعبى : كتقديم مشروع قانون ، أو فكرة أو رغبة إلى البرلمان .

ب — الاعتراض الشعبى : ويكون للشعب أن يعترض على قانون يصدره البرلمان فيوقف القانون ويلغى .

ج — الاستفتاء الشعبى : فى موضوع سياسى ، أو دستورى ، أو تشريعى ، وينفذ ما يقرره الشعب خلال الاستفتاء .

د — الحل الشعبى : « أى حل البرلمان » .

هـ — عزل رئيس الدولة : « باستفتاء من الشعب » .

١٠٢ — الحكم النيابى « حكم الأكثرية » : —

وفيه يختار الشعب « نوابا » عنه يمثلونه فى « البرلمان » يكون إليهم أمر التشريع وأمر الرقابة على السلطة التنفيذية ، وأحيانا اختيارها ، وأحيانا اختيار رئيس الدولة .

وهو يتفاوت بين النظام الرئاسى والنظام البرلمانى ، حيث يضعف فى الأخير سلطان رئيس الدولة ، كما يتفاوت تبعا للحكم الجمهورى بصورتىه السابقتين ، أو الحكم الملكى المقيد « كالحكم الإنجليزى » أو المطلق كما كان عليه حال أكثر الأنظمة الملكية من قبل .

وإذا كانت النظم الأجنبية قائمة على تعدد الأحزاب ، فإن الحزب الذى يفوز بالأغلبية هو الذى يحكم ، ويكون التصويت داخل « البرلمان » بالأغلبية كذلك .

إلا أن الدساتير تفرق بين الأغلبية المطلقة والأغلبية الساحقة ، فالأولى تتحقق بتوافر النصف يزيد واحدا .. وهو يسير عليه العمل فى أكثر شؤون البرلمان ، أما الثانية فقد تكون أغلبية الثلثين أو أكثر أو منصوفا عليها بما يزيد على الأغلبية المطلقة ، وهى عادة تلزم فى المسائل الهامة « كمحكمة رئيس الدولة ، أو عزله ، أو إجراء تعديل دستورى » وتسحب الأغلبية من الحاضرين .

ولا يصح الحضور حتى تتوافر له الأغلبية المطلقة من العدد كله فى أكثر الدساتير والنظم ، وقد يشترط فى بعض الحالات حضور الثلثين .

سيادة الأمة فى الميزان : —

الديموقراطية — بصفة عامة — وسيادة الأمة كأساس لها — بصفة خاصة — تعيش اليوم أزمة !

(١) فهى فى حد ذاتها متقدمة : إذ تستند إلى فكرة العقد الاجتماعى ، وهى فكرة خيالية بعيدة عن الواقع ، مما دعا البعض إلى إسناد فكرة السيادة إلى أساس آخر هو : أن السلطة نشأت من أجل الأمة ، ومن ثم وجب أن يكون للأخيرة رقابة على الأولى^(١) .

(٢) ثم هى لم تمنع الاستبداد : فقد قدم لنا النظام الديموقراطى أمثلة كثيرة مستبدة سميت بالديموقراطية القيصرية Democratie Casarienne كنظام

(١) أزمان القانون الدستورى — طبعة باريس ١٨٩٦ ج ١ ص ١٥٩ ، ١٦٨ .

نابليون بونابرت المستند إلى دستور السنة الثامنة Lanv III في ١٣ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ، وكنظام لويس نابليون « ابن عم نابليون » عام ١٨٥٢ بل إن كثيرا من البرلمانات مارست نفس الاستبداد حتى قال بعضهم : إننا انتقلنا من الحق الإلهي للملوك إلى الحق الإلهي للبرلمانات - D. P. d. Droit Divin de Parliaments - Rois

(٣) ومن ناحية أخرى : فإننا نردد قول دويجي Duguit لم يكن لبشر السيادة على بشر .. لم يكن لبعض السيادة على الكل ، والكل بشر . وهو ماسنوضحه كثيرا في المبدأ الثاني — إن شاء الله .



ثانيا : مبدأ المشروعية

Legalite , Legality

تعريفه ونشأته:—

يعنى مبدأ المشروعية : سيادة القانون ، بمعنى خضوع المحكوم والحاكم للقانون على السواء .

— وقد ظهر مبدأ الشرعية مع حاجة المجتمعات إلى الحماية في مواجهة افتئات السلطة وتجاوزاتها .. ذلك أن السلطة تغرى بإساءة استعمالها ، وبالتعسف في استعمالها ، أيا كان البشر الجالس على كرسيها ، إلا أن يعصمه الله ، أو أن تقف في وجهه الحواجز ... تمجزه عن ظلمه أو تقصره !

ومهما قيل في قدم المبدأ — في الفقه الوضعي (١) — فإننا نحسبه معاصرا لمبدأ سيادة الأمة بعد انفصال شخص الحاكم عن شخصية الدولة .. بحيث صارت السيادة للأمة للحاكم .

ذلك أننا نعتبرو لازما لوجود المبدأ الآخر « سيادة الأمة » باعتباره الحاجز الحقيقي دون افتئات السلطة وهي تمارس السيادة باسم الأمة أو باسم الشعب .

مبدأ الشرعية في وضع جديد : —

ولممن وجد مبدأ الشرعية انتعاشه وانتشاره في ظل المذهب الفردي *Individialisme Doctrine* حيث المجال واسعا لحقوق الأفراد وحررياتهم ، وحيث السلطة محددة في ممارساتها في نطاق الوظائف التقليدية للدولة حيث تقوم على حفظ الأمن والسكينة والصحة *Securité, Tranquillité, Santé* فلقد تغير

(١) راجع طعيمة الجرف — مبدأ المشروعية وخضوع الدولة للقانون — الأستاذ الدكتور طعيمة الجرف ص ٥ وما بعدها .

الأمر حين انتقلت الدولة في وضعها الحديث من دور الدولة الحارسة Etat Protecteur إلى دور الدولة الموجهة E. Dirigé أو كما يسميها الأمريكيون « دولة الرفحاء » Welfare State وغدا تدخلها في مجالات كثيرة .. اقتصادية ، واجتماعية ، فضلا عن مجالاتها السياسية ، وهي تتدخل باعتبارها صاحبة سلطان لها أن تفرض سلطانها بقوة القانون أو بقوة القرار أو بغير ذلك من الإجراءات ، الأمر الذي قد تتعرض معه حقوق الأفراد وحررياتهم لكثير من الحيف أو الافتئات .

بيد أن لهذا التغيير وجه آخر في نظرنا .^(١)

إن حقوق الأفراد التي كانت ممثلة في الخمسة التقليدية : حق الملكية ، حق الأمن ، حق الحرية ، حق المساواة ، حق مقاومة الظلم ... هذه الحقوق .. قد فصلت في مجالها ، على ماسنين بمشيئة الله تعالى ، وإن وضع عليها قيود لصالح الجماعة ، إلا أن حقوقا أخرى قد ضمت إليها ، وهي ماسمى بالحقوق الاقتصادية أو الحقوق الاجتماعية وهذه وتلك ... أتاحا لمبدأ الشرعية ميدانا أوسع وأرحب .

إنه يقف حارساً لهذه وتلك على السواء .. ومن ثم قوى مبدأ الشرعية ، ولم يضعف واتسع نطاقه ولم يقصر .

ضمانات لمبدأ الشرعية ::—

وقيل بضمانات لمبدأ الشرعية :

— قيل بجمود الدساتير .. Lamultabilité Juridique ليحول ذلك دون التغيير الكثير ، والتغيير المفاجيء . إن الأمر يلزم له أغلبية خاصة لاتتوافر كثيرا .

بيد أن الجمود لاقيمة له في بلاد الدساتير المرنة ، كإنجلترا والدول

(١) هذا عدول عما ذهبنا إليه في رسالة الدكتوراه عام ١٣٩٥ هـ .

الأنجلوسكسونية التي حذت حذوها إذ تكفى الأغلبية المطلقة لأى تغيير ، كذلك لاقيمة للجمود فى بلاد أخرى كثيرة ، يشكل الحزب الحاكم فيها أغلبية ساحقة ، تجعل أفراده « النواب » يتجاوبون مع التغيير المطلوب عند عرضه على البرلمان . (١)

وفى النهاية .. لاقيمة للجمود مع الانقلابات والثورات — التى قيل بسقوط الدستور القديم بمجرد نجاحها بقوة القانون : Enplein Droit وقد أسمى البعض ذلك « بالفقه الثورى » . (٢)

— وقيل بالفصل بين السلطات : « Separation de pouvoirs »

على أساس أن السلطة تحد السلطة Lepouvoir arrete le pouvoir بيد أن الفصل بين السلطات لوجود له فى واقع دول كثيرة .

والبلاد التى تحرص عليه — مثل الولايات المتحدة أو ماسار مسارها — تمثل شخصية الرئيس فيها الثقل الأول ، ويمثل الكونجرس الثقل الثانى بغض النظر عن الفصل بين السلطات .

— وقيل كذلك بالرقابة القضائية : « Juridique Review »

بأعمال دستورية القوانين ، وشرعية اللوائح لإبطال أو إلغاء أو أعلى الأقل الامتناع عن كل نص يخالف النص الأعلى منه .

وهى وسيلة جديدة وجادة ... بيد أنها تفتقر إلى مستوى القاضى الرفيع ! فضلا عن أن البلاد التى لاتأخذ برقابة المحاكم نصا ، تتردد كثير منها فى التطوع للرقابة ، ويقف جهدها فى هذه الحالة عند حد الامتناع فقط ، عن تنفيذ التشريع المخالف .

(١) ولذا فقد درج العمل على اجتماع « الهيئة البرلمانية » للحزب الحاكم قبل كل اجتماع هام لوضع الخطة لتنفيذ سياسة الحزب فى البرلمان !

(٢) مقالات للدكتور السيد صبرى بعد انقلاب مصر عام ١٩٥٢ م .

مبدأ المشروعية في الميزان : —

* المشروعية بوضعها الوضعي تفتقر في مجالها العملي إلى الضمانات ،
فضماناتها التي تقدمت ضعيفة .. وهي بغيرها ضعيفة كذلك ، ومن ثم فإنها
كحماية لحقوق الأفراد تحتاج إلى حماية تماما كمن يسند ظهره إلى حائط فإذا هو
منهار وإذا هو على شفا جرف هار ، فأنى لها أن تواجه بها « ذئاب » السلطة
« وآسأدها » .. ولانجاوز هذا الوصف . !

* بيد أنها حتى في أساسها تفتقر إلى التبرير ، ويفتقر عملها إلى الاحترام ...
فالسؤال الذى يفرض نفسه .. لم يكن لمجموع من البشر أن يلزم باقى البشر .. ؟
بأى سلطان يملك هذه « السيادة » ليصير مايصوغه قانونا واجب الاحترام أيا
كانت درجته ؟ وإذا صاغ هذا القانون . فلم يحترمه الآخرون ؟ !
ولم ... وقد رأى — وله الحق — أن ماصيغ هو عين الظلم ، أو عين الباطل !

* وأخيرا وبنظرتنا الإسلامية ..

كيف للبشر أن يفتات على حق الله فيصوغ القوانين ، إنه مهما بلغ العدل فإنه
لن يتجرد من الهوى أو الجهل أو الظلم .

ولكن تجرد — جدلا فعده الظلم إذ افتات على حق الله ، ووضع نفسه
موضع الألوهية فى هذا الجانب !

المشروعية الإسلامية العليا : —

صعب أن نعرض فى سطور إلى ماكتب فى رسالة وسجلته كتب .^(١) لكننا
نقول — بعون الله — أنه يلزم لقيام الشرعية الإسلامية :
أولا : إقامة شرع الله بشروط ثلاثة :

(١) راجع : المشروعية الإسلامية العليا — للمؤلف — مبدأ المشروعية د / مصطفى كمال وصفى — رحمه
الله — ، مبدأ المشروعية د / فؤاد النادى .

- أ — عدم التجزئة
- ب — أن تكون شريعة الله هي العليا
- ج — أن يكون لله الشرع ابتداءً .
- ثانيا : إقامة الأمة المسلمة — تقوم على الالتزام لاعلى مجرد الانتهاء ، وتتوافر فيها الشروط القرآنية للأمة المسلمة .
- ثالثا : إقامة السلطة الشرعية : —
- التي تقيم شرع الله بشروطه .
- والتي يرضى الناس عنها .
- والتي يتوافر في رأسها شروط الإمامة ويتوافر في المحيطين به شروط الإسلام .
- ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالًا ﴾ ^(١) لأن المسلم لا يحكم بغير المسلم .



(١) آل عمران آية ١١٨ .

ثالثا : الحقوق والحريات العامة

تقدمة : —

— لكن كانت الشرعية هي « العمود الفقري » للقانون العام كله ، ولئن كانت سيادة الأمة هي التعبير « النظرى » لانتقال السلطة إلى الشعب بدلا من الحاكم الفرد الذى كان يمارسها تحت دعوى الحق الإلهى للملوك .

فإن الحقوق والحريات العامة ، هي الغاية التى تغيتها .. الثورات والفلسفات والنظريات التى سادت منذ « عصر النهضة » .

وهى التى من أجلها كان « المذهب الفردى » مدعوما « بالمذهب الطبيعى » ، وبالعقد الاجتماعى ، وكانت الشرعية حماية وحراسة لها ، وكانت السيادة صونا من تحكم الفرد حتى لا يخيّف عليها ..

ومن ذلك الحين: صدر الإعلان الأول لحقوق الإنسان عام ١٧٩٨ م وصدر قبله فى إنجلترا العهد الأعظم عام ١٢١٥ م

وبعده وثيقة الحقوق **Billof Right** وبعده الدستور الأمريكى .

وتوالى الدساتير ، والإعلانات ، وكان من آخر ما صدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ م ، وحرصت كل الدساتير — حتى فى الدول التى لا تعطى الفرد حقوقا ولا حرية إلا النزر اليسير — حرصت على أن تضمن فى صدرها نصوصا حول هذه الحقوق .

ورغم أن حديث الحقوق والحريات .. شهى ، طويل .. فإننا نستطيع أن ندرجها تحت اثنين : —

— المساواة . وتدرج تحتها أربعة : أمام القانون ، أمام القضاء ، أمام الوظائف ، أمام الضرائب .

— الحرية . وتدرج تحتها ثلاثة :

— الحرية الشخصية .

— الحرية السياسية .

— الحرية الاقتصادية .

(١) المساواة .

وفي المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان : « إن جميع الأفراد يولدون متساويين في الكرامة والحقوق » . ويدرج علماء السياسة وفقهاء القانون الدستوري تحت المساواة :

أ — المساواة أمام القانون .

ب — المساواة أمام القضاء .

ج — المساواة أمام الوظائف .

د — المساواة أمام الضرائب .

(٢) الحرية :

أ — الحرية الشخصية ويدرجون تحتها :—

« الحريات المادية » :

— حق الحياة :

— حق التنقل أو حرية التنقل :

— حق الأمن :

— عدم جواز استرقاق الإنسان

— حرمة المسكن

— سرية المراسلات

« الحريات المعنوية » :

— حق التفكير العلمي .

— حرية العقيدة .

- حرية التعبير عن الرأى .
- حرية الشكوى « وتقديم العرائض »
- حرية التعليم .

« حريات اجتماعية » :

- حرية عقد الاجتماعات وحضورها .
- حرية تكوين الجمعيات والانضمام إليها .

ب — الحرية السياسية :—

- حق الانتخاب .
- حق الترشيح .
- حق التشريع .
- حق مراقبة الحاكم .
- حق عزل رئيس الدولة .
- حق تولى الوظائف العامة .
- حق تكوين الأحزاب .

ج — الحريات الاقتصادية :—

- حق التملك .
- حق العمل .
- حق الأجر .
- حق الراحة .^(١)

الحقوق والحريات فى الميزان :

* * لانكر أن الفرد فى الغرب نال قدرا من الحرية والمساواة لايتوافر لا فى العالم الشرقى ، ولا فى العالم الثالث .

(١) الديمقراطية وموقف الإسلام منها — درجة الماجستير — إعداد محمد نور مصطفى الرهوان .

— فالمساواة أمام القانون ، وأمام القضاء ، وأمام الوظائف العامة ، وأمام الضرائب متوافرة لا يجرمها إلا بعض التفرقات العنصرية في الولايات المتحدة « أو في بعض ولاياتها » .

وإلا بعض التشريعات تعفى « اليهود » من الضرائب في بعض بلاد أوروبا .. علما بأن الضرائب تصاعدية هناك أقلها في المجال التجارى « حوالى ٥٠ ٪ » وقد يتجاوز ال ٩٠ ٪

— والحرية الشخصية متوفرة بغير استثناء .
ولقد شهدت في هذا الجانب نماذج كثيرة .

والحرية السياسية كذلك متوافرة ، لا يفضى منها إلا قدرة الملىء اقتصاديا على الدعاية أكثر من غيره .

وقد عمدت بعض الدول إلى تحديد الحد الأعلى للإنتفاق الدعائى .
— والحرية الاقتصادية ، بدأت تأخذ مكانها بما لا يقل عن وضعها في المعسكر الشرقى . (١)

** ومع ذلك نقرر بعون الله :

إن الإسلام يستوعب هذه الحقوق والحريات ويزيد عليها كما وكيفا ، كما بالزيادة وكيفا بالتعمق في أساسها لكن في تخلف أصحابه عن التزامه والنهوض به . في التطبيق الخاطيء الذى تدعيه بعض الأنظمة انتسابا للإسلام .

— فالاسلام يقرر فوق الحقوق السابقة جميعا حق العدل :
وتتوافر نصوصه وتتضافر على إعلاء العدل ونبذ الظلم (٢) ... حتى ليقرر بعضهم : (٣) « إن الله يقيم الدولة بالعدل ولو على الكفر ، ولا يقيمها بالظلم ولو على إسلام » .

(١) ونسجل هنا مقال البعض من أن الجائع قد يحصل على الخبز ويظل عبدا — جلال أحمد أمين — الماركسية ط ١٩٧٠ ص ١٥١ .

(٢) وإن كان تطبيق البلاد الإسلامية للعدل شائها يسمى إلى الإسلام .

(٣) الإمام الغزالي في التبر (المسبوك) راجع المشروعية الإسلامية .

ويبلغ في تأصيله العدل أن يجعله : اسما من أسماء الله « فمن أسمائه سبحانه العدل » واسما لشريعته أو وصفا لها ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ (١) ، ثم أمرا في تنفيذها بالعدل ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (٢) . فيتوافر العدل في المصدر ، والتشريع ، والتنفيذ .

ويربط الظلم بظلمات يوم القيامة ، ويجعله قرين الشرك والكفر ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) كما يجعله وصفا لمنع إقامة شريعة الله ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤) وأخيرا يوضح عاقبة الظلم ﴿ فَتِلْكَ بِيُوتِهِمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ (٥) ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ (٦) .

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ (٧) ، « اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة » .

وأشد من ذلك كله .. أن يجعل مقاومة الظلم ليست مجرد حق ، بل هي واجب « تحجزه أو تمنعه عن الظلم فذاك نصوه » (٨) ، ويجعلها صفة للجماعة المسلمة ألا ترضى بالظلم بينها وأن تقاومه ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ (٩) ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (١٠) .

* * ويربط الحرية بالتوحيد فيعمقها كيفا ..

فالشبتر الأول من التوحيد تحرر من كل عبودية « لا إله إلا الله » « فمن يكفر بالطاغوت » .. وكل ما عبد أو قدس دون الله فهو طاغوت بشرا كان أو حجرا ، أو شعارا ، أو نظاما !

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| (٧) سورة هود آية « ١٠٢ » . | (١) سورة الأنعام آية « ١١٥ » . |
| (٨) أخرجه البخاري . | (٢) سورة النساء آية « ٥٨ » . |
| (٩) سورة الشورى آية « ٣٩ » . | (٣) سورة لقمان آية « ١٣ » . |
| (١٠) سورة الشعراء آية « ٢٢٧ » . | (٤) سورة المائدة آية « ٤٥ » . |
| | (٥) سورة النمل آية « ٥٢ » . |
| | (٦) سورة الكهف آية « ٥٩ » . |

ويجعل كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة ، ويعبر بعض المفسرين عن ذلك فيقول :
أمات نفسا ، وأحيا — بالعتق — نفسا ، فكأن الحرية إحياء .. وهى كذلك
إحياء ، والاستعباد موت .. وأى موت . هذان مثلان سريعان . (١)
مع التنويه بما يصنع الإسلام من ضوابط حول هذه الحرية . والله أعلم .



(١) وربما أشرنا فى نهاية هذا المنهج إلى الخطوط الرئيسية للنظام السياسى وربما أضفنا نموذجا لإعلان دستورى إسلامى ، هنا وقد أصدر المؤتمر المنعقد فى إسلام آباد نموذجا لدستور إسلامى .
كما قامت رابطة العالم الإسلامى ، والمؤتمر الإسلامى المنبثق عن الأزهر نماذج أخرى فيما نعلم ، وتحتاج هذه جميعا إلى دراسة للاستفادة منها جميعا أو من بعضها .
(٢) فلا يسمح بالحرية التى تصل إلى الإباحة كما لايسمح بالحرية المطلقة فى التشريع ، لأن الأولى عدوان على قيم أصيلة يقوم عليها المجتمع ، والثانية عدوان على حق الله الذى له — وحده — أن يشرع ابتداء وإن كان للذين يستنبطون أن يشرعوا بناء لا ابتداء ..

الفصل الثالث

الرأسمالية

« الوجه الاقتصادي الغربى »

تقدمة :

قدمنا أن الرأسمالية والديمقراطية توأمان .. أيهما سبق الآخر فإن الفاصل قليل ، وإن المذهب الفردى *Individialisme* الذى أخذ طريقه من خلال كتابات هو جوحروشيوس ، وتوماس هوبز ، وجون لوك ، وجان جاك روسو .. هذا المذهب فرض نفسه فى المجال الاقتصادى حاملا شعار : دعة يمر دعة يعمل *Laissez Passer, Laissez Faire* الأمر الذى انتقل إلى المجال السياسى ، وتدعم بنظرية العقد الاجتماعى ، وأرسى دعائم الديمقراطية متمثلة فى نظرية السيادة ، ومبدأ الشرعية ، والحقوق والحريات العامة — على نحو مبالسلفنا — ولكن مثلت الديمقراطية الوجه السياسى « للنظام الحر » ، فإن الرأسمالية تمثل الوجه الاقتصادى لذلك النظام ... ومن ثم وجب التعرض لنشأتها ، ثم خصائصها ، ثم آثارها وأخيرا تقويمها والله المستعان .

١ — نشأة الرأسمالية :

لاشك أن الرأسمالية كانت فى عصرها — طورا جديدا للنظام الاقتصادى .. الذى كان غارقا قبلها فى النظام الإقطاعى ، بيد أن الأمر لم يتم نقله واحدا من نظام إلى نظام ، لقد مر خلال كتابات عديدة ، ومدارس مختلفة دعت إلى مبادئ فيها تصحيح لنظام الإقطاع وتقرير لبعض حقوق الإنسان .. أفاد منها النظام الاقتصادى ، بل والنظام السياسى — كما أسلفنا — ونشير إلى عديد من هذه المدارس والكتابات .

— كانت الصيحة الأولى هو جوحروشيوس الذى أصدر كتاب قانون الحرب

والسلام ، وأشار فيه إلى أن للفرد حقوقا لا تقبل التبديل ولا سييل للقضاء عليها وتبعه في ذلك توماس هوبز (١٦٥١) ثم جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤ م)

وقد كان لهم تأثيرهم في إعلان الحقوق الأمريكى الذى صدر فى شكل دستور للولايات المتحدة الأمريكية وتبعهم جان جاك روسو مناديا بنظرية العقد الاجتماعى Contrat Social التى دعمت حقوق الأفراد الاقتصادية فضلا عن الحقوق السياسية ، وقد أثرت وأثرت إعلان الحقوق الفرنسى للإنسان !

— وجاءت مدرسة التجاريين

تقيم الدولة على أساس قومى ، وتجعل قوتها من خلال التجارة ، وتجعل تحسن حالتها الاقتصادية رهينة بزيادة صادراتها على وارداتها .
ومن ثم كان الاهتمام بالزراعة وزيادة الانتاج الزراعى وكان الاهتمام بإنشاء شركات تجارية وتشجيع الصناعة — وزيادة الصادرات من كل هذا الإنتاج .

— وجاءت مدرسة الطبيعيين .

تقرر للأفراد حقوقا طبيعية .. فى مقدمتها حق العمل ، وحق التنقل ، واقتناء الثروة والتصرف فيها وارتفع من خلال هذه المدرسة شعار دعه يمد دعه يعمل Laissez Passer Laissez Faire واستغل الشعار فى المجال الاقتصادى ، وفى المجال السياسى كذلك ووضعت هذه المدرسة أساس المذهب الاقتصادى الحر

... ولعن كانت الكتابات السابقة كلها .. تمهيد للرأسمالية ، فإن الرأسمالية تدين بالولاء لكاتبها الاقتصادى الأول آدم سميث Adam Smith ومن ثم وجبت الكتابة عنه مستقلة

آدم سميث ..

صار آدم سميث علما للاقتصاد الرأسمالى بعد إذ وضع أسسه فى كتاب أنفق

فيه اثني عشر عاما من عمره (١) ، وقد ساعدت ظروف على نجاحه نذكر منها :

أ — أنه ساد قبل كتابه « عصر التنوير » .

ب — أنه عاش في بداية الثورة الصناعية .

ج — أنه تميز بدقة الملاحظة مع القدرة على التعليم والدوافع الخلقية والظرف الأول والثاني خارجيان ، أما الأخير فخاص به .

— وقد نادى سميث بعدة مبادئ :

أ — القيمة الحقيقية للشيء بقدر ما بذل فيه من عمل ، وثروة الأمة بانتاجها

الناجم عن العمل ، ويضيف أن الانتاج يزيد بتقسيم العمل واستخدام الآله

ب — المنافسة لازمة لقيام الحرية الاقتصادية .

ج — النقود أداة التبادل ، والمقادير الاضافية منها تسبب إرتفاع الأسعار

د — لاغضاضة في إقتضاء الفوائد عن الديون .

هـ — ربط بين رفاهية الفرد وبين الحجم الكلي للعمل وعدد السكان .

— ويعد سميث فيصلا بين عصر سبقه وعصر يليه

ففى مصدر الثروة : قال التجاريون إنها زيادة الصادرات ، وقال الطبيعيون إنها

الزراعة ، وقال هو إنها العمل وفي الغاية من الانتاج قال من سبقوه إنها الربح أى

مصلحة المنهج ، وقال هو إن الاستهلاك وقد تلا سميث كثيرون لكن أهمهم مثلا

نشير إليهم على عجل : مالتس ، ريكارد ، كينز .

مالتس Malthus (١٧٦١ — ١٨٣٤)

اقترن اسمه بالحديث عن « الانفجار السكاني » المتوقع وقام مبدؤه على ثلاث

دعائم :

أ — أولها في الدنيا هدفان : الغذاء ، والجنس ، أى بلغتنا الإنسان يعيش لشهوتي

(١) بدأه في ١٧٦٤ وأصدره في ١٧٧٦ — وهى السنة التى أعلن فيها استقلال الولايات المتحدة وأسمى كتابه بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم ، وقد تنقل به بين جامعتي اسكفورد وجلاسكو وعين أستاذا بالأخيرة .

البطن والفرج .

ب — قانون تناقص الغلة : وطبقا له فإن الانتاج بعد حد معين تصير نفقاته أكثر من قيمة الغلة .

ج — تكاثر النسل يتم بمتوالية هندسية لاتتناسب مع تزايد الموارد الغذائية ومن ثم نادى مالتس . بتأخير الزواج وتحديد النسل ويبدو أن زعماءنا وساستنا قد اعتنقوا فكر مالتس ونسو قول الله .. ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾^(١) وقوله ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾^(٢)

وبلغه الاقتصاد .. فإن (الندرة) غير قائمة في الوطن الاسلامى عقيدة وواقعا^(٣)

دافيد ريكاردو Ricardo (١٧٧٢ — ١٨٢٣) .

تحدث في كتابه « مبادئ الاقتصاد السياسى ونظام الضرائب » عن :
— مشكلة توزيع الثروة .

— الربح هو الذى يكون من غير مقابل ، والربح يكون بمقابل والأول مصدره امتلاك نوع نادر من المصادر الطبيعية ، والثانى مصدره العمل .
— الأجور تخضع للعرض والطلب وترتفع بارتفاع ثمن الحاصلات الزراعية .

كينز Keinz (١٨٢٣ — ١٨٧٥)

ايرلندى الوطن ، أدخل الرياضة للاقتصاد ، كان أهم ما قاله :
— قدم آخر النظريات فيما يتعلق بالنقود .

— تحدث عن الدورات الاقتصادية .

— تحدث عن أنه لا بد من أن تفعل الحكومة شيئا لتخفيف البطالة وتحقيق الرفاهية

Welfarestate

(١) سورة هود آية ٦ .

(٢) سورة الأعراف آية ٩٦ .

(٣) شرحنا ذلك في مكان آخر — أما عقيدة فقد تقدم من القرآن ماينفى القول بالندرة وأما واقعا فقد جيبى الله

٢ — خصائص الرأسمالية :

نستطيع من خلال ما تقدم ، ثم من خلال التطبيق ، أن نتبين للرأسمالية خصائص ثلاث .

أ — الحرية الاقتصادية :

تلك الحرية المستمدة أولا من حقوق الإنسان الطبيعية التي نادى بها المذهب الفردى والقائمة على أصلين : حرية العمل ، وحرية التنقل وهي في تطبيقها تقوم على :

— المنافسة الحرة .

— قانون العرض والطلب .

وقد مرت تلك الحرية بمرحلتين :

— أولهما : اقتصاد الرفاهية Welfare Staté

— ثانيهما : الاقتصاد الموجه Economie Derigé وفي الأخير تم تشذيب الرأسمالية أو تطعيمها بشيء من الاشتراكية .

ب — الملكية الفردية :

تعترف الرأسمالية بالملكية الفردية ، وتعدها حافزا هاما للإنتاج وللتقدم الاقتصادي .. بيد أنها قد مرت كذلك بمرحلتين :

مرحلة الملكية المطلقة من غير قيود .

مرحلة الملكية المقيدة أو التي أطلق عليها أنها تؤدي وظيفة اجتماعية وكانت المرحلة الثانية تأثرا بالاشتراكية .

إلا أن الأخيرة تأثرت بالرأسمالية حين اعترفت بالحافز الفردى ، وحين أبقّت على الملكية الفردية في بعض البطاقات « حديقة المنزل ، أثاث المنزل ، سيارة صغيرة ثم ملكية صغيرة » .

= وطننا الإسلامى الكثير الذى ينفى عنه إمكان وقوع الندرة فيه اللهم إلا أن يكون عقابا ربانيا بذنوب أبنائه ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ﴾

ج — الفائدة أو الربا :

النظام الرأسمالى نظام ربوى ، وقد يشير ذلك إلى الأصابع اليهودية التى تعيش بالربا ، وللربا ، على الربا .. ويعترف التاريخ بأنهم أول من أنشئوا نظام المصارف وأنهم كانوا أول المستفيدين بالتكاثر « السرطاني » من غير جهد وقد أدى النظام الربوى إلى أزمات اقتصادية فى الدول الرأسمالية وقد رفضته الأنظمة الاشتراكية .

٣ — آثار الرأسمالية :

أما آثارها النفسية والاجتماعية :

أ — فقد أدت إلى ضعف الوازع الدينى ، وطغيان الوازع المادى ، وصدق الله ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾^(١)

ب — استغراق حياة الأفراد فى السعى على الرزق وفى المزيد من المادة « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار » وما ترتب على ذلك من فقدان الإحساس بالآخرين ، ومن التعالى « ومعه الريال ، والدولار » والكبر والغرور وأخيرا أمراض الترف وقمتها الفجور ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾^(٢) فضلا عن الأمراض العصبية التى تصاحب تضخم رؤس الأموال وزيادة نسبة الانتحارات .

ج — تثبيط الرغبة فى الخدمات الاجتماعية وهى مترتبة على فقدان الإحساس بالآخرين ، وانفصال الطبقة المالكة عن بقية الطبقات المسحوقة ، وما يترتب على ذلك من حسد وحقد .

أما الآثار السياسية :

فأولها ضعف طبقة الناخبين وتأثر ذمهم بمحاولات الشراء الرأسمالية .
وثانيها سيطرة رأس المال على الحكم

وثالثها انفصال الديمقراطية عن الرأسمالية .. بمعنى أنه لا يلزم للديموقراطية أن يقوم نظام رأسمالى ، فإن دولا بعيدة عن الرأسمالية تقيم الديمقراطية مثل الدنمرك

(١) العلق / ٦ ، ٧ .

(٢) الإسراء / ١٦ .

والسويد والنرويج ، والديموقراطية فيها أكثر ازدهارا من الولايات المتحدة الأمريكية .

٤ - نقد الرأسمالية :

والنقد يشمل الوجهين وجه المزايا ووجه العيوب أما المزايا فيكفى فيها :
أ - الاعتراف بالفرد ، وشخصيته ، وحقوقه .. وهو أمر لا بديل عنه ولا عوض عنه مهما كانت المزايا الأخرى !
ب - وفرة الإنتاج وجودته ، وهو أمر شاهد ، وعكسه قائم في الأنظمة القائمة على الاشتراكية .

ج - اقترابها من الفطرة . في شأن حب التملك ، وتوافر الحافز الشخصي على الإنتاج ... إلخ .
أما العيوب فيكفى فيها :

أ - انتشار البطالة ، وما يترتب عليها من مخاطر اجتماعية وسياسية .

ب - الكساد الاقتصادي ، فإن وفرة الإنتاج تؤدي بعد فترة إلى الكساد .

ج - الاحتكار :

وهو واضح في النظام الرأسمالي وله عيوبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأخطره ما يتخذ نظام « الكارتيلات » الذي يترتب عليه التحكم في السوق العالمية وفي الأسعار وأحيانا في المواد النادرة وقد نشأت صورة أخرى حديثة للاحتكار وهي المشروعات المتعددة الجنسية حيث تقوم الشركات الكبرى بإنشاء فروع لها والمصانعها في دول عديدة كذلك يظهر ظلم النظام الرأسمالي في فرضه سعر الفائدة .

وبعد

فلقد نشير في نهاية هذه الكلمات إلى أن النظام الإسلامي إذا يأخذ مزايا النظام الرأسمالي فإنه يرفض عيوبه ، ويقم نظامه الاقتصادي على أساس من التكافل

الاجتماعى عموده الزكاة التى هى حق معلوم وليست صدقة أو هبة أو فضلا ، فضلا عن رفضه الاحتكار بكل أنواعه ، والربا كذلك بكل أشكاله ، وعلاجه للكساد والبطالة بما يقيمه من توازن بين الفرد والجماعة وتكافل صادق بين أفراد المجتمع جميعا .



الفصل الرابع الوجودية « الوجه الاجتماعي الغربي »

تقدمة :

لئن كانت العلمانية تمثل « ردة » فكرية فرضت نفسها على الغرب رد فعل لسلوك الكنيسة ، فلقد كانت الوجودية « ردة » اجتماعية فرضت نفسها على الغرب وكانت هي الوجه الآخر للعملة الجديدة التي أفلتت من الدين أو ثارت عليه !

ولقد يذهب البعض إلى أن اليهود كانوا وراء مذاهب الوجودية بأسمائها المتعددة ، ولقد يؤكد ذلك ماجاء في مخططاتهم أو كتبهم ، أو يفوح به سلوكهم . بيد أن الأمر لم يكن في حاجة إلى تدخل يهود ... إن الإنسانية تميل إلى التردى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ﴾^(١) ، وإن الهبوط دائما أيسر من الصعود ، ولذلك فإن المجتمع الذي يفترق التزكية ... فإنه يتردى إلى الهاوية سلوكاً وخلقا ومعاملات أمر يشهده كل باحث في التاريخ أو في الاجتماع ..

وإذا تفلتت أوروبا من دينها ، وثارَت على كنيستها .. فقد كان لا بد أن يصحب ذلك .. تحلل في سلوكها وانحلال في أخلاقها ، وهبوط في قيمها ، الأمر الذي صاحبتة « الفلسفة » أو فسرتها ، فضلا عن أنها حاولت نشره !

ولئن عرفت الفلسفة متأخرة ، فلقد كان السلوك سابقا عليها ، ملازما لذلك التفلت من الدين أو الخروج عليه .

(١) سورة التين آية ٤ ، ٥ .

نشأة الوجودية :

لن نفرق في الحديث عن الفلسفة ومذاهبها .. إنما يكفي أن نشير إلى أن من أوائل من تحدث عن الوجود والوجودية كيركجورد^(١) الذي أشاد « بالوجود الفردي » مشيراً إلى أن الإنسان يهتدى إلى وجوده بنفسه مستقلاً عن الآخرين ، مؤكداً أن الطريق إلى ذلك « الهدى » إما الصدمة العاطفية القوية ، أو يقظة الضمير ، أو ضربة من ضربات التجارب

(٢) ' بيد أنه يسبق ذلك الكيركجورد فيلسوف فرنسي يدعى « بسكال يليز » الذي راح يردد بكل ماأراه في الطبيعة هو موضوع شك وقلق ، وإن كنت لا أرى شيئاً يدل على وجود خالق لكنت أنكر وجوده ، ولو شاهدت آيات خالق في كل شيء لاسترحت بالإيمان ، ولكن ماأراه هو أكبر من أن أستطيع إنكاره ، وهو أقل من أن يقتنعني فأنا في حالة تستوجب الشفقة » (٣)

ولقد يذهب البعض إلى أبعد من ذلك ، فيربط الوجودية بالفيلسوف اليوناني سقراط الذي عارض فلاسفة عصره فيما ذهبوا إليه من بحث في طبيعة الكون أو أصل المادة ليرد الناس إلى حقيقتهم ولينادي نداءه الشهير « اعرف نفسك بنفسك »

ومن بعده « الرواقيون » الذين فرضوا « سيادة النفس » وأعرضوا عما غرق فيه السوفسطائيون من جدل عقيم (٤)

بيد أنه يبقى ارتباط الوجودية ببسكال الذي رسم طريق « الوجودية الحديثة » ثم كيركجورد الذي عده رجال الفكر الغربي أباً للوجودية . (٥)

(١) ولد عام ١٨١٣ وملك عام ١٨٥٥

(٢) ولد عام ١٦٢٣ وملك عام ١٦٦٢

(٣) الوجودية المؤمنة والملحدة د. محمد غلاب وراجع : الدكتور عبد الرحمن عميرة في بحثه القيم المذاهب المعاصرة

(٤) راجع د. عميرة — المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق ولقد ظهر في روسيا أمثال بيرد يائيف ، شبستوف ، سولوغييف .

عوامل ظهور الوجودية وانتشارها :

يذكر البعض عدة عوامل ساعدت على ظهور الوجودية وذبوعها من أهمها :
١ — تحكم الكنيسة في شؤون الناس ، وفرضها آراء تصادم العقل ، وتصادم من قبله الفطرة ..

ويعبر « كيركجورد » تعبيرا ساخرا عن أثر الكنيسة في نفسه بقوله « إن الصليب هو الصورة الوحيدة ، والانفعال الوحيد اللذان كانا عندي عن المنقذ ، ورغم طفولتي كنت كأني رجل مسن ، وقد رافقتني هذه الصورة كل حياتي ، ومنذ طفولتي الأولى نفذ سهم الحزن في قلبي ، ومادام فيه فإنني سأظل ساخرا ولو انتزعت له لمت » .

٢ — الحروب .. العالمية التي أورثت الشعوب الجوع والتشرد والحرمان ومن هذا الباب نداء ترديف الذي عاش عصر القيصرية ثم أزمة الشيوعية وما ساقته من مشائق وهلاك ، ثم شاهد في برلين دمار الحرب ، وذاق ذل الاعتقال ، وشاهد الجماعم والجثث وسنابك الاحتلال تدوس هذا وذاك .. وكان مع هذا دعوته للجرذان التي عاشت تحت الأنقاض سنوات ، وفي الخنادق أعواما أن هبوا من نومكم ، وأفيقوا من سكرتكم ، وأعيدوا ما فقدتم من أيامكم ، واطرحوا وراء ظهوركم كل ما يربطكم بأموال الدين ، ومبادئ الخلق ، وقواعد العرف^(١) .

٣ — ونضيف إلى هذين عاملا ثالثا .. أشرنا إليه من قبل هو الميل البشري إلى التردى ، وهو ميل يساعد عليه خفة الوازع الدينى أو اختفاؤه ، كما يساعد عليه كراهية « رجال الدين » من خلال سلوكهم مع الناس وأمام الناس وقد توافر ذلك كله في الغرب .. بل توافرت له ثورة على الدين تمثلت في قولتهم « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس !

(١) المرجع السابق .

ارتباط الوجودية الحديثة بسارتر .^(١)

ليس هو منشئ الوجودية ، ولاباعثها ، وإن كان ذلك ليس بالشرف الذى يستحق الادعاء ! ... بيد أن تلاميذه — وهم كثير — له ولها مروجون وتقريراً للواقع فقد ذاعت الوجودية مقترنة باسم جان بول سارتر ولقد يكون له « فضل » أو بعبارة أصح « إثم » أو « كِبْر » إذاعتها ، بيد أن الظروف التى عاشها ، والحروب التى قضى عمره مصاحباً لها « الحرب العالمية الأولى . والحرب العالمية الثانية » وهما حريان ذاقت أوروبا منها وفيهما الويلات — كل ذلك كان له الأثر الأول فى ذبوع الفكرة وشيوعها ، واعتناق الشباب الكافر بالمثل ، المرتدعن كل القيم لهذه الأفكار .

وكان لإعلان سارتر « إن الإنسان لا يستطيع أن يوجد ذاته إلا باطلاق العنان لرغباته وشهواته ، بحيث يفعل مايشاء ويترك ما يريد ، ولايبالى العرف والدين .

وكان لسلكه الخاص فى ارتباطه بمن تدعى « سيموردى بوفوار » ارتباطاً غير شرعى — أى بغير عقد زواج وتردها معه على المؤتمرات والاجتماعات والمحاضرات ، وإعلانيها عن هذا الارتباط الآثم باعتباره « مثلاً » ونموذجاً للإخلاص بغير زواج ... كان لهذا السلوك أثره فى ضرب القدوة السيئة لشباب هذا الجيل .

ولقد أخطأ البعض حين ظن « الوجودية مدرسة واسعة النطاق ينتمى إليها المؤمنون والملحدون ، وبين فلاسفتها أناس متدينون ، إذ ليست الوجودية فى ذاتها دعوة مخالفة للدين ولا للعقائد الخلقية ، وليس بين مذاهبها من وحدة

(١) ولد المذكور فى عام ١٩٠٥ ، وظهر بالأجربياسيون فى الفلسفة عام ١٩٢٩ وأصدر فى عام ١٩٣٨ روايته « الغثيان » وفى عام ١٩٣٩ مجموعة قصص « الحائط » . وأسر فى عام ١٩٤٠ — ١٩٤١ وفى عامى ٤٢ ، ١٩٤٣ أصدر « المتخيل » و « الوجود والعدم » كما أصدر مسرحيته « الذهاب » و « الباب المغلق » وقد استغل تلاميذه بعض المواقف فى حياته لوصفه « بالبطولة » ووضعه موضع « البطل » منها قتاله ضد المحتلين فى باريس ، ورفضه استعمار الجزائر ، ورفضه جائزة نوبل ولسنا فى مجال (تقويم) الرجل ومواقفه ، لكننا فى مجال تقويم فكره .. وهو بلاشك فكر ساقط بالمعيار الإسلامى السليم ، وكذلك بكل معيار يعتد بالقيم والأخلاق !

مشتركة غير إنصاف « الشخصية الإنسانية » أمام الجماعة في عصر شاعت فيه قيمة الكثرة والزحام ، وقلت فيه قيمة المزايا والصفات .

نقول أخطأ البعض إذا أحسن الظن بالوجودية ، وهي في بدئها على يد كيركجورد خروج على الدين وفي خاتمها على يد سارتر خروج واضح على العرف والدين وإطلاق العنان للرجبات والشهوات .

تقوم الوجودية :

* إطلاق المبدأ على الوجودية .. ظلم للسبأء .

وإطلاق النظرية عليها كذلك .. ظلم للنظريات !

* وهي لاتعدو أن تكون « ارتكاسة » أو تسجيل لهذه الارتكاسة ، أو تبرير نظري لواقع عملي مترد !

* وهي بنصوص أصحابها خروج صريح على الدين ، ودعوة فاضحة لإطلاق الشهوات ومن ثم فالقول بأن فيها الملحد وغير الملحد .. قول غير دقيق يفتقد الأساس من أصحاب النظرية نفسها !
ولعل ما يمكن أن نقدم فيها قول الله سبحانه

﴿ أفرايت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ (١) .

(١) أخذنا هذا التعليق القرآني الأصيل الكريم - د. عميرة - المرجع السابق والآيتان من سورة الجاثية ٢٣ ، ٢٤ .

ملخص للاتجاه الغربي العلمانية

(الأيدولوجية الفكرية)

الوجودية

الوجه الاجتماعي الفردي

الرأسمالية

الوجه الاقتصادي الغربي

الديمقراطية

الوجه السياسي الغربي

١ - مبدأ سيادة الأمة

٢ - مبدأ المشروعية

٣ - الحقوق والحريات العامة

الباب الثانى

التيار الفكرى الشيوعى

- ١ - فصل تمهيدى .
- ٢ - أسس الشيوعية الفكرية « الأيدولوجية الماركسية
- ٣ - النظام الاقتصادى الاشتراكى « الشيوعى » .
- ٤ - النظام السياسى والاجتماعى « أسس الدكتاتورية

الفصل الأول فصل تمهيدى

أولا : بواعث الشيوعية وحقيقتها . *

فكر اليهودى مرد خاى ماركس لم يعد خافيا فى بواعثه ولا فى حقيقته على أحد ! فالماركسية — بمقاييس العلم — ليست بالنظرية المبتدعة التى لم يسبق لها أحد بل هى تكرار لأفكار قديمة ترجع إلى ما قبل الميلاد ، ثم هى فى الحديث سرقة علمية من مجموعة فلسفات قال بها هيغل وفيورباخ وجرى التوفيق أو التلفيق بين أجزاءها ، ومع ذلك بقيت تحوى التناقض وتصطدم بالعلم فى مسلماته الحديثة كما تصطدم بالفطرة والطبيعة فى حالتها السوية السليمة .
ولاجرم أن بواعثها كثيرة :

منها الباعث الشخصى فيما تحويه شخصية مرد خاى ماركس .. من حقد على المجتمع الذى عاش فيه فقيرا محروما عالة .. حتى على أفراد عائلته من النساء .. مما اضطره فى مرحلة من مراحل حياته أن يلجأ إلى « النصب » كوسيلة للتكسب . (١)
وما تحويه بعد ذلك من رغبة فى الإلتلاف والتحطيم ظهرت عليه فى باكورة حياته واعترف بها والده وكفى بشهادة الوالد دليلا على ولده . (٢)

وما تحويه أخيرا من ميل إلى التبدل والقذارة .. ظهرت على مظهره وملبسه وظهرت فى سلوكه الماجن وحياته البعيدة عن القيم ، والتى انعكست أو تورثت فى إحدى بناته التى عاشت تعاشر إنسانا بغير زواج فلما اكتشفت أنه متزوج من أخرى انتحرت . (٣)
ذلك الباعث الشخصى .. لا بد أن يكون له تأثيره على فكر ماركس .. حقا ،

* هذا الجزء مأخوذ من كتابنا « حاضِر العالم الإسلامى »

(١) نشير بذلك إلى قيامه ببيع كتابه رأس المال لأكثر من دار نشر فى وقت واحد وقبض ثمن الكتاب أكثر من مرة من أكثر من جهة .. وهذا بلغة القانون ولغة الواقع عملية نصب على مستوى التأليف والنشر .
(٢ ، ٣) راجع فى ذلك كتابنا شريعة الله حاكمة — فصل الشيوعية شبهة وفتنة وراجع كذلك كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد الشيوعية والإنسانية .

وإتلافا وتديلا ، فإذا أضفنا إليه أنه يهودى من سلالة يهود انطبعت كل انحرافات اليهود فى نفسه ، وغذت ما فيها من حقد وإتلاف وتدل .

وكل إناء بما فيه ينضح .

فلا عجب إذا حوت الماركسية الحقد ، والإتلاف ، والتدلى !

أما البواعث الأخرى :

فقد تكون فى البيئة التى شجعت على نشأة هذا الفكر وعلى انتشاره .

تلك البيئة التى بلغ فيها طغيان الإقطاع الزراعى ومن بعده الإقطاع الصناعى أقصى صنوف الاستغلال .

والتى بلغ فيها طغيان الكنيسة وافتئاتها على العقول والقلوب أقصى درجات الطغيان ، كما بلغ فيها تحلل أكثر رجالها أقصى درجات التحلل واستغلالهم الدين لتحقيق الكسب المادى وفرض الإتاوات والتحاليف مع الإقطاع الحاكم أقصى الدرجات كذلك .

كل ذلك على حساب شعوب أكثرها فقير ومحروم .. يتطلع إلى الإنقاذ فيسمع الصيحة الخادعة : يا صعايليك العالم اتحدوا ، فأمامكم عالم تغنمونه ، وليس فى أيديكم ماتفقذونه سوى الأغلال . فينخدع العالم المحروم بالصيحة ، ويحسبها صيحة الإنقاذ ، تماما كما قال رب العالمين :

﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ، تدمر كل شىء بأمر ربها ﴾ (١)

وهكذا تبدو الشيوعية بخداعها عارضا ممطرا ..

فإذا حلت كانت ريحا فيها عذاب أليم تدمر كل شىء ...

وقد تكون فى الأفقى التى تخفى رأسها وتنفض سمومها لتحقق ما توأصت به فى

(١) الأحقاف آية ٢٤ .

توراتها المحرفة ، أو في تلمودها المنحرف ، أو فيما أعقب ذلك .. تدميرا للأديان بل تدميرا للجنس البشرى من الجويم « غير اليهودى » لتصل إلى خرافة سيادة الجنس اليهودى وامتلاكه للعالم . (١)

ولقد يؤكد ذلك :

- ١ — أن صاحب الفكر « مردخاى ماركس » يهودى
- ٢ — أن ممولى الثورة الشيوعية يهود (٢)
- ٣ — أن صانعى الثورة الشيوعية يهود (٣)
- ٤ — أن الذين توارثوا دولتها .. لينين ، ستالين .. كانوا يهودا .
- ٥ — أنها تواصلت بالإبقاء على الدين اليهودى وحده ، رغم حملتها الساحقة .. على غيره من الأديان « يقول ماركس : الدين أفيون الشعوب ويقول روجية جارو دى فيلسوف الحزب الشيوعى الفرنسى السابق أن الدين انعكاس لشقاء فعلى واحتجاج على هذا الشقاء » . (٤)

أما حقيقة الفكر :

فهو سرقة علمية سطا فيها مرد خاى ماركس على فكر هيغل وفورباخ ليشكل منها نظرية تقوم على المادة والتناقض .

ثم هى — كما نسجها ماركس — صارت متخلفة عن ركب العلم ، تتمثل فيها الرجعية لمن يصر عليها ..

(١) يقول ماركس نفسه : إن حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الأديان وذلك بتطبيق ما أسماه التحويل الاشتراكى للعالم بأسره ، وإذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية ' عن كتاب المخطوطات التلمودية للأستاذ أنور الجندى ص ٧٩ .

(٢) هم اسحق مونتمر شيشو ليفى ، درون وشيث .

(٣) هم : لينين ، بينانون ، بوترسوف ، تردتسكى ، مارثون ، اكسلرود ، تسازوتش ، وكانو ايكونون مجلسا للثورة منذ سنة ١٩٠٠ وسكرتيرته يهودية هى كرهسا كاهبا زوجة لينين .

(٤) روجية جارودى — ماركسية القرن العشرين ص ١٤٢ — الطبعة الثالثة سنة ٧٢ تعريب نزيه حكيم وعنوانه الأصل الفرنسى « التحول الكبير فى الاشتراكية » .

ومن فضل الله أن هذا الرجل ترك الشيوعية ، وترك الدين التصرفى ودخل الإسلام !

ذلك أن العلم لم يعد يعترف أن المادة هي ماتقع عليه الحواس كما قال بذلك
ماركس ، ومن خلال نظريات الثقب الأسود وصل العلم إلى أن ماتدركه الحواس
من المواد لا يمثل إلا ٧ ٪ أما الـ ٩٣ ٪ فهي مواد لم تدركها بعد الحواس .

فماذا يضير قول ماركس عن المادة بمعيار العلم ؟

وهل يصح بعد ذلك أن يضفى صفة « العلمية » على اشتراكيته؟!

أما حديثة عن أن فى كل مادة تناقضا ، فإنه يفتقر كذلك للأساس العلمى ، إذ
أن الملاحظ من الاستقراء والتتبع أن مافى المواد هو التزواج والتكامل وليس
على النحو الذى نرى ونشاهد ابتداء من الذرة وانتهاء إلى الجرم الكبير .

﴿ لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا انليلُ سابق النهار وكل فى فلك
يسبحون ﴾ (١)

وأن عنصرى السالب والموجب الموجود فى المادة على اختلاف طبائعها
وأنواعها « مثل الذرة والكهرباء والمغناطيس بل والنبات والحيوان والإنسان » .
هذان العنصران ليسا متناقضين .. بل متكاملين ومتزواجين .. ماداما فى
حالتها الطبيعية وهو الوضع الأغلب الذى تبنى عليه الأحكام .

ومن هنا كان قول الله سبحانه :

﴿ ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ (٢) .

لكن ماركس لم يستطع إدراك هذه الحقيقة وظن التزواج والتكامل متناقضا
بنى عليه نظريته وتطبيقاتها الخاطئة .

ومن خلال تلك النظرية الخاطئة علميا فى أساسها « المادة والتناقض » قال
ماركس بالتفسير المادى للتاريخ وبفائض القيمة « فى المجال الاقتصادى » .

(١) سورة يس آية ٤٠ .

(٢) سورة الذريات آية ٤٩ .

وبالصراع بين الطبقات في المجال الاجتماعي وبدكتاتورية البروليتاريا ودولة الصعاليك « في المجال السياسي » .

وكذب العلم والتاريخ ماركس

وكان من أول المكذبين له في القانون الأول صديقه انجلز ، إذ أعلن أن عوامل هامة تشكل التاريخ غير المادة ومن بينها الدين ذاته وهو ليس بمادة . (١)

وفي فائض القيمة الذي اعتبره حق العامل الكادح يأخذه الرأسمالي بغير مبرر لم يعد في عصر « السبيرنتيكا » أو التشغيل الأوتوماتيكي لعمليات الإنتاج ، ولم يعد الربح مقابلا لجهد العامل .. بل إن العامل خف أو اختفى في كثير من المواقع ليحل محله المهندس أو المدير الإداري والفني والاقتصادي .. وصار الجهد المادى الأكبر هو للآلة التي تمثل الجانب الأكبر لرأس المال في المشروع . (٢)

وتساقطت « علميا » دعاوى ماركس .

وفي المجال الاجتماعي تساقطت كذلك دعاوى الصراع بين الطبقات بتساقط دعاوى التناقض نفسها التي قامت عليها دعاوى الصراع .

وكذب التاريخ كذلك دعاوى الصراع بين الطبقات .. بما أثبتته من قيام مجتمعات وعلى مدى طويل ليس فيها الصراع بين الطبقات وإنما بينها المودة والرحمة يتمثلها قول رسول السلام عليه الصلاة والسلام « كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٣)

وفي المجال السياسي سقطت دعاوى دكتاتورية البروليتاريا بما قام في الأنظمة

(١) شريعة الله حياكة — ليس بالحدود وحدها . ص ١٠٤ للمؤلف .

(٢) مقالا طيبا للدكتور صلاح عدس لسبيرنتيكا ضربة علمية للماركسية .

مجلة الثقافة المصرية — السنة الثالثة — العدد ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٧٥ م .

(٣) أخرجه البخارى في الأدب ١٢ / ٨ . ومسلم في البر والصلة ٤ / ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٦٦ . عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

الشيوعية الحاكمة من دكتاتورية طبقية لانتبت إلى البروليتاريا بسبب ، تعيش عيشة القياصرة أو الأكاسرة ولا يزال ذهب الكرميلين يظلمهم ، وزادوا عليه أن صارت لهم شوارع خاصة لايسر فيها غيرهم من أبناء البروليتاريا أو الطبقة الكادحة ...

وقامت دولة الصعاليك .. على صعاليك الفكر والسياسة ولصالحهم .. وليس لصالح الطبقات المحرومة الكادحة .

انتقال الفكر إلى الشرق الإسلامي :

نشأ هذا الفكر كله في أوروبا وطبق في روسيا لكنه بكل أسف انتقل إلى الشرق الإسلامي وهو دخيل وغريب على أهله ودياره نقله اليهود كما صنعه اليهود وهكذا تسامع الناس في مصر بنقلة الشيوعية إليها :

هنرى كوريل ، وداؤول كوريل ، وريمون اجيون وهم يهود .. عاشوا بالشيوعية في مصر في مطلع هذا القرن .

ولانتزال الصهيونية تغذى الشيوعية بالعملاء وهي تفتح لها في إسرائيل حزبا شيوعيا كان أول من دعا إلى الإسلام مع دعاة الاشتراكية في الوطن العربي .

لكن هذا الفكر اصطدم في الشرق الإسلامي بعقيدته لم يقبل الناس دعوى الإلحاد التي تحملها الشيوعية .

ومن ثم تلوت الأفعى وتلونت . وظهر تكتيك شيوعي جديد يعلن المسالمة مع العقيدة ،^(١) والاعتراف بالأديان كمرحلة انتقالية حتى يتحقق التمكين

(١) في مجلة العلم والدين التي تصدر في الاتحاد السوفيتي « أن بين الاشتراكية العلمية والأديان السماوية صراعا مستمرا .» لقد أدركنا في الاتحاد السوفيتي منذ البدء خطورة لقاء الميراث الدينى على حاله في المجمعات السوفيتية مسيحية أو إسلامية ولأزلنا نواجه اليوم تحديات خطيرة وخصوصا في المناطق الإسلامية لذا قرر المؤتمر الثانى والعشرون للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى زيادة اليقظة والحذر وتمديد العزم على قهر البعث الدينى في المناطق الإسلامية .

وحين نستخدم الميراث الدينى وتظهر الاهتمام به في مرحلة التحويل الاشتراكى فلنعمل ذلك وبين أعيننا وصية =

للسيوعية ثم يجرى بعد ذلك القضاء على الدين ، ومن ثم أعلنوا أنهم يريدون الشيوعية نظاما اقتصاديا مع الإبقاء على الإسلام كعقيدة ، ونصحوا عملاءهم بألا يهاجموا الدين ، بل نصحوهم بأكثر من ذلك بأن يؤدوا شعائر الدين .. كالصلاة والصيام والحج .. يمكنهم من خلال ذلك أن يغزوا قلوب المسلمين « السذج » أو « البسطاء » ونجح العملاء إلى حد كبير ..

وتسمى بعضهم « بالحاج » وأصر آخرون على التردد على بيت الله الحرام معتمرين أو زائرين أو حاجين .

وهم في التكليف الشرعى الصحيح كفار ليس لهم أن يدنسوا المسجد الحرام ، ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ﴾ .^(١)

لكنه الخداع من ناحية .
والسياسة من ناحية أخرى .

وأعلنا في أكثر من مكان أن الصلح بين الإسلام والشيوعية مرفوض ،^(٢) وأن التعايش بينهما مستحيل .

لأن الكفر والإيمان لا يتعايشان .
والحق والباطل لا يصطلحان .

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون ﴾^(٣)

== إنجز التي تقول « حتى لو كان في الإنجيل والكتب الدينية الأخرى صفحة هنا دابة هناك تصلح لتأييد التفسير الاشتراكي للأشياء فإن علينا دائما أن نتذكر بأن جوهر الدين معاد للاشتراكية . »

« بلشفة الإسلام — الدكتور صلاح الدين المنجد ص ٢١ — ٢٣ .
الطبعة الثانية »

(١) التوبة آية ٢٨ .

(٢) راجع الغزو الفكرى للعالم الإسلامى وشرعية الله حاكمة ليس بـ 'ندود وحدها للمؤلف .

(٣) الأنبياء آية ١٨ .

وهى فتنة نهى الأمة الإسلامية عنها ، ونسأل الله أن تنأى بنفسها عنها ، فلا تقبل بالشيوعية أو الاشتراكية نظاما اقتصاديا وللإسلام نظامه الاقتصادي .

﴿ واحذَرُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعلم أنما يريد الله أَنْ يَصِيْبَهُمْ بِيَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(١)



(١) المائدة آية ٤٩ - ٥٠ .

ثانيا : خطورة الشيوعية وحقيقتها .

* كيف تم للشيوعية امتلاك أضعاف مساحتها داخل الاتحاد السوفيتي ؟
* كيف تم للشيوعية الامتداد خارج الاتحاد السوفيتي ؟
كيف تم لها « السيطرة السياسية » على أكثر من نصف الأرض ؟
ماذا ينتظر خلال ال ٥٠ سنة القادمة .. إذا تم التوسع بنفس المعدل الذى تم
خلال الخمسين سنة الماضية ؟

* من يهد للشيوعية في العالم وفي أوطاننا ؟
كيف يخدع الجاهلون — وهم الأغلبية — ببناء الشيوعية الخادع ؟
كيف يهد « جاهلون » آخرون للشيوعية بتصرفاتهم .

* كيف تقف أمريكا موقف الضعف إزاء التوسع الشيوعي .. ؟
هل يبرر « الوفاق الدولي » الموقف الأمريكى .. ؟ أم أن هزائم أمريكا في فيتنام ثم
لبنان ما يدفعها إلى التحسب إزاء مواجهة « الاتحاد السوفيتي » ؟
هل ينتظر للشيوعية أن تزحف إلى أرض أوروبا وأرض الولايات المتحدة .. وكَم من
الزمن تحتاج ؟

* مامدى تأثير موقف الشيوعية من الأديان على تحديد خطرهما ؟
تلك أمور أجبنا عنها في أماكن أخرى^(١)، ونكتفى بتناول خطورة الشيوعية من ناحيتين

(١) راجع : التخطيط للدعوة الإسلامية — للمؤلف - أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك ، الكيد الأحمر
للشيخ حبنكة .

١ - من جهة المبادئ *

الشيوعية تقوم على مبادئ وقوانين ، وهى فى حقيقتها وجوهرها متخلفة وتافهة .. فالمادية الجدلية لم تعد تثبت أمام التحليل العلمى المنصف ، لأنه بعد استقرار نظرية « الثقب الأسود » أصبح من المستقر عليه علميا أن ما اكتشف من المواد يمثل ٧ ٪ ، وما بقى بغير اكتشاف يمثل ٩٣ ٪ ، وإذا كان ماركس لايعترف إلا بما هو محسوس من المادة فمعنى ذلك أنه بنى نظريته على ٧ ٪ وهوبناء منهار تماما من الناحية العلمية ..

والجدل عند ماركس القائم على افتراض وجود الشئ ونقيضه مع افتراض وجود الصراع بينهما .. هو الآخر غير سليم من الناحية العملية ..

فالثابت بالاستقراء على مستوى الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، ثم الجماد فى أصغر جزئياته أن السالب والموجب عنصران متكاملان وليسا متناقضين ما دام فى الحالة المستقرة لهما - وهى الأصل - .

ومن تكامل العنصرين وتزاوجهما توجد الحياة وتعمل وتتحرك ، ولا يوجد التناقض إلا إذا خرجا على الأصل إلى الاستثناء ، والاستثناء - علميا - لاحكم له .

ومن ثم فالجدل القائم عليه نظرية ماركس متخلف وغير صحيح علميا .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

ومابنى على المادية الجدلية من قوانين ينهار بانهارها كذلك .

فالقول بالتفسير المادى للتاريخ ينهار بانهار أساسه من المادية الجدلية ويؤيد انهياره ويؤكد اعتراف ماركس نفسه ورجوعه عنه كما جاء على لسان رفيقه

* هذا الجزء عن كتابنا (التخطيط للدعوة الإسلامية) - رابطة العالم الإسلامى - الدعوة الإسلامية بين اليوم

والغد - دار المجتمع - جدة .

(١) سورة الذاريات آية ٤٩ .

وصديقه إنجلز ، كذلك يؤيده ويؤكد أحداث التاريخ .. فالتاريخ الإسلامى الذى استطاع أن يفتح نصف الدنيا فى نصف قرن لم تكن المادة هى التى تحركه وتدفعه والذى امتلك فى ثمانين عاما ماامتلكته الإمبراطورية الرومانية فى ثمانمائة عام لم يكن لمادة ماركس مكان فيه ..

والقول بالصراع بين الطبقات ينهدم بهدم فكرة التناقض ، وبما قام فى المجتمع الإسلامى ومن قبله مجتمعات الأنبياء والصالحين وأن صاحب رأس المال باستثثاره بالربح الزائد عن أجر العمل يكون مغتصبا لحق هذا العامل هذا القول صار متخلفا وغير صحيح فى عصر « السبيرنتكيا » أو التشغيل الآلى للإنتاج إذا لم يعد جهد العامل محسوسا بل صار قاصرا على مجرد إدارة زر كهرباء فى أكثر الأحيان بل لقد حل المدير الفنى والمهندس محل العامل فى حالات كثيرة ، ليقوم دون حاجة إلى أيد عاملة بالإدارة الفنية لآلات المصنع .

ومن ثم إذا صح أن يُرد الفضل إلى أحد بعد الله .. فهو إلى الآله التى تتعب وتنتج وليس إلى العامل الذى يتفّرج ويقتصر دوره على تشغيل الآلة تشغيلاً ذاتياً « أوتوماتيكيا » !

وهكذا لاتصمد مبادئ ماركس كثيرا أمام التحليل العلمى ..
ولاتصمد كثيرا أمام تطبيقاتها العملية فى الدولة الأم ..

فالفردوس الذى منّت به الشيوعية العمال .. ليس له وجود فى الاتحاد السوفيتى بل إن الملوك الجدد للشيوعية يعيشون حياة لم يعشها قياصرة الأمس الذين ثاروا عليهم !

— لكن يبقى للمبادئ خطران :

« أولا » : جهل الناس بها ، وخاصة الطبقات التى تخاطبهم الشيوعية ، وهى طبقات الصعاليك كما يسميه ماركس نفسه — فهذه الطبقات بمقتضى قلة حصيلتها ، بل وقلة حصانيتها غير قادرة على التمييز بين الغثّ والسمين ، وبين الخبيث والطيب .

« ثانيا » : تمهيد الجاهلين لها ، والجاهلون الذين يمهدون في بلادهم للشيوعية غير راغبين فيها ولكنهم بحماقتهم يُمهدون لها ، فيمارسون الظلم الاجتماعى الذى يظن فى ظله الناس أن الإنقاذ لهم فى الشيوعية بما تنشر من خداع العدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق بين الطبقات ، ويمارس بعضهم مع الظلم الاجتماعى تصرفات شخصية طائشة يبدو فيها الترف الداعر فى أقصى بل أفسى صورة .

يساعد على هذا وذاك قصور فى نشر الدعوة الإسلامية ، وهى وحدها الدعوة الحق القادرة على الصمود فى وجه أية مبادئ أخرى ، ثم خلو الساحة من مبادئ تقف فى وجه الشيوعية !

ويجرنا هذا الحديث إلى الخطر الثانى ..

ب - تهيؤ الأرض للنبت الخبيث :

هذا هو الخطر الثانى للشيوعية :

وهو خطر ليس فى ذات الشيوعية ولكن فى خارجها .. فى انفساح الأرض أمامها .. وهذا الانفساح راجع إلى عدّة عوامل منها ما قدّمناه من جهل المستمعين ، ومن جهالة الحاكمين ، لكن هناك سببا رئيسيا يرجع إلى سكوت الكتلة الأخرى ووقوفها موقف المتفرج إزاء التوسع الرهيب للشيوعية فى الأرض التى تبسط عليها سلطانها ، هذا السكوت الذى قد يصل فى بعض الأحيان إلى ظن البعض بتقسيم مناطق النفوذ وفقا للوفاق الدولى بين الكتلتين وهو وإن كان صحيحا فى بعض المواقف وبعض الأحيان إلا أنه ليس صحيحا على الإطلاق ... لأن ترك الشيوعية على هذا المعدل من التوسع معناه أنها فى أقل من نصف قرن يمكن أن تملك الدنيا بما فيها أرض الولايات المتحدة نفسها ! وهو الأمر الذى لانظن أن الولايات المتحدة قد أعطت عليه التوافق أو الوفاق ! وإلا لافترضنا منتهى السداجة فى سياسة الولايات المتحدة إن لم نقل منتهى الخيانة الوطنية فى جانبهم !!

ونظرة إلى المساحة التى فرضت عليها الشيوعية سلطانها غداة انتصار ثورتها المشعومة ثم نظرة إلى المساحة التى بلغت بعد عشر سنوات (تقريبا عشر أمثالا)

ثم نظرة إلى المساحة التي بلغت اليوم بعد نصف قرن من قيامها (عشر أمثال أخرى تقريبا) .. كل ذلك يؤكد النتيجة التي انتبهنا إليها ... أنه لو بقي سكوت الكتلة غير الشيوعية لانهى العالم إلى سلطان الشيوعية المطلق بعد نصف قرن من الزمان !

ولقد أحسنت روسيا استغلال الوفاق الدولي ، واجتهدت أن تضم كل يوم أرضا جديدة ، مرة عن طريق الانقلابات العسكرية التي قلدت فيها الولايات المتحدة ، ومرة عن طريق الثورات الشعبية التي تمدها وتغذيها بكل شيء ، ومرة ثالثة وأخيرة عن طريق الغزو العسكري الذي عادت به إلى سيرتها الأولى ، فكانت بذلك تمثل قمة الرجعية إذ عادت إلى مألظته المجتمعات الدولية في القرن العشرين ، وما أكدته موثيقها الدولية والعالمية من رفض انتزاع الأرض بالقوة ، ومن تصفية للاستعمار العسكري القديم ووقفت أمريكا موقف العجز إزاء ماتفعله روسيا .

— أحيانا تحسبا من انهيار الوفاق واندلاع حرب عالمية .

— وأحيانا تخوفاً من الهزيمة ومايلحقها من عارخاصة بعد هزيمتها في فيتنام والدرس القاسى الذى خرجت به .

— وأحيانا لاستحالة التدخل لاقتراب المكان من النفوذ الروسى وبعده عن الأرض الأمريكية وأحيانا القواعد الأمريكية .

ولم يحسن الكثيرون تفهم حقيقة الموقف الأمريكى .

وراحوا يفسرونه أحيانا بأنه تقسيم لمناطق النفوذ ، وأحيانا أخرى بأنه رغبة فى القضاء على الحركة الإسلامية أو الدعوة الإسلامية ...

ولم ننكر فى يوم هذا ولاذاك ، ولكن لاينبغى دائما أن نطلق الشعار بغير نظر لما يجرى وحقيقة مايجرى !

وربما فضلت الولايات المتحدة أن يفسر تصرفها بالاتفاق أو الوفاق على أن يفسر بالعجز الذى ابتليت به السياسة الأمريكية القائمة على الحسابات الألكترونية فى مواجهة السياسة الروسية التى تتسم بشيء من التهور المحسوب مستغلا

الجمود الألكتروني الروتيني الأمريكي !

وتكفيها هذه الكلمات عن الوجه الثاني من أوجه الخطر لنتقل إلى الوجه الثالث من الخطر وهو خطورة الأهداف كعنصر مستقل لأهميتها وخطورها .

(ج) الأهداف :

— قد يقال إن خطورة الشيوعية في أهدافها والتي تتمثل في :

١ — في نظامها السياسي

الذي تنهار فيه القيم بدعوى هدم القديم ، والقضاء على البرجوازية ، وتمكين طبقة البرولتاريا ، إلى غير ذلك من الشعارات التي تطلقها الشيوعية .

وماتعنقه الشيوعية في هذا السبيل من تحريض على الثورة باعتبارها السبيل الأمثل للتمكين للشيوعية ، وهو سبيل اتبعته الشيوعية في مرحلتها الأولى لكنها في مرحلة ثانية لجأت إلى اللعبة التي لجأت إليها الولايات المتحدة الأمريكية وهي لعبة الانقلابات العسكرية وفي مرحلة ثالثة رجعت إلى سياسة الرجعية البغيضة وهي رجعية الاستعمار والاحتلال العسكريين كما حدث في أفغانستان ، وكما حدث من قبل في تشيكوسلوفاكيا والمجر وإن بررت التدخلين في البلدين الأخيرين بوقوع العدوان على المبادئ الشيوعية داخل الدائرة الشيوعية التابعة لها !!

والشيوعية في كل أساليبها : الثورة ، أو الانقلابات العسكرية ، أو الاحتلال العسكري تستحل الدماء بشكل رهيب ورعيب لم يماثلها فيه استعمار قديم أو جديد !

وبالتأكيد تستحل مادون الدماء من أعراض وأموال !

والأحداث ليست بالبعيدة .

مافعلته على أرض المسلمين في الاتحاد السوفيتي غداة انتصار ثورتها ضحاياها ملايين ! ما فعلته في انقلاباتها وثوراتها يرتفع إلى مئات الآلاف !

ما فعلته في احتلالها الأخير لأرض أفغانستان ، وسفك الدماء ، ووسائل الفتك المحرمة دولياً ... أمر يعجز البيان عن وصفه أو الإحاطة به .

تلك هي الفوضى التي نعنيها ... يليها دكتاتورية بغيضة تفرضها الشيوعية في كل بلد تمكّنت فيه . وهي دكتاتورية جعلت روسيا نفسها تعيش وراء ستار حديدي حوالى أربعين عاماً !

والغريب أن يتم ذلك باسم طبقة الكادحين أو كما يسمونها الصعاليك ، والكادحون أول من يُلقى في أفران الدكتاتورية ... ليكون وقود الدفاء لسادة الكرملين ومن شابههم من الحكام الشيوعيين !!

٢ — ماتشيعة الشيوعية من فوضى اجتماعية :

تمت تحت ستار إزالة الفوارق بين الطبقات ، ويتم معها إزالة القيم الاجتماعية التي تعيش في ضمير المجتمع وتحكم علاقاته ، ليحل التطاول محل الاحترام ، ويحل أكل حقوق الناس محل صيانتها ، وتحل مع ذلك كله صور الانحلال والحيوانية التي تغذيها الشيوعية وتحرض عليها لتلهي الناس وتغرقهم في مستنقع الغريزة الآسن ... فلا ينظرون ولا يفكرون . ولكن لم تصل الشيوعية بعد إلى فرض إلغاء الأسرة و شيوعية النساء وتبعية الابن أو نسبته إلى الدولة باعتبار ذلك مصادرة للفطرة والطبيعة ، فلقد وصلت في مجال علاقات الرجال بالنساء حداً حيوانياً فاق ما وصلت إليه بعض دول الغرب تحت اسم التجرر أو الوجودية ، يساعد على ذلك ما عجزت الشيوعية في بلادها عن توفيره للأسر وهو المسكن ، مما أجأها إلى إسكان الأسرة في حجرة واحدة ، وأحياناً أكثر من أسرة في حجرة واحدة ، مما جعل ممارسة الغريزة ترتفع عنها السمة الإنسانية وتهبط إلى مستوى حيوانى تأنف منه بعض كرائم الحيوانات .

كل ذلك بالإضافة إلى أن الشيوعية وإن نجحت في إلغاء الطبقات فقد أبقت على طبقتين : طبقة أسيادهم الحكام والحزب الواحد ويتبع هؤلاء وأولئك جواسيس وأجهزة مراقبة ، أما الطبقة الثانية فهي « طبقة عبيد » ... وهي تشمل الشعب كله فيما عدا الطبقة الأولى ... !

والذين اتبعوا طريق الشيوعية من حكام العالم الثالث — بتعبيرهم — أقاموا نفس العبودية بين الناس في الوقت الذي رفعوا فيه وزعموا شعارات الحرية ، ورفع الرأس ، وواعداً ذلك من الكذب الذي كشفتته الشعوب متأخرة !

كل ذلك إلى جوار ما تشييعه الشيوعية من تباغض وتنافر بين الطبقات ربما لم يكن له وجود قبل تطبيقها في أكثر الأحيان وهو ناجم عن ما يشييعه أعلامها من تحريض بعض الطبقات على بعض ليحل التنافر والتفرق فيسود معه حُكام الشيوعية ، ويضمنون به عدم اجتماع الناس عليهم أو ضدهم !

٣ — في نظامها الاقتصادي :

نتيجة إلغائها الحافز الفردي الذي يدفع دائماً إلى مزيد من الإنتاج الأمر الذي أكدته الإحصاءات وصدقه التطبيق في كل البلاد التي سلكت سبيل الشيوعية فتحقق لها في مجال الإنتاج :

ضعف الانتاج كما ، وضعفه كيفاً ...

أى تحقق تناقص الإنتاج من ناحية وردائه ناحية أخرى .

وهو ما اضطر روسيا في الستينات إلى التراجع لإدخال شيء من الحوافز الفردية بعد أن فشلت وسائل القهر والإرهاب في الحفاظ على وفرة الإنتاج وجودته ! وبرغم الأراضي الشاسعة الصالحة للزراعة في الاتحاد السوفيتي فقد انحدر الإنتاج الزراعي بسبب إلغاء الملكية الفردية ثم بسبب المزارع الجماعية بأشكالها المختلفة — انحدر حتى مدّت روسيا اليد إلى أمريكا لتصدّر لها القمح كما مدّت يدها إليها لتصدر إليها التكنولوجيا والأجهزة الإلكترونية الحديثة !!

والجانب الوحيد الذي نجح فيه النظام الروسي الشيوعي هو جانب الإنتاج الحربي ، ويرجع ذلك إلى ما يتسم به الإنتاج الحربي من خضوع للنظام العسكري الذي يتمشى ويتجاوب مع الدكتاتورية التي يفرضها النظام الشيوعي — بيد أن لنا أن نُسجل ملاحظتين :

أولهما : أن هذا الإنتاج من ناحية الجودة والكفاءة أقل من الإنتاج الغربي .

وثانيهما : أن الشيوعية حين غزتها النازية وهزمتها لجأت إلى الإفراج عن الدين بل واستشارته عند الروس وبخاصة المسلمين منهم ، والهزيمة التي حاقت بهتلر في النهاية كانت على أيدي أبناء الإسلام في روسيا من بعد أن ظنوا بالحكام الروس خيراً إزاء وعودهم وتصريحاتهم ! هذا ما قد يسجله البعض أو يتصوره البعض من خطورة الأهداف .

— لكن في ظلنا أن ثمة هدفين آخرين للشيوعية هما أخطر الأهداف جميعاً !

أولهما القضاء على الأديان غير الدين اليهودي ...

وهو ما أكدته وثيقة من عهد لينين تنصح بعدم التعرض لليهود (ولا للدين اليهودي) — باعتبارهم طائفة مضطهدة في الوقت الذي طبقت على الدينين الآخرين (الإسلامى والمسيحى) شعارهم « الدين أفيون الشعوب » .

وما أكدته واقع الاضطهاد للمسلمين والنصارى داخل الاتحاد السوفيتى .
والتعرض حتى لحرية شعائرهم وإغلاق الكثير من المساجد والكنائس* .
وما أكدته اضطهاد المسلمين في كل بلد تصل إليه يد الشيوعية الآتمة .

ثانيهما : اتجاه الشيوعية إلى عالمية الدولة بعد مناداتهم لعالمية الفكرة :

الأمر الذى صار واضحاً لكل ذى عينين . ولم نعد بحاجة إلى التذليل عليه ويكفى أن نردد ما قلناه من قبل من أنه لو بقيت الولايات المتحدة ومن ورائها الغرب على نفس السياسة السابقة ، فإننا نتظر أن تمتلك الشيوعية بقية العالم في نصف قرن ... إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شىء علماً ! .

وهذا الذى نقوله تقرير فوق أنه نذير ! .

وهذا مانراه في خطورة الشيوعية تحمل فيه النذير .

* كان عدد المساجد في الاتحاد السوفيتى آلافاً وصار الآن خمسمائة لخمسين مليوناً من المسلمين .

ثالثا : صلة الشيوعية باليهودية وصلتها بالأديان .

أ - صلتها باليهودية :

* كيف تنبأ العالم « سرجي نيلوس » بعد قراءة البروتوكولات عام ١٩٠١ بقيام الثورة في روسيا ؟

* ماذا قالت جريدة أمريكا هبيرد في ١٠ / ٩ / ١٩٢٠ « الثورة الشيوعية من تدير اليهود » .

* ماذا قال لينين حين كتب إلى وايزمان : « على نجاح الثورة في روسيا يتوقف بتحرير اليهود من كابوس ملوك أوروبا وحكامها الرجعيين ، ورفعهم إلى أسمى مراتب الدولة وسوف تحقق الثورة للشعب اليهودى المشتت أمانيه ، وبعد أن تزول القيصرية وكنيستها في روسيا تقام الدولة الماركسية الاشتراكية على الأسس التي خطط لها لتحقيق أهدافها البعيدة المدى في الغرب والشرق .

وكتب وايزمان إلى لينين : « إن فتح أبواب الشرق واستقرار اليهود في فلسطين يتوقف على تدمير الإمبراطورية العثمانية ، وتدميرها تزول العقبات والحواجز التي تعترض المسيرة إلى أرض الميعاد ، وعندما يتحقق ذلك تبدأ المسيرة اليهودية إلى أرض الميعاد « فلسطين » ونقيم دولة اشتراكية في المشرق ، وسوف نتخطى العقبات ونقود الشعب اليهودى وفقا للمخطط الذى وضعناه » .

* من الذى مَوّل الثورة البلشفية عام ١٩١٧ ؟ « خمسة من كبار اليهود : جاكوب ، شيف ، جوجنهايم ، ماركس ، بريتوغ اتوكان » .

* كم عدد أعضاء مجلس إدارة الحرب والثورة ، وعدد اليهود فيهم ؟

كل ذلك يلقى ظللا حول صلة اليهودية بالشيوعية .

ويبقى بعد ذلك ألا نقع فريسة التهويل فتضعف عزائمنا ، ونلقى الرعب واليأس فى

نفوسنا . (١)

ب - صلتها بالأديان

هل تقبل الشيوعية الأديان ؟

— يقول ماركس عن الدين : إنه الأفيون الذى يخدر الشعب لتسهيل سرقة ، وأن الدين كان وسيلة الإخضاع الروحي ، كما أن الدولة وسيلة الإخضاع الاقتصادى . وهو ترديد لما ذكره فيورباخ في كتابه الفلسفة المسيحية .

— يقول لينين في خطابه في المؤتمر الثالث (أكتوبر ١٩٢٠) في منظمة الشباب الشيوعي « إننا لانؤمن بالإله ... » عندما اختلف مع حاكم جوركي واعتزل الأخير كتب إلى الأخير يقول له : « إن البحث عن الله لافائدة منه والآلهة لا يبحث عنها ولكنها تخلق » .

— ماذا قالت صحيفة برافل : من قال إننا لانؤمن بشيء ؟ .. نحن نؤمن بثلاثة أشياء : كارل ماركس ، لينين ، ستالين ، ولانؤمن بثلاثة : الله — الدين — الملكية الخاصة

هل هو نفس الموقف من الدين اليهودى ؟ وثيقة من عهد لينين : استثنوا الدين اليهودى ، لأنهم مضطهدون (١)

(١)

المراجع : (د / عميرة : المذاهب المعاصرة ، أساليب الغزو الفكرى ، مقال د / إبراهيم الشريفى ، ملف الدراسات والوثائق ، المدينة المنورة العدد ٦٠٩٨ ٣ / ٣ / ١٤٠٤ هـ والمراجع المشار إليها :

١ — موسوعة العلاقات الدولية ووثائقها ط ١ برلين ١٩٣٨

٢ — تاريخ الحركة الصهيونية باريس ١٩٥٠ .

٣ — صفحات من أسرار الحرب العالمية الأولى — أندريه ليسو ، باريس ١٩٢٤ .

٤ — من ستالين إلى واهيمان ، أرماشتيمس باريس ١٩٣٩ .

٥ — محاضر اجتماعات سرية في زيورخ عام ١٩٢٦ لبحث المخطط الثورى الاشتراكى الماركسى

P . R . S , M والمخطط اليهودى الشرقى , P . J . O .

٦ — ج ٢ ص ٥٦٤ دائرة المعارف السوفيتية د عميرة ط ١٤

ماذا عن حقيقة موقفهم من الإسلام ؟ تقول دائرة المعارف السوفيتية / ...
وضع القرآن وشرح خلال حكم ثالث الخلفاء العرب عثمان ، ثم أدخلت عليه فيما
بعد حتى بداية القرن الثامن

— وفق مابلغنا من معلومات — بعض التغييرات (!) للتراث الإسلامي يعتبر
محمد هو مشرع القرآن كما يعتبر مؤسس الإسلام ..

— في قاموس الفلسفة الصادر في موسكو عام ١٩٦٧ تحت مادة الإسلام :
« ظهر الإسلام في القرن ٧ في الجزيرة العربية في فترة انتقال الشعوب العربية من
نظام المشاعية البدائية إلى مجتمع طبقي وتوحيدها في دولة الخلافة العربية الدينية
الإقطاعية وكان الإسلام انعكاسا فكريا لهذه العمليات وأصبح الدين المدافع عن
مصالح الطبقات الحاكمة .. والقرآن إذ يعبر عن عجز الإنسان إزاء الله يبحث
المؤمنين على الصبر والخضوع لله ومنذوبيه على الأرض واعداء إياهم في مقابل هذا
بنعيم لاعداء لهم به في العالم الآخر ، عداوة الكفار ، والحط من شأن النساء ،
وإباحة تعدد الزوجات هي الملامح المميزة للمحمدية . والإسلام يسوغ التفاوت
الاجتماعي وينأى بالناس عن الصراع الثوري إلى انتظار لاجدوى عنه للسعادة في العالم
الآتي »

وثيقة خطيرة تطالب :

- ١ — مهادنة الإسلام لتم الغلبة عليه .
- ٢ — تشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين .
- ٣ — تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكلليات .
- ٤ — الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد .
- ٥ — محاصرة الدين في جميع الاتجاهات .
- ٦ — تشجيع الكتاب الملحدين .
- ٧ — قطع الروابط الدينية بين الشعوب .
- ٨ — هدم الضمير الديني .
- ٩ — مزاحمة الوعي الديني بالوعي العلمي .
- ١٠ — نقول عن محمد : إمام الاشتراكيين

- ١١ — تفسير : صص الديني تفسيراً مادياً تاريخياً .
- ١٢ — إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية .
- ١٣ — تحطيم القيم الدينية والروحية .
- ١٤ — نشر الأفكار الإلحادية .
- ١٥ — مهادنة الدين يجب أن تكون لأجل (١) .

ماهو التكتيك المتخذ حالياً مع الإسلام ؟ :
إنه

- (١) المهادنة التي أشرنا إليها .
- (٢) عدم إنكار أثر الدين ومحاولة الإفادة منه وفي ذلك يقول مفكر شيوعي قبل أن يمن الله عليه بالإسلام أنه ينبغي عدم إنكار أثر الدين وأن هناك أملاً في أن يكون ثمة تعاون بين (ملايين الشيوعيين) و (ملايين المسيحيين) (٢) .



(١) المرجع المشار إليها ص ١٧١ .
(٢) أساليب الغزو الفكري للمؤلف بالاشتراك مع الأستاذ محمد شريف الزين ص ١٢١ — والمفكر المشار إليه هو روجية جارودي سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي وصاحب كتاب (ماركسية القرن العشرين) وذلك قبل أن يمن الله عليه بالإسلام .

رابعاً : تنبؤات ماركس وعوامل فناء الشيوعية .

أ - حول تنبؤات ماركس

- ١ - توقع أن تقوم الثورة في ألمانيا .
 - ٢ - توقع أن تقوم الثورة في ألمانيا دولة صناعية (ذروة الصناعة)
 - ٣ - توقع أن تزول الطبقة الوسطى قبل زوال رأس المال .
 - ٤ - توقع أن تستبد طبقة الصعاليك بالحكام وحدث العكس .
 - ٥ - توقع أن تبطل العملة .
 - ٦ - توقع نظام للاحكومة فيه ولا جيش
- ولم يصح شيء من هذه التنبؤات
فالتنتقل بعد ذلك إلى عوامل فنائها لتحمل بعد النذير البشير .

ب - عوامل فناء الشيوعية *

تحمل الشيوعية عناصر فنائها :

وشأن كل شيء في الوجود معرض للفناء ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾^(١) وليس صحيحاً عقلياً ولا علمياً أن المادة لا تفنى ... فإن الشيوعية فانية بإذن الله .
ولكن لم يكن صحيحاً ما قاله ماركس من أن كل شيء يحوى نقيضه . فإنه صحيح أن كل شيء يحمل عوامل فنائه ...

(١) القصص آية ٨٨ .

* هذا عن كتابنا « التخطيط للدعوة الإسلامية »

ولقد تختبىء عوامل الفناء فلا تظهر عوارضها إلا في وقت متأخر ، أو لا يظهر لها عوارض فيتم الفناء بغير سابق إنذار ...
فالرجل الهرم أو المريض ترى فيه عوارض الفناء ونذير اقتراب الأجل ...
والشباب قد لا ترى فيه عوارض الفناء لكنه يتبىء فجأة
— لكن الشيوعية ظهرت عليها عوارض الفناء وهي لا تزال بعد شابه ... فخمسين عاما من عمر الأمم ليست شيئا مذكورا ... بل إن الشيوعية ظهرت عليها عوامل الفناء وهي لم تزل بعد وليدة ... وفي هذا بشير بعد أن سقنا النذير ! وعوارض الفناء بل عوامل الفناء — في ظننا — ثلاثة . أولها داخلي ، وثانيها داخلي خارجي ، وثالثها خارجي .

(١) أما الداخلي :

داخل المبادئ نفسها : فمبادئ الشيوعية تحمل عوامل فنائها لأنها مصادمة للفطرة ! وقدما قال القائل :
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الحماة جنوة نار !
ولقد تكلفت الشيوعية كثيرا ضد الفطرة ! فالفطرة الإنسانية ترنو دائما وتهفو إلى إله تعبه وتوجه وتلجأ إليه .
وإنكار هذه الفطرة ومصادمتها يعنى عدم قدرة المبدأ على البقاء ، ولقد اضطرت الشيوعية إلى التحوير أكثر من مرة .
واضطرت أخيرا في المنطقة الإسلامية أن تسلم بالعقيدة والشعائر (تكتيكيا) وتقول : الإسلام عقيدة والشيوعية مذهب ! ... ولأمانع من التعايش بين الاثنين ! .
وإنكار هذه الفطرة ومصادمتها دفع معتنقى المذهب إلى أن يبحثوا عن الألوهية في ماركس أو لينين ... أو ستالين ... فأعطى بعضهم تلك الطواغيت ما هو خالص حق الله .

— وإنكارها الحرية في المجال السياسى وفرضها « دكتاتورية البروليتاريا »

الحرية . والطائر لايسره أن تطعمه وتسقيه وتضعه في قفص من ذهب !
ومن ثم كانت الدكتاتورية التي تعيش في ظلها النظم الشيوعية نذير فنائها ...

— وإنكارها الملكية في المجال الاقتصادي ومصادرتها كذلك ضد الفطرة لأن
حب التملك غريزة من الغرائز . والغريزة يستعمل بها ولكنها لاتصادر ،
ومصادرتها يؤدي إلى رد فعل عكسي قد يتمثل في الانصراف عن الإنتاج مما
يسبب ضعفه كما حدث حين صودرت الملكيات الزراعية في روسيا لتحل محلها
المزارع الجماعية ، وليصير مالك الأرض أجيلاً عليها ! وقد يتمثل فيما حدث
من ثورات ومقاومات حين حاولت روسيا أن تفرض انتزاع الأرض من أيدي
أصحابها فثاروا وأعدموا وروت دماؤهم أرضهم التي أحبوها ... ! .

— وإنكار وشائج الأسرة في محاولة لبلوغ غاية الشيوعية في إلغاء الأسرة في
الجانب الاجتماعي كل ذلك إنكار للفطرة ...
فالإنسان مدني بطبعه ... وأولى درجات الاجتماعية التصاقه بأسرة ، وشعوره
بجوها الدافئ الحاني ! .

هذه بعض لمحات عن عناصر الفناء في المبادئ يجمعها أن فيها مصادرة
للفطرة واصطداما بها الأمر الذي لايمكن معه أن يكتب لها البقاء .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن أكثر هذه المبادئ هوى من ناحية التطبيق إلى الخداع
والتضليل ، ويكفي مثالا على ذلك ما زعمته الشيوعية من حكم طبقة العمال أو
الكادحين (أو البروليتاريا) الأمر الذي لم يتحقق في الواقع ، ولم يكن لهذه
الفتنة إلا السحق والضغط والإرهاب ، ولم تكن السيادة ولا العلو إلا للحزب
المتحكم أو بمعنى أصح للقيادة المتحكمة فيه ومن ثم المتحكمة في المجتمع
كله ! .

ولقد صارت القيادة إلى الفرد الواحد في ظل الحكم الشيوعي ... ومن ثم فقد
صارت له وحده السيادة بغير شريك ، وصارت أكبر جريمة في الأنظمة
الشيوعية هي التآمر ... على الفرد الواحد ... الحاكم وحده بغير شريك ... ! .

... فإن الشيوعية تحمل عناصر الفناء مرتين : مرة في مبادئها المنافية للفطرة ،
ومرة أخرى في تطبيقها المخالف للمبادئ !! (١)

— أما الشيء الداخلى الثانى فهو داخل الصف الشيوعى كله ... فقد أصيب
بالانقسام ... وكان الانقسام قاسياً ... فصارت عداوتهم بعضهم لبعض أشد من
عداوتهم لأعدائهم التقليديين .

— انشقت الصين على روسيا ، واتهمتها بخيانة مبادئ الشيوعية واتهمت روسيا
الصين بعد ذلك بمالأة الإمبريالية وبخيانة مبادئ الشيوعية ! وصارت عداوة
الصين لروسيا ، وروسيا للصين أشد من عداوة أيهما لأمريكا أو الغرب ... !
وانشقت يوغسلافيا على روسيا وزعمت لنفسها « الحياد الإيجابى » ورفضت
التبعية للدولة الأم روسيا .

— وحدثت انشقاقات فى الصف الشيوعى ، ولاتزال ! ولعلها رحمة من الله فلعل
بأسهم يكون شديدا بينهم . ولعلمهم يخربون بيوتهم بأيديهم ، قبل أن تخرب بأيدي
المؤمنين إن شاء الله !

— وأساس الانقسامات وإن بدا خلافاً حول المبادئ ، ولكنه فى حقيقته وفى
أكثره خلاف حول الزعامات والأشخاص والسلطان ! .

(٢) أما العامل الداخلى الخارجى :

فهو ما اعتادت عليه العقلية الشيوعية فى ممارساتها الداخلية والخارجية من
استعمال العنف والقوة ... أو مانستطيع أن نطلق عليه : العُشْم الشيوعى ! هذا
العُشْم الذى تمثل أولاً فى تعاملهم مع المسلمين فى أرض الاتحاد السوفيتى ، والذى
أبيد منهم الملايين ... قتلاً ، أو تجويعاً ، أو تشريداً فى ثلوج سيبيريا ... وتمثل
ثانياً .. فى تعاملهم مع مواطنيهم ... تجنيساً ، وإرهاباً ، وكتماً للأفواه ... فى كل
بلد ابتلى بنظام شيوعى .

(١) وفى تطور خطير أخير ، أصدر سكرتير الحزب الشيوعى السوفيتى ميخائيل جورباتشوف البيسترويكا ، وما
جاء فيه مناقضا للمبادئ الأولى .

أ — مناداته باتجاه الجهود لإنقاذ العالم من مخاطر سباق التسلح والتلوث وفساد البيئة . =

النظام الشيوعي ، وأحداث المجر عام ١٩٥٦ م وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ م خير شاهد .

وتمثل أخيرا ... في محاولتهم فرض نظامهم الشيوعي قسراً خارج دائرة نفوذهم على أرض أفغانستان .

ولن نتوقف التماذج والأمثلة ، ما لم نتوقف حياة النظام الشيوعي الذي يغزو كل يوم أرضاً أو نظاماً ...

— والغشم الشيوعي وإن ضمن للنظام الشيوعي البقاء ابتداء ، إلا أنه يحمل لهذا النظام الفناء انتهاء ...

فلم يعمر نظام قام على غشم أو ظلم .

ولقد فقه فقهاء الإسلام هذه الحقيقة ، فقعدوها في مبادئ : « إن الله يقيم الدولة بالعدل ولو على كفر ، ولا يقيمها بالظلم ولو على إسلام » وإن كان لنا على ذلك تعليق ، فقد صاغها الحكماء في كلمات قليلة : دولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة ! وهكذا ... تحمل النظم الشيوعية عنصر فنائها في القسر والإرهاب أو كما أسميناها بانطوائها على « الغشم الشيوعي » !

(٣) أما العامل الخارجي :

فهو مابدأت تنبئه له القوى في الغرب والشرق على السواء ، وتعمل له ألف حساب هو الصحوة الإسلامية التي بدت أو بدأت تباشيرها ... كما تلوح تباشير الفجر خلال ظلمات الليل البهيم !

والصحوة الإسلامية التي بدت أو بدأت ... هي نتاج جهاد طويل عمره اليوم أكثر من خمسين عاما ووقوده دماء عزيزة وغزيرة ... سالت على ثرى النيل ، وثرى

ب — مناداته بالخسارة التي نجت من (اغتراب) المعسكر الشرق عن المعسكر الغربى مما أدى إلى خسارة الاقتصادين .

ج — حديثه عن الإنخفاق والركود الاقتصادى بعد سبعين عاما من التطبيق الاشتراكى .

د — حديثه عن القيم الروحية والأخلاقية (١١) .

(راجع تحليلاً رائعا للكاتب الإسلامى فهمى هويدى تحت عنوان قراءة إسلامية للبريسترويكا ص ٧ أهرام ١٢ ذى الحجة — ١٤٠٨ — ٢٦ / ٧ / ١٩٨٨ .

فلسطين ، ويسيل اليوم على ثرى سوريا وأفغانستان !
وهي إن بدأت داخل حدود الدول .. إلا أنها اليوم تخطت الحدود ، والتأمت لها سمة
العالمية ... كما أنها من ناحية أخرى راحت تكشر عن أنيابها لترد العدوان قصاصا
حقاً ... فيه عدل ، وفيه حياة !
ولئن لم تقو بعد أظافرها ... تمزق بها أعناق الكفر والطغيان ... فإنها —
بفضل الله — صابرة وثابتة حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ... لكنها تجعل الجهاد
في قمة منهاجها بلوغا إلى حكم الإسلام ، ودولة الإسلام ! .
هذه الصحوة الإسلامية — وتلك معالمها — هي عنصر فناء الشيوعية بإذن
الله ... لأن الشيوعية في نظرها ... أول الأعداء ﴿ لتجدنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذين
آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ (١)

فجهاد الكفار واجب ! فإن كان الكفر معتديا ... فجهاده أوجب !
ومن ثم فلنتظر ، ولينتظر التاريخ أن يكون انهيار الإمبراطوريات الشيوعية الحاوية على
أيدي المؤمنين :

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ (٢)

— وهذا عن خطورة الشيوعية في مبادئها ، وفي تهيئة الأرض للنبت الخبيث
وسحبها من تحت أقدام الرأسمالية يوما بعد يوم ، ثم في أهدافها . سواء ماتشيعة من
فوضى اجتماعية أو فوضى اقتصادية ... ثم ماتهدف له من وراء ذلك من قضاء على
الأديان وتحقيق العالمية للدولة . وبحديثنا عن عوامل فناء الشيوعية الداخلى منها
« متعلقا بالمبادئ الشيوعية أو بالصف الشيوعى » والداخلى الخارجى « متمثلا في
القسر والإرهاب الذى تمارسه الأنظمة الشيوعية في تعاملها داخل أوطانها وخارج
أوطانها » — والخارجى المتعلق بالصحوة الإسلامية التى بدت أو بدأت تباشيرها
وهي لاشك مزيلة ظلام الليل ... مشيعة نور الحق والعدل والمثل العليا ..
﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٣)

(٢) الأنبياء آية ١٠٥ .

(١) المائة آية ٨٢ .

(٣) الصف آية ٨ .

الفصل الثاني

الأيدلوجية الشيوعية

الأسس الفكرية للشيوعية

تقدمة :

لاجرم أن الأساس الفكرى للشيوعية ، وقد مضى عليه أكثر من قرن من الزمان ، إن أسندناه إلى ماشتهر به (ماركس) فإن أسندناه إلى من سبقوه ممن أخذ عنهم — (فيورباخ — هيجل) فإنه يزيد على ذلك . فإن حاولنا بحث جذوره الفكرية في فلاسفة ما قبل الميلاد (هرقليط ٦ ق . م ، زينون ، أفلاطون ٤٥ ق . م ..) فإن الأمر يغدو محل نظر من جانب أنه قد عفا عليه الزمن .

فإذا كان هذا الفكر .. من صنع البشر ، وكان الفكر البشرى عرضة للتغيير والنماء ، فإنه بمقاييس الفكر الحديث « يعد شيئاً رجعياً موعلاً في الرجعية » وهذا بلا شك غير الفكر المستند إلى الوحي الإلهى باعتبار الوحي من عند الله الذى يعلم ما كان وما سيكون ، ومن ثم فإن ما ينزله لا يتخلف عن العصر لأنه أعلم بالعصر من أبناء العصر !

وقد كان يكفي هذا — بمنطقنا أصحاب دين — لنرد هرطقة ماركس وانجاز ولينين .. خاصة بعدما كشف « العلم الحديث » عن مثالب في النظرية الماركسية تناهها من أساسها .

ومع ذلك ، ونزولاً على « الموضوعية » التي التزمنا بها نحاول مناقشة

* قدمنا حديثاً (سهلاً) حول حقيقة الفكر ، وهنا نحاول التعمق مع مصطلحات ماركس للرد عليها (فكرياً) والله المستعان .

موضوعية لأساس الفكر الماركسي ، ثم نتناول بعد ذلك نظامه الاقتصادي ونظامه السياسي ونظامه الاجتماعي .

الجدلية المادية أساس الفكر الماركسي :

إن المطالع لما كتب عن الماركسية ابتداء بماركس نفسه ^(١) ، وانتهاء إلى أمثال « جارودي ^(٢) » ممن حاولوا تطعيم النظرية الماركسية ، أو حقنها « بأسمت مسلح مخافة السقوط يجد أن الأساس الأول للفكر الشيوعي هو فكرة الجدلية المادية .

والجدلية (الديالكتيك) . قائمة مع التبسيط الشديد ، على فكرة (وحدة الأضداد وصراعها أو بعبارة آخرة قائمة : على فكرة التناقض بين أجزاء المادة الواحدة ، وبالتالي بين أجزاء الكون ومن ثم بين — الطبقات ، وفي خلال التاريخ) وهذه الفكرة ليست في عالم الفكر — ابتكارا أحدثه ماركس — إنما هي مأخوذة عن هيغل الذي كان يؤسسها على أساس مثالي أقرب إلى الخيال ، فانتقل بها ماركس إلى « النقيض » ليؤسسها على أساس من « المادة » التي أخذها هي الأخرى عن الفيلسوف « فيورباخ » .

وزعم ماركس أنه بهذا قام بوضع النظرية على قدمها ، بعد أن كان هيغل واضعا لها على « رأسها » .

وعند هيغل ، كان يقيم الصلة بين الفكر (الوجود المطلق) ويطلق عليها (الدعوى) وبين الطبيعة ويطلق عليها (مقابل الدعوى) ليصل من هذه الصلة إلى جامع الدعوى ومقابل الدعوى (العقل المجرد) وهو الدين والأخلاق والقانون . ولم يكن رافضا لوجود الله ولا جاحدا له شأن خلفه ، وكان يطبق هذا القانون

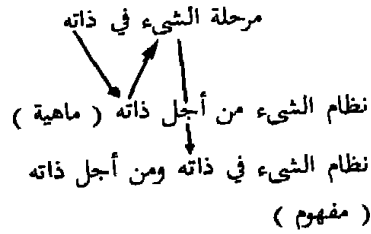
(١) ماركس هو مؤسس المذهب « ١٨١٢ — ١٨٨٣ م » وفي عام ١٨٤٨ أصدر البيان الشيوعي — The
Manifesto وفي عام ١٨٧٦ أصدر الجزء الأول من كتابه رأس المال ، وأكمل انجز الجزء الثاني والثالث .
(٢) جارودي أصدر في منتصف هذا القرن « ماركسية القرن العشرين » لكن الله تاب عليه وأسلم بعد ذلك . =

بين الفكر والموجودات الحسية على النحو الذي نراه في الرسم الوارد بالهامش (٣) .

مميزات هذا القانون :

- ١ — الاستمرار الذي لا توقف له .
 - ٢ — النفي من شأنه الاحتفاظ بالعناصر الصالحة فهو يفترض النفي والمحافظة على حد سواء .
 - ٣ — يرتد نفي النفي إلى أطروحته الأولى ولكن بشكل أغنى وأفضل .
- وعند كل دفع (دياكتيكي) تتكامل دائرة أخرى أعلى من مستوى الدائرة التي كانت تمت قبلها .

(٣) الأطروحة

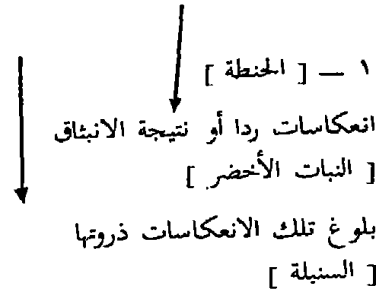
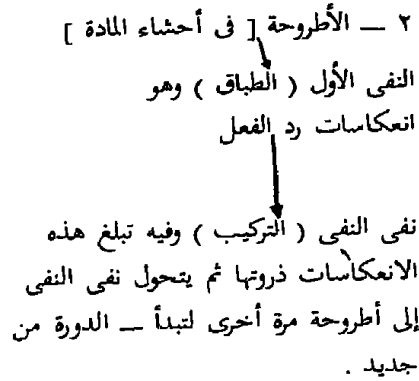


(نفي أو طباق)

(نفي النقل أو التركيب)

وعند ماركس :

انتقل بالجدول إلى نطاق المادة ، وفي داخلها ، فصار على النحو التالي :



— وترى الماركسية في نظرية دارون في التطور وانتخاب الأصلح أكبر ثروة في الاستشهاد على صحة هذا القانون وقيمته .

والفارق بين الاثنين :

١ — أن الكل عند هيغل داخل تحت الشيء من أجل ذاته لأن المرحلة الأولى (الشيء في ذاته) قاصرة على الشعور .

٢ — تنبعث الحركة عند هيغل من منطلق واحد إلى دائرتين مختلفتين : ما بين الشعور والروح (فيحيى حقائق الدين والقيمة الانسانية) وما بين الفكر والطبيعة (فتنمو فيها الوقائع والمشاهدات) . أما الحركة عند ماركس فداخل المادة والشعور والروح ثانوى .

٣ — هيغل يعترف بوجود الله أما هؤلاء فلا يعترفون .

أما المادة :

— فهي أساس الوجود وينبوع الحياة — كما عبر عن فكرهم أحد الكاتبين — وهي موجودة خارج وعي الإنسان ، أسبق منه ، ومستقلة عنه ، وأما الروح ، والفكر ، والإحساس ، فهو نتيجة وثمره للمادة ! ولا وجود للوعي بدون مادة .

— والمادة لا تتوقف عن الحركة ، والحركة تعنى السير نحو التغيير .

— وينتج عن ذلك أن العالم — يعنى المادة .. سرمدى وأبدى وكذلك الزمان !

(وكل ذلك حتى لا يضطر إلى الاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتعالى) .

وعن القول بالجدل والمادة :

قيل بالصراع بين الطبقات وبالتفسير المادى للتاريخ ! وكلاهما أولى في المجال السياسى إلى القول ب « دكتاتورية البروليتاريا » كما قيل في المجال الاقتصادى « بنظرية القيمة » !

نقد الجدل (الماركسي) :

سوف نعرض عن أخذها عما سبها وعما إذا كانت في أصلها على رأسها ثم صارت على قدمها أم أنها كانت على قدمها ثم صارت على رأسها ، أم أنها في الحالين على رأسها ! ولكننا نقول بإذن الله :

١ — إن القول بالتناقض « أو وحدة الأضداد وصراعها » قول غير دقيق وغير علمي . فالموجود في الذرة — وهي وحدة المادة — حتى الآن هو الموجود في الكون .

مركز هو النواة في الذرة « وهو الشمس في الكون » داخله شحنات موجبة « تحملها جسيمات تسمى البروتونات » بها صلة بشحنات سالبة « تحملها الالكترونات » والأخيرة تدور حول نفسها وحول النواة كما تدور الكواكب حول نفسها وحول الشمس .

وهذه الصلة بين الموجب والسالب ، والموجودة في جميع الخلائق الأصل فيها هو التزاوج . والتزاوج لا يعني تضادا أو صراعا أو تصادما ... إنما يعني « ألفة » و « مودة » و « رحمة » هذا في الأصل ، وإن وجد في الاستثناء غير ذلك فلنا عليه ملاحظتان :

أولا : أنه ليس هو الأصل والاستثناء لاحكم عليه .
وثانيا : أنه لا يكون إلا باختلال يحدث في التكوين يعلمه علماء الطبيعيات كما نلمسه نحن في دنيا الناس !

لكن طالما أن الذرة في حالة الاستقرار ، فهي كالأسرة في حالة الاستقرار يسودها الوئام ، والانسجام ، ولا يوجد فيها « الصراع » ولا « القضاء » .

ولعل هذا ما أشار إليه القرآن ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾^(١) ، ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تُنبث الأرض ومن

(١) الداريات آية ٤٩ .

أنفسهم ومما لا يعلمون ﴿١﴾ ، ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرِك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (٢) ، وهذا هو الأصل الذى أشار إليه القرآن .

— وقد عبر في الوقت نفسه عن الحالة العارضة التى تحدث عندما يخرج الأمر عن أصله ، — ﴿ ولولا دَفَعُ اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (٣) وهذا الدفع بلوغا إلى القرار أو الاستقرار ، ودافعه هو الاختلاف ، وهو غير التناقض كاختلاف الليل والنهار والذكر والانثى ، ﴿ ولو شاء اللهُ ما اقتتلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٤) .
ومشيئة الله وراء الأصل ، ووراء العارض ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٥)

﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ ؟ (٦)

٢ — يضاف إلى ذلك : أن ماذهب إليه ماركس من تحول نفي النفي إلى أطروحة من جديد لتكون دائرة أخرى أعلى مستوى من الدائرة الأولى — أمر محل نظر لا يصدقه الواقع ، فكما أن هذا التحول وارد إلا أن التحول إلى أدنى وارد كذلك ، كذلك فإن عودة نفي النفي ليشكل أطروحة جديدة كذلك محل نظر ، ومما يؤكد ذلك في هذا المجال ما هو ثابت في تناقص وزن الشمس فترات الهبوط الإنساني كثيرة في التاريخ وربما غلبت فترات الارتفاع والسمو ومن ثم يكون قانون تسلسل الأطروحة حتى نفي النفي ثم عودتها إلى أطروحة أخرى محل نظر .

(١) يس آية ٣٦ .

(٢) يس آية ٤٠ .

(٣) البقرة آية ٢٥١ .

(٤) البقرة آية ٢٥٣ .

(٥) الزمر آية ٦٢ .

(٦) الطور آية ٣٥ .

٣ — وأمام الهجمات العلمية القاسية للنظرية الماركسية أعلن كتاب الماركسية اللينينية عام ١٩٦٣ عدم وجود الجدل في الطبيعة ، وصحة وجوده في المجال البشرى .. ولعل الشق الثاني ينتظر اعلانا آخر لا أخير ! (١)

٤ — ويضيف أحد الكتاب إلى أن ما يتوهمونه من تضاد بين الوعي والمجتمع هو من قبيل « التضايف » لأن الوعي بالنظر للمجتمع الذى سبقه منفعل ومتأثر ، وبالنظر إلى المجتمع الذى ظهر على أثره فاعل وموثر ويضيف إلى أنه بغير معرفة بالفلسفة الهيغيلية من العصب أن نفهم الأخطاء التى انزلت إليها ماركس . (٢)

٥ — أما استشهاد الماركسية على صحة نظرتها بنظرية دارون ، فقد صارت هذه النظرية بعد الانتقادات العلمية العديدة التى وجهت إليها — صارت عاجزة عن الوقوف على قدميها ، فضلا عن الاستغلال البشع لها من قبل الفاشية ومن تبعها للتمسك بالانتخاب الطبيعي ، والبقاء للأصلح لتبرير إبادة الأجناس الأخرى ، كذلك استغلتها الشركات الكبرى للقضاء على الشركات الصغيرة ، وبقيت الحقيقة التى دلنا عليها رب العالمين هي الصالحة لتفسير بدء الخليقة :

إن الله خلق السموات والأرض . ثم خلق آدم . وعلمه الأسماء كلها . ثم خلق منه حواء . وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ! والله فضل « بني آدم » على كثير ممن خلق تفضيلا ، ويسقط تصور دارون وتصور الماركسية إن الإنسان أصله قرد ، وإن أصل القرد خليه .. ثم يتوقفون !

أما المادة عند « ماركس »

١ — فلننا نخوض في تفاصيل علمية قد تتبدل وقد تتغير وقد اضطر الشيوعيون أن يغيروا من تعبيراتهم عن المادة . (٣)

(١) عبد الحليم خفاجي — حوار مع الشيوعية .

(٢) راجع د. البوطي ص ٦٠ ، ٦٦ : المرجع السابق .

(٣) يشير الفيلسوف روجيه جارودى « الذى أسلم حديثا » إلى قول فردريك أنجلز « على المادية بالضرورة أن تكسب صورة جديدة مع كل اكتشاف هام يبدى الأثر في تاريخ العلوم — ثم يتساءل — « أى جارودى » =

٢ — ولسنا كذلك مع مثالية « هيجل » التي أعلنت الفكر لتجعله مصدر المادة ، كما أننا لسنا مع هبوط ماركس بالفكر ليكون انعكاسا للمادة ، ولكننا نقول : إن للمادة مجالها ومكانها ، وإن للفكر مجاله ومكانه . والفكر وإن كان من ناحية القيمة يعلو على المادة إلا أنه لا يعلو أن يكون مصدرها .. بل يكون مصدر التحسين والتطوير لها ، وهذا ما وقع فيه هيجل من مبالغة جعلت ماركس يرتد للطرف الآخر ، والمادة لا تفقد تأثيرها على الفكر تبعا لمستوى الفكر ... وكلما ارتفع مستوى الفكر كان تأثيرها متمثلا في الرغبة في تحسينها ، أو في الإعراض عما لا يلزم منها ، أو وضعه في وضعه الصحيح ، وشأن الفكر في ذلك شأن العاطفة ، وشأن الروح والدماغ أو « المخ » هو الوعاء المادى للتفكير ... لكنه ليس هو التفكير كما أن الجسد هو الوعاء المادى للروح .. لكنه ليس هو الروح .

— وسيحان الذى خلق هذا وذاك وجعل لكل وظيفته ومداره ، وجعل ما بينهما تزوجا لا تناقضا .. فإذا قضى الله الأجل انفصلت الروح ليصير الجسد « مادة » معرضة للتحلل والتحول .. — حتى يكون اليوم الآخر فيعود التزاوج بين الروح والجسد .. لتكون « الجنة » ولتكون « النار » وليكون النعيم هنا والعذاب هناك ، وليكون نعيم معنوى الى جوار ذلك هو رضوان الله « ورضوان من الله أكبر »^(١) وليكون قمته رؤية الله ﴿ وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها

= هل حقق الماركسيون برنامج إنجلز ؟ ويجيب : « لقد فعلوا ذلك مرة واحدة عام ١٩٠٨ بكتاب لينين « المادية والتجريبية النقدية » حيث قضى ثلاث سنوات من عمره يدرس أهم كتب الفيزياء المعاصرة . « ونشير من بعد جارودى إلى تعديل آخر تم عام ١٩٦٣ بمعرفة عشرين عالما أو يزيد وضعوا « أسس الماركسية اللينينية » وقرروا : « إن النشاط الذهني أو الفكرى خاصة مميزة للمادة ، ولكنها ليست شكلا من أشكال المادة » أو انعكاسا للمادة بتعبير ماركس » ثم ليقرروا : « وفي الوقت الحالى يعتبر التوحيد بين الفكر والمادة من مفاهيم المادة المنحطة » .

« ونشير بعد ذلك إلى دعوة جارودى الماركسية القديمة للتحرر من جمودها في مواجهة العلم ، = في مواجهة العلم ، أو عبارة أدق عدم ملاءمتها اليوم لصيحات العصر العلمية ، ويدعوها إلى أن تطور نفسها لتظل صالحة للعصر » راجع ماركسية القرن العشرين — ترجمة لكتاب جارودى التحول الكبير في الاشتراكية — ط الثانية عام ١٩٧٢ . وقد كان جزء جارودى فصله من الحزب الشيوعى الفرنسى عام ١٩٦٩ بعد أن وصل إلى عضو المكتب السياسى وفيلسوف الحزب لكن الله أكرمه في مطالع الثمانينات بنور الإسلام وكفى به نعمة .
(١) التوبة ٧٢ .

ناظرة ﴿^(١)﴾ وهذا ما عجز الفكر المادى الماركسى عن بلوغه أو إدراكه .

٣ — هذا فضلا عما وقعت فيه الماركسية من قولها إن المادة ماتقع عليها الحواس ، ليثبت العلم الحديث إن ما تقع عليه الحواس يمثل ٧ ٪ من المواد ومالا تقع يمثل ٩٣ ٪ ^(٢)

٤ — كذلك قرر مؤتمر لعلماء الحياة عام ١٩٥٩ أن : « أمر الحياة لا يزال مجهولا ولا مطمع في أن يصل إليه العلم يوما ما ، وإن هذا السر أبعدما يكون مجرد بناء مواد عضوية معينة ، وظواهر طبيعية وكيميائية خاصة ^(٣) .

٥ — رغم أن إنجلز يقرر « سوى أن هذه الحياة ينبغي أن تكون نتيجة بعض التفاعلات — الكيميائية ... » فإنه يقول : « إنه — أى العلم الطبيعي — لم ينجح بعد في إنتاج الكائنات العضوية دون تناسل من كائنات أخرى .. وبالتالي فإنه ليس في مكنة العلم الطبيعي حتى الوقت الراهن الذى يؤكد شيئا بخصوص أصل الحياة » ^(٤)

نقد عام :

وعلى العموم فقد وقعت النظرية الشيوعية في أخطاء جسيمة :

١ — إنها خلطت بين العلم — وفلسفة العلم — فأخذت « طرفا » من العلم ليس كاملا ، ولا يعتبر اليوم « معاصرا » — وبني عليه نظرية متكاملة تفسر « الحياة » وتفسر « الاقتصاد » وتفسر « التاريخ » وما كان لهذا العلم العاجز أن يحيط بما هو أكبر منه واشمل ، وما كان له أن يعطي التفسير الصحيح لحركة الكون ، وحركة الحياة ، وحركة التاريخ بل أن يعطي التفسير لما ينبغي أن يكون !

(١) القيامة آية ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) وحيد الدين خان في بحث له مقدم للمؤتمر العالمى للفقهاء الإسلامى بالرياض عام ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

(٣) قصة التطور للدكتور أنور عبد العليم ص ١١ — ٣٣ وكبرى اليقينيات الكونية ص ١٩٥ للدكتور محمد سعيد البوطي ، وللمؤلف : أوهام المادية الجدلية ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) أنتى وهرنج ص ٩٠ — مشار إليه في المرجع السابق : أو هام المادية الجدلية ص ١٠٠ / ١٠١ .

٢ — إنها صادمت الفطرة إذ نادت بالإلحاد وصادمت الفطرة إذ نادت بإلغاء الملكية الفردية وصادمت الفطرة إذ نادت بإلغاء الأسرة .

٣ — إنها تناقضت مع نفسها إذا أوصت بالإبقاء على شعائر الدين بعد إذ رفضته ووصمته بأنه « أفيون الشعوب » حتى لو كان هذا الإبقاء « تكتيكا » مؤقتا .



الفصل الثالث

النظام الاقتصادي الشيوعي

« الاشتراكي »

تقدمة :

— يعد ماركس أبرز كتاب الاشتراكية ، وما رسمه من نظام اقتصادى أخذ قوانينه من سبقوه من الكتاب الكلاسيكيين ، يعد أساسا للفكر الاشتراكي الاقتصادى ، وإن جعل الشيوعية في النهاية هي الهدف .
ولانكاد نجد فارقا بين الاثني إلا في القانون التالي :
من كل حسب طاقته ، ولكل حسب عمله « الاشتراكية » .
من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته .

— لكن الملاحظ بعد ذلك أن الرأسمالية قد طعمت نفسها بكثير من الاشتراكية حتى لقد ظهرت أنظمة هي من الناحية العلمية الاقتصادية وسط بين الرأسمالية والاشتراكية « أو الشيوعية » وهي أكثر بلدان أوروبا التي أخذت بنظم التأمين ، كما حددت ساعات العمل وحددت أجور العمال وأحدثت الكثير من الضمانات الاجتماعية في حالة البطالة والعجز والشيخوخة .

كذلك فلقد سعت النظم الاشتراكية بعدما أصيبت في إنتاجها بالأخذ بالحافز الفردى وتطبيقه في شكل مشاركة في الأرباح أو منح مكافآت سخية للعمال .. إلى غير ذلك .

— وبغض النظر عن هذا التقارب أو ذاك . فإن النظامين قائمان على أساس مادي واحد والتقاؤهما ليس بالأمر الصعب .. والله أعلم .

ونتناول بمشيئة الله .. قوانين الاشتراكية الاقتصادية ثم التطبيق العملي للاشتراكية . ثم الانتقادات الموجهة للاشتراكية .. والله المستعان .

أولا : قوانين الاشتراكية

استفاد ماركس ممن سبقوه .. وحاول أن يضم عديدا من القوانين بعضها إلى بعض ليصل إلى النتيجة التي يريد .

١ — قيمة السلعة من قيمة العمل : وفي هذا أخذ عن سبقوه « ريكاردوا / وآدم سميث » لكنه أضاف : أن قيمة السلعة إذ تتحدد بالعمل المبذول لإنتاجها ، فإن هذا العمل ينبغي أن يكون ضروريا من الناحية الاجتماعية ، بمعنى أن كل ما ينتجه العامل ينبغي أن يكون ذا نفع لفرد ما .

٢ — فائض القيمة : يضيف إلى ماسبق شيئا تفرد به .. ذلك أنه يرى أن ثمن السلعة ينبغي أن يتحدد بقيمة العمل الذي بذل فيها ، لكن « الرأسمالي » لا يقنع بذلك . وإنما يضيف إلى هذه القيمة ربحا ما . ثم يقول إن العامل لا يأخذ من هذا الربح إلا ما يكفيه للحياة الضرورية .. « وهنا يستفيد ماركس من قانون : الأجور الحديدية »^(١)

أما باقي الربح « وهو الجزء الأكبر » فإنه يدخل جيب الرأسمالي بينما هو حق العامل وهذا ما أسماه فائض القيمة .

٣ — قانون تكديس رأس المال « التركيز الصناعي »

يفرق ماركس بين رأس المال الثابت وهو المتمثل في الآلات والمواد الأولية والمعاني ، وبين رأس المال المتغير والمتمثل فيما يخص العمال من أجور ، وهو يرى أنه مع تفوق المصانع الكبيرة في الآلات ورأس المال فإنها سوف تطرد من السوق المصانع الصغيرة والمتوسطة ، فضلا عن تكديس آخر متمثل في فائض القيمة . وسوف ينجم عن « الإنتاج الكبير » الاستغناء الدوري عن العمال الزائدين عن الحاجة .. مما يؤدي إلى تكون « الجيش الاحتياطي

(١) وقد جمع ماركس بين النظريتين « القيمة ، الأجور » ولكن هناك من سبقه إلى هذا ونقصه به الاقتصادي الألماني جوهان كارك رود برتس « ١٨١٥ — ١٨٧٥ » والذي كذلك استبق نظرية ماركس عن الأزمات « المناهب الاقتصادية الكبرى جورج سول — ترجمة د / راشد البراوي ص ٩٩ » .

للصناعة »

٤ — إلغاء الملكية الفردية وملكية الدولة لوسائل الإنتاج :

« لقد دقت ساعة النظام الرأسمالي وأن للمغتصين أن تنتزع ملكياتهم^(١) وعندئذ تقوم « دكتاتورية البروليتاريا » التي تصل بالنظام الاقتصادي أن يكون لكل منتج ثمار عمله حتى تزداد الغلة فيكون « لكل حسب حاجته » بيد أن الإلغاء الكامل لم يتم ..

فاكتفت « الاشتراكية » حتى الآن بملكية الدولة لوسائل الإنتاج وأبقت على ملكية الأفراد للسلع الاستهلاكية ، كذلك نادى الشيوعية بإلغاء العملة ، ولكنها في التطبيق الاشتراكي لاتزال تعترف بالعملة .

ثانيا : الرد على قوانين الاشتراكية

أ — حول قيمة السلعة من قيمة العمل : قد يكون العمل أحد عناصر قيمة السلعة ولكنه بالتأكيد ليس العنصر الوحيد ، فإلى جوار العمل تقف الندرة مجددة لقيمة السلعة ، فالذهب والماس يستمدان قيمتهما الأولى من ندرتهما .. بل إن الأرض الآن — على سعتها — تستمد قيمتها من ندرتها .. بل قد يتلاشى بالنسبة إليها العمل تماما ، كذلك تقف مع الندرة والعمل الحاجة إلى السلعة ، فكلما اشتدت الحاجة إلى السلعة ارتفع ثمنها ، فإن الماء قد لا يكون سلعة ، ولكنه مع الرخاء الشديد والحر الشديد .. يصير سلعة أغلى من البترول !

ب — فائض القيمة : يرجع ماركس ما زاد من ثمن السلعة على قيمة العمل إلى جشع الرأسمالي ويعتبره حقا للعامل ويطلق عليه « فائض القيمة » .

ولم يعش ماركس عصر التشغيل الآلي « السيرنيتيكا » والذي خف فيه العامل أو اختفى وحل محله عامل فني قد يكون مهندساً يدير مجموعة آلات ، وحل محله كذلك مجموعة من المديرين : مدير فني ، مدير إداري ، مدير مالي .. وهكذا

(١) كلمة لماركس — راجع المرجع السابق .

ومن ثم سقطت دعوى ماركس ... ففائض القيمة اليوم هو حق الآلة التي تعمل ذاتيا أو « أوتوماتيكيا ». وليس حق العامل ، وإذا كانت الآلة لاتستطيع أن تملك فإن مالکها هو مالک فائض القيمة . وإذا كان ارتفاع سعر السلعة ليس بالتأكيد مصدره جشع الرأسمالي بل صارت قوانين العرض والطلب هي التي تتحكم بالدرجة الأولى في ثمن السلعة — فإن ظلال الاستغلال التي ظنها ماركس قد خفت أو اختفت .. !

ج — حول تكديس رأس المال : سجل ماركس أكل المشروعات الكبيرة للمشروعات الصغيرة وقد يكون لهذه الظاهرة وجود ، لكن عكسها كذلك موجود ، فبرغم وجود المشروعات أو المصانع والشركات الكبيرة ، توجد كذلك المشروعات والمصانع والشركات الصغيرة وذلك راجع إلى عدة عوامل :

١ — قد تستطيع المشروعات الكبيرة أن تمد إنتاجها إلى المدن الكبيرة لكنها قد لاتستطيع أو قد يكون ذلك مكلفا بالنسبة للأماكن النائية .

٢ — لايزال العمل الصغير يأخذ شهرة من حيث الإتقان والجمال أكثر من المشروعات الكبيرة حتى إن العمل اليدوي في مجالات كثيرة لايزال ذا قيمة أكبر في المجتمعات وفي أثمان السلع .

٣ — صارت المشروعات الكبيرة — في أغلبها — تأخذ شكل شركات مساهمة ، قد يسهم فيها مئات بل آلاف ومن ثم يتوزع رأس المال ولايتكدس ! .^(١)

د — حول إلغاء الملكية الفردية ، وملكية الدولة لوسائل الإنتاج :

لسنا بحاجة كبيرة إلى بيان أن الملكية الفردية غريزة أو قلة فطرة ، وأنه إن أمكن « التسامى » بها ، فإنه لايمكن إلغاؤها أو مصادرتها تماما .

(١) تشير إحصائية إلى أن عدد المساهمين ارتفع خلال عشر سنوات « ١٩٥٢ — ١٩٦٢ » من ٦٩٩ مليون مساهم إلى ٨٧٢ مليون — إلى ١٧ مليون في العالم الأخير — ولاندرى كم وصلت بعد ثلاثين عاما من ذلك التاريخ — « الأهرام الاقتصادية — حوار مع الشيوعيين ص ١٨٦ » .

ولذا كان هذا أول الفشل للنظام الشيوعي الداعى إلى إلغاء الملكية ، والتي استطاع أن ينفذها فى نطاق ملكية وسائل الإنتاج ، لكن شبّح الفشل إذ طارد المطبقين لهذا النظام فى الاتحاد السوفيتى ، فلقد اضطروا إلى الاعتراف بملكية الناس للسلع الاستهلاكية ، كما اضطروا أن يستغنوا بالمزارع الجماعية عن إلغاء الملكية تماما ، وهى ملكية يشترك فيها كل الزارعون لقطعة واحدة .. وكان يمكن أن تملك الدولة الأرض ويكون الزارعون أجراء ليكونوا منطبقين مع شيوعيتهم لكنهم لم يستطيعوا ، ومع ذلك فلا تزال المزارع الجماعية عاجزة عن إعطاء نصف الإنتاج المتوقع ، ولاتزال أحكام الإعدام والسجن المؤبد والنفى ، عاجزة عن سوق الفلاحين للإنتاج ، ولا يزال النظام ينظر بعين الريبة لطبقة الفلاحين !

كذلك فلقد اضطروا للاعتراف بملكية المنازل الصغيرة لأصحابها ، وبالقصور الكبيرة للطبقة الجديدة من « القياصرة » من رجال الكرملين ورجال الحزب الواحد !
ولا يزال شعار :

من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته ، لا يزال خيالا بعيد المنال ..
كما كان حكم الطبقة العاملة (البروليتاريا) كذلك خيالا بعيد المنال !
أما شعار :

من كل حسب طاقته ، ولكل حسب عمله ، فليس قاصرا على الاشتراكية وحدها ... لقد سبقها إليه ماهو خير منها !



ثالثا : حول التطبيق الاشتراكي

١ - مثل من روسيا

١ — إرتفاع مستوى المعيشة :

يعترف الكاتبون الأمريكيون ^(١) بارتفاع مستوى معيشة الفرد وبالذات العامل بعد ستين عاما من التطبيق الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي ويصلون إلى حد القول بأنه وإن لم يضارع مثيله الأمريكي ، فإنه أحسن بكثير من تركيا واليونان والهند ، كما قد يكون أعلى من إيطاليا والنمسا .. ويتساوى مع بولندا وتشيكوسلوفاكيا ، ويقترب من بلجيكا وفرنسا .
بل يصلون إلى حد القول بأن تحسين مستوى المعيشة منذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٥٦ سار بمعدل أسرع من أى دولة أخرى ^(٢)

٢ — زيادة إنتاج الطاقة والانتاج الثقيل بمعدل قياسي :

زاد إنتاج القوة الكهربائية بالنسبة لعام ١٩١٣ ٩٠ مرة .
زاد إنتاج الصلب بالنسبة لعام ١٩٢٠ ٢٠٠ مرة .
وتضاعف النقل بالسكك الحديدية بين عام ١٩٢٣ — ١٩٥٥ ٢٤ مرة .
وبالجمله زاد الإنتاج الصناعى بين عام ١٩٤٠ — ١٩٥٢ ٣ ر ٢ مرة .

٣ — تضاعف القوة العسكرية بما رفعها إلى الصف الأول :

ويسند هذه القوة الإنتاج الحربي خاصة الثقيل منه .. في مجال المدرعات والطيران والكثير منه في مجال الصواريخ والرؤوس النووية ، وكذلك غزو الفضاء ..
لكن .. هل معنى ذلك نجاح التجربة الاشتراكية من الناحية الاقتصادية ؟؟

(١) الفريد ر . اكسفولدت — النظم الاقتصادية عند التطبيق ، والمراجع المشار إليها .

(٢) إحصاءات الأمم المتحدة .

يجيب على ذلك الفاقهون بالنفى

١ — ذلك أن هذا « التقدم المادى » الضخم .. كان على حساب « الإنسان » على حساب « الإنسانية » وذلك ماسوف يتضح بمشيئة الله عند الكلام عن الجانب السياسى والاجتماعى . (١)

٢ — لا يزال الإنتاج السوفيتى متخلف كيفا عن الإنتاج الغربى وهذا أمر يشهده كل خبير فى المجالات الصناعية .

٣ — لا يزال الحكم النهائى على التجربة الاشتراكية .. مع مزيد من الزمن .. فقد يستطيع الحديد والنار أن يلجىء الناس إلى تنفيذ مالا يريدون ، وإلى بذل مالا يستطيعون ، لكن القبضة الحديدية لاتستمر كذلك .. إنها تهن شيئا فشيئا .. ليقى الدافع الذاتى هو العامل الأول .

٤ — وهو ما فقهته الاشتراكية أخيرا حين بدأت منذ عهد خرشوف تتجه إلى .. « الحافز الخاص » للوصول إلى تحسين الإنتاج كيفما ثم كما أ .

٥ — فشل المزارع الجماعية فى التطبيق السوفيتى ، وما تعرض له أصحاب المزارع من إرهاب وانخفاض الإنتاج انخفاضاً رهيباً .

٦ — انتفاء حرية الاختيار فى العمل (رئيس جمهورية روسيا يعمل ناظر محطة) ١ — نسبة العمل الملزم تمثل ١٠ ٪ من الشعب ٢٠ مليون فى معسكر العمل .

٢ — مثل من مصر

انتليت مصر بالغزو الاشتراكى إبان حكم أحد فراعنتها المحدثين ، وأغلقت مصر النوافذ التى كانت تتعامل من خلالها مع العالم ، وأبقت على نافذة واحدة مع الاتحاد السوفيتى .

(١) راجع كذلك معسكرات العمل الإلزامى التى تضم حوالى ٢٠ مليون يعملون رغماً عنهم ! وتفصيلات أخرى — النظم الاقتصادية عند التطبيقين ، الفريد ر . أكسفيلدت ص ١٤٤ .

واستوردت المصانع ، وحشدت للإنتاج ، وأثارت طبقة .. « الصعاليك » .
وكانت مصر قبل العهد المشعوم دائنة لبريطانيا العظمى بخمسمائة مليون جنيه
إسترليني . وأصبحت اليوم مدينة لكل دول العالم بما يصل إلى عشرين مليار
(تقريبا) !

وأصبحت مصانع مصر بعد سنين خرابا . بل إن المصانع التي أمتت وكانت
مصدر خير ورغد للبلاد .. أغلقت أبوابها بعد بضع سنين . (١)

٣ — أمثلة أخرى

هناك تفصيلات أخرى عن الصين الشيوعية وبلاد شرق أوروبا نحيل إليها في
مرجعها . (٢)



(١) مقال للأستاذ أحمد أبو الفتوح يشير فيه إلى ما حدث لمؤسسات عبود باشا ومصانع يس للزجاج وغيرها —
وكتابنا عندما يحكم الطغاة — باب الوثائق .
(٢) النظم الاقتصادية عند التطبيق ص ١٤٨ وما بعدها .

الفصل الرابع

النظام السياسي والاجتماعي

« الشيوعي »

أو « أسس النظم الدكتاتورية »

تقدمة :

— « التصور العالمي للدكتاتورية لايعني شيئاً أكثر من القوة غير المحدودة ، القوة التي لايصدها أى نوع من أنواع القوانين أو الإجراءات ، وإنما تعتمد مباشرة على العنف وحده » (١)

« إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء وإنما الشيء الهام أن يصبح الباقي منهم شيوعيين » (٢)

« يجب أن نتعلم كيف نقضى على هذا النوع من الديمقراطية الصاخبة المتدافعة التي تبدأ من العمال في المصانع بقانون حديدي يلزمهم أثناء العمل طاعة عمياء لإرادة وسلطة شخص واحد هو مدير المصنع المختار » (٣)

« إن الشيوعية حين تتسنى دست الحكم تتصرف تجاه المجتمع الإنساني بصورة مناقضة لمبدأ التعليم بالقوانين الموضوعية ، لتفرض أساليبها الإرهابية ونظريتها الخاصة ، بينما يدعي الشيوعيون من جهة أخرى بأنهم محققون للآمال الموضوعية للمجتمع ، وبذلك يتجاوزون بدكتاتوريتهم أشد الأنظمة — الدكتاتورية المستبدة — إرهابية » (٤)

(١) حرب الأكاذيب — عامر العقاد ص ١٧ .

(٢) حقيقة الشيوعية — علي أدهم ص ٢٥ و د / عميرة المرجع السابق ص ١٧٣ وما بعدها .

(٣) أصول المذاهب د / مصطفى كمال فايد ص ٣٨٣ .

(٤) هذه كلمات ليلوفان وجيلاس في كتابه الطبقة الجديدة ، وقد شارك في الحرب الشيوعية يوغسلافيا وشارك في الحكم حتى وصل إلى نائب رئيس دولة يوغسلافيا — نقلًا عن الكيد الأحمر ص ١٦٢ — ١٦٣ د / حينكة .

تلك كلمات نقدم بها بين يدي الحديث عن أسس النظم الدكتاتورية وبلون من « السبرو التقسيم » للأنظمة الدكتاتورية الحديث منها والقديم ، نجد أن ملامح النظام الدكتاتوري تقوم على أسس خمسة :

- ١ — تركيز السلطة في حقيقتها « أو الطغيان » .
- ٢ — انعدام الشورى في حقيقتها . وإن وجدت لها أشكال !
- ٣ — إطلاق الشعارات وتوجيه طاقة الغضب .
- ٤ — الوشاية والتجسس .
- ٥ — الانحلال الاجتماعي .

ونحاول بمشيئة الله أن نشير إلى هذه الأسس تفصيلا وقد نضرب الأمثال أثناء الحديث من التطبيق الشيوعي الدكتاتوري ، بصيغة خاصة والذي أسموه « دكتاتورية البروليتاريا » والله المستعان .

١ — تركيز السلطة أو الطغيان :

كما اتسمت النظم الديمقراطية بالفصل بين السلطات Separation des Pouvoirs سعيا إلى تثبيت دعائم الحرية ، وإقامة الشورى ، ودفعاً لطغيان السلطة أو افتئاتها .. حتى قالوا : السلطة تحد السلطة . Le Pouvoir arrelè Le Pouvoir فإن النظم الدكتاتورية — على اختلاف أسمائها واشكالها تسعى إلى تركيز السلطة .. فيتسلط على الشعب — في الأغلب — جزب واحد وإن اختلفت أسمائه ويتسلط على الحزب لجنة « مركزية أو تنفيذية أو عليا » ويتسلط على اللجنة شخص واحد هو الذي بيده « الأمر كله » .

وأكثر هذه النظم لاتفصح عن « دكتاتوريتها » ^(١) ، بل إنها قد تذهب إلى

(١) يعلن الاتحاد السوفيتي اعتناقه لفكر ماركس من « دكتاتورية البروليتاريا » لكن الحزب الشيوعي الفرنسي يعلن رفضه لها ، وقد أعقبه الحزب الشيوعي الإيطالي « أساليب الغزو الفكري للمؤلف بالاشتراك » وقد اضطر الاتحاد السوفيتي إلى طلاء الدكتاتورية بأشكال ديمقراطية مثل مجلس السوفيت الأعلى — كما أشرنا في المتن .. بيد أن دكتاتورية البروليتاريا غير حقيقية ، إن الدكتاتورية قائمة كلها ليست لطبقة العمال ، إنها تمارس دكتاتوريتها على العمال وغيرهم باسم العمال .. إنها للحزب الشيوعي .. لا بل للجنة المركزية .. لا بل للجنة التنفيذية .. لا بل للسكرتير العام للحزب الشيوعي — أقوى رجل — في النظام السوفيتي .

العكس من ذلك إلى ادعاء الديمقراطية ، وقد تكون أكثر تبجحاً فتزعم أنها أكثر ديمقراطية من ديمقراطيات الغرب الزائفة ! ، وأكثرها — في العصر الحاضر — تقوم على أساس انقلاب عسكري ، يثب إلى السلطة فيه مجموعة من العسكر ، تعودت أن تأمر فتطاع أو تؤمر فتطيع . فتجعل الأولى على الشعب ، وتجعل الثانية لمن تعطي لهم ولاءها من شرق أو غرب !

وتتخذ أكثر هذه الدكتاتوريات شرعية لها مما تواضعوا عليه تحت اسم « شرعية الثورية » وأقاموا لهم « فقها ثوريا » يقضى بسقوط الدستور ، وسقوط النصوص المعارضة مع نجاح الانقلاب « المشعوم » كما يجري وفقا لهذا « الفقه المنحرف » تبرير الإجراءات التعسفية من قتل أو تعذيب أو اعتقال .. وكثيرا ما يجري « تقنين » هذا الظلم وصياغته في مواد !

كذلك تقترن أكثر هذه الدكتاتوريات في إضفاء هالة من المجد والتقدير الذى قد يصل حد التقديس .. بالنسبة لرأس النظام ، أيا كان الاسم الذى اختاروه له .

وتطلق عليه الألقاب التى تجعله فى المقام ألا يسأل عما يفعل ، والتى تجعل منه « الملهم » الذى لا يخطيء ، و « المظفر » الذى لا ينهزم ، وقد « تصطع » المعارك الذى يخرج منها « الزعيم » منتصرا أو منقذا لوطنه وشعبه .. ومن ثم تصير طاعته بغير تردد هى الواجبة ، وتنفيذ أوامره من غير تعقيب هى اللازمة ! ويقوم الإعلام كما سنشير بنصيب الأسد فى مواكب النفاق ، والتصفيق والتهافت بحياة قاتله أو قاتليه !

— بيد أن السؤال الذى يطرح نفسه .. كيف يصير أمر الفرد « العادى » إلى هذا المستوى من « الطغيان » ؟ وكيف يصير أمر الشعوب إلى الاستنامة لهذا الطغيان ؟

السؤال صعب والإجابة عليه أصعب .. بيد أننا نقول بحول الله : إن هنا عوامل ثلاثة تلعب فى هذا المجال :

أ — شخصية الطاغية : / هناك أفراد « جبلوا » على العدوان والطغيان ، تجده في طفولته يعتدى على لدااته من الأطفال ، وتجده يتقدم عليهم ويسخرهم لما يريد ، ويلجأ في ذلك إلى « الحيلة » وإلى « القوة » واحدة منهما أو كليهما ..

فإذا استوى شابا استوى على ما شب عليه ! حتى يصل إلى السلطة في المجال الذي يقدر عليه . فإذا وصل إلى السلطة العليا . كان أنكى وأشد !

وبعضهم تقتزن حياته الأولى بالعقد النفسية ، أو بالعلل الجسمية ، فيحاول أن يعوض الأمر — باللجوء إلى الطغيان ، وأكثرهم يفتقد « التربية القومية » والتوجيه السليم وكلهم بعيد عن الله كل البعد أو أكثر البعد ! بيد أن شخصية الطاغية وحدها لا تكفي للطغيان بل لابد معها من :

ب — حاشية السوء أو مواكب النفاق : / هؤلاء هم الذين يمهدون له ، ويبررون له ! وأكثر هؤلاء « ضعاف الشخصية » يستكملون ضعفهم في طغيان ذلك المتسلط !

وأكثرهم كذلك ذو منافع .. مادية .. قروشا ، أوريالات ، أو دولارات ومناصب يظنونها باقية وهي زائلة — يصح فيهم أنهم باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ! ومن هؤلاء فريق ممن يسمون رجال فكر أو رجال دين .. يحرقون البخور للطغاة ويدقون الطبول في مواكب النفاق !

وتتسع هذه الحاشية يوما فيوم ، وتطول مواكب النفاق ساعة بعد ساعة .. ذلك بأن الذين يلتفون حول « الطاغية » يحاولون — سدا للنقص — أن يجدوا ما يلتف حولهم .. فيجدون في شخصيات أكثر منهم ضعفا وأكثر منهم ضعة ! ومن ثم يغدو هؤلاء طغاة صغارا يحيطون بالطاغية الكبير ، ويحيط بهم أو بكل واحد منهم حاشية سوء كذلك، تزين له الباطل وتبعده عن الحق وتقربه من المنكر وتغريه بالفواحش ما ظهر منها وما بطن !

ويتم التسلسل متبادلا بين كل طبقة والتي تعلوها .. نفاقا عن فوقها وتسلسلا

على من تحتها .. حتى تصل إلى الرأس التي تتسلط على الشعب كله .. وتخضع لمن تعمل لحسابه .. إن كان من الإنس .. وإلا فهي خاضعة للشيطان أيما خضوع !

ج — شعب قابل للذل / فلا يظهر طاغية في شعب كريم .

إنه يلفظه على التو .. ولا يبيح له أن يضع قدمه على رأسه ! والشعوب تقبل الذل .. بالطبيعة أو مع المراس : وبعبارة أخرى إن الشعوب كالأفراد — إذ هم مجموعة أو أفراد — فمنها من كان الذل في جبلته فهو يحب أن يسير محني الهامة ! خافض الرأس ! ولا يطيق أن يرفع بصره أو أن يرفع هامته ! وبعضها .. يقاوم الذل ثم يفتر ، ثم يقاوم ثم يفتر ، حتى تضعف مقاومته فيستنيم للذل ويرضى الهوان (١)

وفي الشعوب — في حاضرها وما ضيها — نماذج كثيرة : فشعب في الماضي سمح لحاكمه أن يقول له ﴿ ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ (٢) وسمح له أن يقول ﴿ آمنتم به قبل أن آذن لكم ﴾ (٣) . وسمح له في النهاية أن يقول : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ (٤) ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ (٥) ! شعب سمح بذلك حرى به أن يستعبد ، وحرى به أن يسام سوء العذاب ﴿ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦)

— وشعب في الحاضر صفق لحاكم وهو يقول : أنا خلقت فيكم العزة ، أنا خلقت فيكم الكرامة ، وصفق له حين ضيع بخيائته أو بسوء تصرفه « ثلث أرضه » وجمفق له حين رفع الصفوة من دعائه على أعواد المشائق — شعب فعل في الحاضر ذلك حرى به أن يطغى فيه طاغية ويتجبر ، وأن يأتي خلف له من بعده

(١) ورحم الله القائل « لم يعتد الذل الذي نعتاده — أهون بكل أذى على المتعود .

(٢) غافر ٢٩ .

(٣) الأعراف ١٢٣ .

(٤) النازعات ٢٤ .

(٥) القصص ٣٨ .

(٦) القصص ٤ .

ليقول ﴿ ما يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظِلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(١) ، وعندما يريد أن يصلحها يقول : الله قال للعبيد وأنا قلت للعباد .. وكأن الخلق قسمة بينهم وبين الله ، فالعبيد تابعون لله ، والعباد تبع له !

٢ — انعدام الديمقراطية « أو الشورى » :

'لاتصير الأنظمة الدكتاتورية على قيام الشورى أو بقائها ، فإن اضطرت إليها جعلتها شكلا بغير موضوع أو جسدا بغير روح ! ومن ثم فالشورى منعدمة في الحاليين .. إما انعداما كلياً وإما انعداما موضوعياً !

ذلك أن الحاكم إذا بلغ حد الطغيان فلا يطبق صوتاً يرتفع غير صوته ، بل ولا يطبق رأساً يرتفع غير رأسه .. ومن ثم يكون البديل عن الشورى الحقة .. المشانق ، والسجون ، والمعتقلات !

— وإذا نظرنا في هذه النقطة إلى الاتحاد السوفييتي ، فإننا نجده قد أوجد « شكلاً ديموقراطياً » متمثلاً في « مجلس السوفييت الأعلى » وهو يتكون من مجلسين :

مجلس الاتحاد السوفييتي : ويتكون من نواب عن السكان على أساس نائب واحد لكل ثلاثمائة ألف من المواطنين .

ومجلس القوميات السوفييتي ويتكون من نواب عن جمهوريات الاتحاد وأقاليمه على أساس ٢٥ نائباً من كل جمهورية اتحادية ، ١١ نائباً عن كل جمهورية ذات حكم ذاتي ، وخمسة نواب عن كل إقليم ذي حكم غير ذاتي ، ونائب واحد عن كل منطقة .

وبرغم هذا التكوين الذي يتم عن طريق الانتخاب ، ويعطى « الشكل الديموقراطي » فإن المجلسين ينطلقان بإرادة « سكرتير عام » للحزب الشيوعي ، الذي يت رأس اللجنة الإدارية الدائمة « البريسيديوم » وهي المنبثقة عن اللجنة

(١) ق ٢٩ .

المركزية للحزب الشيوعي^(١) .

وتتم عمليات التصفية مع كل عهد جديد .. للرءوس التي لا يرضى عنها السكرتير العام الجديد^(٢) وقرىبا من ذلك الأنظمة العسكرية التي تعلن في البداية عن « فترة انتقال » تتركز فيها السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية في « مجلس الثورة » الذى يتخذ من القرارات ما شاء استنادا الى الشرعية الثورية ثم يعقب بعد ذلك أشكال هزيلة للشورى .. تصل إلى حد اتخاذ المجلس قرارا ينقضه هو بعد أن يفصح « الزعيم الملهم » عن عدم رضاه عنه .

— بيد أن أنظمة أخرى لاتقوم فيها حتى الآن هيئات شورية ومن ثم يتولى فيها « التنفيذ والتشريع » « هيئة واحدة » — وذلك بدعوى زيف النظم الديمقراطية !

ونحن مع هؤلاء في زيف أكثر النظم التي تدعي الديمقراطية ، ولكن هل يعني الزيف ذهاب الأصل ؟ إن ظهور المجوهرات الصناعية الزائفة لم يبلغ قيمة « الذهب والماس واللؤلؤ » ولم يبلغ وجودها .. فكيف يذهب زيف الشورى بشورى ، وكيف يضيع « الحق » مع « إساءة استعمال الحق » ؟ !

٣ — إطلاق الشعارات وتوجيه الغضب :

للشعوب كالأفراد « طاقة غضبية »

وإذا مورس الطغيان .. استنفر ذلك الطاقة الغضبية لدى الشعوب ، فكيف تسيطر الأنظمة الطاغية على تلك الطاقة الغضبية ؟!

تتخذ لذلك سبيلين : أما أحدهما .. فهو إطلاق الشعارات التي تشغل الشعوب عن حقيقة ما هي فيه ، وعن حقيقة ما يجرى حولها ، وما تساق إليه

(١) راجع ماتم في عهد ستالين « الكيد الأحمر » للشيخ حبنكة الميداني — وهو مثل يتكرر ، وراجع كذلك د / عميق ص ١٧٣ ومابعدها .

(٢) أصول المذاهب د / مصطفى كمال فايد — دار الفكر العربي ص ٣٨١ ، والنظم الاقتصادية والتطبيق الفريد السنفلدت ترجمة شكرى العيد ص ٧٢ :

سوق النعام !

فشعارات إطعام الجائع ، وإنصاف المظلوم ، والكرامة ، والعزة ، ورفع الرأس ... إلخ

وأما الثاني : فهو توجيه الغضب .. إلى المواكب والمظاهرات التي تصطنع لها المناسبات بل يصطنع الأعداد كذلك وتساق الجماهير الغاضبة لتحطيم تلك السفارة أو ذاك المبنى إظهارا لغضبها لسلوك نظام آخر أو تحديدا وعادة مايجرى التركيز على عدو معين « الإمبريالية الصهيونية فتحشد طاقات الجماهير الغضبية ضد هذه أو تلك ، وتعبر الجماهير عن طاقاتها المكبوتة بالصراخ العالي بسقوط هذه أو تلك ، ولا تسقط هذه أو تلك لأنها من وراء الستار هي المحركة ، وهي الراضية عن سير المواكب الهادرة الغاضبة ... فلا قيمة لهذا الهدير متى لم يصل إلى حد العمل أو حد التنظيم !

٤ — الوشاية والتجسس :

تتضخم في الأنظمة الطاغية أجهزة التجسس تتضخم عددا وتتضخم تنوعا . وتصير كل مجموعة متمثلة في جهاز ليست فقط رقبية على الشعب ، بل في نفس الوقت رقبية على المجموعة الأخرى ، وتستحل هذه الأنظمة حرمان الناس ، وتقتحم على الناس منازلهم ، بل مخادعهم بأجهزة التصنت ! و صار معها الآن كذلك أجهزة التصنت البصرية .. بمعنى أن تسجيل الصوت والصورة ! أحيانا من داخل الجدران وأحيانا من خارج الجدران .

— وقد بلغ التقدم التقني في هذا المجال شأوا بعيدا ، تستخدمه الأنظمة الديمقراطية في التجسس على أعدائها وتستخدمه الأنظمة الدكتاتورية في التجسس على أفرادها ، مهما كانت مراكزهم .

والقصص في ذلك أكثر من أن تحصى ، وأخزي من أن توصف !

— ويصحب التجسس الوشاية .. أو ما نسميه بلغة الإسلام « النيمة » فكلا الأمرين يحتاج إلى ظلام ، وليس أظلم من النظم الطاغية التي تتيح هذا أو ذاك !

ويجرب تصديق « الوشاية » وتقريرهم ، وصعودهم على أكتاف من وشوا به وقد بلغ الأمر في أكثر هذه الأنظمة أن يشي الأخ بأخيه ، وأن تشي الزوجة بزوجها ، والابن بأبيه .. ويعد ذلك قمة الوطنية ، لا قمة الحسة والندالة !

٥ - الانحلال الاجتماعي :

تخاف الأنظمة الطاغية رغم ما تقوم به من إطلاق الشعارات لشغل الناس ومحاولة توجيه الطاقات الغضبية في اتجاهات بعيدة عن النظام ، ومن ثم فهي تلجأ إلى إلهاء هذه الطاقات واغراقها أو — إفنائها في مستنقعات الرذيلة والانحلال ..

وتفتح النظم الديكتاتورية — أكثر من غيرها — ذراعيها لكل تشجيع على الانحلال . فتتكر لبعض شعاراتها .. وتأذن في أجهزة الإعلام ، وفي واقع الحياة بما لا تأذن به نظم أخرى بل بمالم تكن تأذن به من قبل .

وتغمض عينيها عن كل ما يחדش الحياء .. موحية بأنه من سنن التطور !
وتصم آذانها عن كل ما ينذر بعاقبة الفساد ، وعاقبة الترف ، وعاقبة العهر .
بل أحيانا تقمع الأصوات التي تنذر أو تحذر ! بينما أصوات الفساد والداعين له عالية رنانة لاتكاد تجد من يحاول أن يفرض عليها « حجرا » أو « تهديبا » !

وتعتبر الدكتاتوريات طريق الانحلال محققا « للأمن القومي » حيث تمد طاقات الشباب فلا تتجه للبحث ولا للتفكير ولا للتعقيب على مايجرى ...

ومن ثم فللسياسة رجال وللفن و« اللهو » رجال !
وفي بلاد يفلسف الانحلال ويسمى بغير أسمائه فهو تقدم ، والفضيلة تأخر ورجعية ، وهو يشكل نظريات « تصريف الكبت » والتسامي بالغريزة وغير ذلك من الأسماء .

وفي بلاد كالاتحاد السوفيتي — يجهر بعدم لزوم « الأسرة » بل باعتبارها أثرا من آثار عبودية بورجوازية التي ينبغي أن تحرر منها مجتمعات « الصعاليك »^(١).

(١) يقول ماركس « إننا نريد أن نستبدل بشيوع المرأة المستترة وراء النفاق شيوعا علنيا مشروعا » ماركس — إنـ=

— ويغرس مع الانحلال فكر الصراع بين الطبقات ، ليقوم المجتمع على أساس كراهية بعضه بعضا ، وتربص بعضه لبعض ، فلا يلتفت الى طفيان حاكم أو منحرف حزب !

— ويزكي ذلك التفسير المادى للتاريخ^(١) ، فما في التاريخ من أحداث أساسها الصراع ، والصراع على المادة قبل كل شيء .. ومن ثم تسقط — في الميزان — الماركسى — قيم الدين ، والأخلاق والنوازع الفاضلة !

وبعد

فهل استطعنا أن نقدم الشيوعية .. من أفواه أصحابها ومن تطبيقات رجالها ؟ وهل يمكن للناس أن يدركوا أنهم حين يستبدلون « بدرك » الديمقراطية والرأسمالية .. « درك » الشيوعية « والاشتراكية .. فقد استبدلوا دركا سافلا بدرك أسفل !

وهل لهم أن يدركوا أن العيب الرئيسى فى الديمقراطية والرأسمالية أنها تشرع من عند ذات نفسها فتخضع للجهل والنقص والهوى .. ؟ إن هذا العيب فى الأنظمة الاشتراكية والدكتاتورية أنكى وأشد .. ؟ لأن الجهل والنقص والهوى يتهدب فى الأولى بشيء من الشورى .. بينما يزداد فى الأخيرة بمزيد من الدكتاتورية ! .

= الأسرة هى وضع من أوضاع مجتمع لا تضح فيه ولا جدوى منه ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأييده إلا بالقدرة الذى يلائم مصلحة الدولة ، وتستند الماركسية فى موقفها هذا إلى أن الأسرة تدعم النزعة الفردية والرغبة فى التملك والملكية « انجلز » ويشير أحد الكتاب إلى أن هذا يعنى :

١ — القضاء على الأسرة بمنع رباطها وهو الزواج .

٢ — إقامة « الحظائر » لتربية أبناء الدولة .

٣ — إطلاق المشايعة الجنسية .. « راجع د / عميرة ص ١٦٥ — ١٧٢ وينقل المؤلف أن إحدى زوجات الدولة « ميرى روزنتال ، كان لها زوجان يختلفان إليها يعلم كليهما .. »

(١) تنكر إنجلز — صديق ماركس — لفكرة التفسير المادى للتاريخ . « راجع أساليب الغزو الفكرى للمؤلف بالاشتراك » .

وهل لهم بعد ذلك أن يدركوا أن مادية الغرب تتوافر .. بل تقوم عليها « أيديولوجية » الشرق . وأن انحلال الغرب الذى « تسمح » به نظمه يتوافر في الشرق ويتجاوز حد السماح إلى حد « التشجيع » .. ؟

وهل للناس أن يعلموا بعد ذلك أن « التدين » في الاتحاد السوفيتى وفي غيره من الدول — الشيوعية .. صار ليس فقط موضع رضى .. بل صار موضع اهتمام يعرض صاحبه إن كان أجنبيا للطرد أما إن كان « وطنيا » فله حلول أخرى ... وذلك كله رغم ما يشيعونه ويذيعونه من حرية ممارسة الشعائر ، وما يلجأون إليه في بعض الأحيان من إقامة بعض المؤتمرات الدينية ، وإرسال بعض الوفود وبعثات الحج .

وهل لنا — أخيرا — أن ندرك أن إخوتنا المسلمين هناك في الدول الشيوعية — يزيدون عددا على عدد الولايات المتحدة الأمريكية وعلى عدد أفراد الاتحاد السوفيتى ، وعلى ضعف عدد الدول العربية مجتمعة ... هل لنا أن ندرك أنهم يمثلون خمس أو ربع عدد كل المسلمين وأنهم يسامون خسفا وهوانا لا يسامه أى أقلية في أى إقليم آخر .. ؟ .

ترى لو كان الغزو الروسى الأخير لأفغانستان تم لأصغر دولة نصرانية .. أكانت الصليبية تقف متفرجة ، كما تقف الآن بلاد الإسلام متفرجة على أخ أو أخت لهم ، ينزع ثيابها وتمزق جلودها ويهتك عرضها .. ثم في النهاية تذبح بالسكين غير الحاد ذبح الشياه .. ١٢

أيليق يامسلمون !



الباب الثالث الاتجاه الصهيوني

ليس هذا اتجاها فكريا بقدر ماهو اتجاه سياسى .
لكنه بكل أسف صار صاحب تأثير فى مجتمعاتنا الإسلامية .. ففكرا ، وسلوكا ،
وهوية وانتساب ، وهو يتشكل بأشكال كثيرة
ومن ثم وجب التعرض له بشيء من التفصيل

نعرض للأفعى اليهودية :

صفاتها — ثم مراحلها .

الفصل الأول

الأفعى اليهودية

تقدمة

لا نريد أن نقع فريسة التهويل . كما لانود أن نقع فريسة التهوين .
فكلاهما إفراط وتفریط ، وكان بين ذلك قواما ، هو الوسط الأمثل الذى اخترناه
منهاجا لكتابتنا ، كما هو بإذن الله منهاج حياتنا .
وانطلاقا من ذلك نقول بعون الله :

— ليس صحيحا أنه منذ مؤتمر (بال) ١٨٩٧ بدأت الأفعى اليهودية تنفث
سمومها ، وليس صحيحا كذلك أن الأمر بدأ قبل ذلك بقرنين حين دعا الحاخام ليفا
(١٥٢٠ — ١٦٠٩ م) إلى اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود .

لكن الأمر أبعد من ذلك بكثير ...

إنه منذ بزوغ فجر الإسلام منذ أربعة عشر قرنا حين كانوا يستفتحون على الذين
كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به .
وإنه من قبل الإسلام منذ بزوغ فجر المسيحية حين ناصبوا المسيح عبد الله
ورسولة العدا .

— فمنذ ألفى عام (عشرين قرنا) سجل التاريخ قيام الجمعية الخطية التى ناصبت
المسيح العدا ، واستمرت حتى جاء الإسلام فناصرته العدا ، حتى تسمت فى
القرن السابع عشر (١٧١٧) باسم الماسونية ومارست دورها حقدا على
الأديان ، وتخطيما لكل البشر من الجويم (غير اليهود) ...

ثم سلخت جلدها وتلونت بأسماء جديدة لما تكشف أمرها :
شهود يهوه المشرق التوراني
بباى برت

« هذا عن كتابنا « حاضر العالم الإسلامى »

اليونز الروتارى الكك ...

وتحدث فى اختصار عن مراحل الأفعى اليهودية بالنسبة للإسلام لكننا قبل ذلك نحاول الكشف عن كنهها أو صفاتها ...

أولا : صفات الأفعى اليهودية :

١ — ونحن نتلمسها من أصدق كتاب ، من القرآن الكريم الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

١ — وقاحة :

- ﴿ وقالت اليهودُ يدُ الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعِنُوا بما قالوا .. ﴾^(١)
﴿ وقالت اليهودُ عزيز ابن الله .. ﴾^(٢)
﴿ قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾^(٣)
﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾^(٤)

٢ — فتن وفساد :

﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً ، والله لا يحب المفسدين ﴾^(٥)

٣ — قتل وغدر وتحريف :

— ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف .. ﴾^(٦)
﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون

(١) المائدة آية ٦٤ .

(٢) التوبة آية ٣٠ .

(٣) الأعراف ١٢٩ .

(٤) المائدة ٢٤ .

(٥) المائدة ٦٤ .

(٦) النساء ١٥٥ .

بالقسط من الناس ... ﴿١﴾

﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ (٢)

﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ (٣)
﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ (٤)

٤ - جبن وقسوة ، وغرور :

﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ...﴾ (٥)
﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ..﴾ (٦)

﴿لا يُقاتِلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار﴾ (٧)

﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ (٨)

﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة .﴾ (٩)

﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾ (١٠)

﴿وقالوا لن يدخُل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ..﴾ (١١)

٥ - جحدوا فكتب عليهم الذلة :

﴿سأل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ، ومن يُبدل نعمة الله من بعد

(١) آل عمران ٢١ .

(٢) المائدة ١٣ .

(٣) الأنفال ٥٦ .

(٤) البقرة ١٠٠ .

(٥) المائدة آية ٢٢ .

(٦) الحشر ١٣ .

(٧) الحشر ١٤ .

(٨) البقرة آية ٧٤ .

(٩) البقرة آية ٨٠ .

(١٠) البقرة آية ٨٧ .

(١١) البقرة آية ١١١ .

ما جاءته فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ .

﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلُ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٢)
— ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيُّهَا ثَقُفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ (٣) .

ثانيا : مراحل الأفعى اليهودية :

ونحن نبدأ مع الإسلام فهو ما يعيننا في هذا المقام وإن كان لنا أن نسجل أن الأفعى فعلت مع المسيح عليه السلام ودعوته الكثير .

وعندما جاء محمد عليه الصلاة والسلام برسالته ، وكانوا من قبل يظنون أن النبي المرسل من بعد عيسى سيكون منهم ، وكانوا يستفتحون على خصومهم بذلك فلما جاء من نسل إسماعيل لإسحاق أنكروه وكفروا به .

وحاولوا في البداية التخلص منه بأكثر من طريق ... وفي مقدمتها الاغتيال فحاولوا : قتله بالسم مرة لكن الله سبحانه أوحى إليه فتوق الأكل من الشاة المسمومة ، وحاولوا قتله بإلقاء الحجر عليه وهو جالس مرتكن إلى الحائط ، لكن الله سبحانه كذلك أوحى إليه فتوق القتل مرة أخرى .

— ثم حاولوا تجميع الأعداء عليه وتأليبهم حتى كانت غزوة الأحزاب التي زلزل المؤمنون فيها زلزالا شديدا ، ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا .. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (٤) .

ومن ثم كان إجلاؤهم :

بنو قينقاع .. لما غدروا ، وكشفوا سوءة المسلمة ، وقتلوا من دافع عنها .
وبنو النضير .. لما غدروا كذلك ، وحاولوا إلقاء الحجر على الرسول وهو مسند

(١) البقرة آية ٢١١ .

(٢) البقرة آية ٥١ .

(٣) آل عمران آية ١١٢

(٤) الأحزاب ١٠ — ١١

ظهره إلى حائطهم .
وبنو قريظة .. أخيراً لما تحالفوا مع الأحزاب فعاد إليهم الرسول ﷺ بعد أن أجلي
الله الكفار من حول الخندق ، عاد إليهم وهو يقول للمسلمين « من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة » وقتل الرجال وسبى النساء
والذرية .

وأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (١) .
وطهر الله منهم أرض الجزيرة على عهد رسول الله ﷺ وكان تصريح رسول الله ﷺ
عشية انتقاله إلى الرفيق الأعلى (لا يجتمع في الجزيرة دينان) !

— وحملوا الحقد في نفوسهم ، وأخفت الأفعى اليهودية رأسها حيناً ، حتى
أطلت على عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه تنفث سمومها .. حتى بلغ الأمر حد
التأمر على حياته ، فقتل ذو النورين وهو صائم يتلو القرآن .

ثم زاد نفث السموم على عهد على رضى الله عنه حتى تأججت نار الفتنة بين على
ومعاوية رضى الله عنهما ، ثم تأججت ضد على نفسه بما أعلنه الخوارج من كفر على
والذين معه ، ومعاوية والذين معه ، ثم بظهور الشيعة يعتقدون بعض مبادئ اليهود
من رجعة على ، ومن تأليه له .. كما ألهوا من قبل المسيح ابن مريم .

وزادت الفرق .. وزادت محاولات التفرقة الفكرية والعقدية بين صفوف
المسلمين .

وفي القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) تشكلت محافل
الماسونية تحمل شعار (الإخاء — العدالة — المساواة) وتحمل في الحقيقة حقد
اليهود على كل من عداهم من البشر (الجويم) يعتبرونهم حميراً كلما نفق حمار
ركبوا حماراً آخر بدلا منه .

وفي درجات المبتدئين الأولى يكتفون ببث السموم دون الكشف عن حقيقة

(١) الأحزاب ٢٦ .

- هدفهم .. حتى إذا بلغ العضو (البناء) الدرجة الثالثة والثلاثين صار التكريس معه على النحو التالي :
- س : على أى شيء أقسمت ؟
- ج : على التوراة .
- س : هل علمت بكتاب سواه ؟
- ج : نعم هناك إنجيل وقرآن وهذه الشذمة خارجة عن الإيمان والبشرية ...
- س : هل تؤمن بهما ؟
- ج : كلا أو من بالتوراة فقط الكتاب الصحيح الذى أنزل على موسى .
- س : مارأيك بالدينين المسيحي والإسلامي ؟
- ج : المسيحي أخذ تعاليمه من التوراة والإسلامي أخذ تعاليمه من التوراة والإنجيل .
- س : هل الأصل أفضل أم الفرع ؟
- ج : لاشك أن الأصل أفضل !!! (١) .

وتنهض الماسونية بأعبائها الخبيثة لتجند في مجال الفكر أساطيل ، تشكيكا للناس في قيمهم ومثلهم ومحاولة لتهودهم فكرا أو اقترابهم منه .

وينضم إليها أمثال : روسو وفولتير ، ليمهدا للثورة الفرنسية ويشعلاها وأمثال كارل مردخاي ماركس ، وإسحق مونيمر وثيشو وليغى درون وشيف ليخطط الأول دستور الشيوعية ، وليقول الآخرون وكلهم يهود ثم يمتطى صهوتها ويمول بعد ذلك اليهودي أولباتوف (الملقب بلينين) . (٢) .

(١) حقيقة الماسونية د. محمد على الزغبى — مارس ١٩٧٤ دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ص ٤٢ ، ٤٣

(٢) ويكفى لإدراك نفوذ اليهود الحالي في الاتحاد السوفيتي أن نعلم أنهم رغم أنهم يمثلون أقل من نصف في المائة من تعداد السكان « مليونان من ٢٢٠ مليون تعداد الاتحاد السوفيتي » فقد ذكر نيكيتا خروشوف في مجال الدفاع عن نفسه أن للواحد في المائة هذه النسب :

١٤٪ من مجموع الخامين ١٤٪ من مجموع الكتاب

٢٣٪ من مجموع المؤلفين والموسيقين .

٦٣٪ من الفنانين .

٧٦٤٧ يحتلون أكبر المناصب في الدولة .

٤٤٧٠٠٠ عالم اقتصادي متخصص .

وأمثال مدحت باشا ومصطفى كمال الشهير بأتاتورك مع حزب الاتحاد والترقي
ليجهدوا .. ثم ليقضوا على دولة الخلافة الإسلامية لتجد الأفعى اليهودية طريقها إلى
فلسطين عبر القسطنطينية !

— وتنفت الماسونية سمومها في مجال الفنون هبوطا بالناس إلى مستوى حيواني حقير ،
وإغراقا لهم في مستنقع الغرائز ، حتى ليصير كشف الناس لعوارثهم أداء للون من
الفنون ، وممارسة الغريزة الجنسية على الشاشة وعلى خشبة المسرح لونا مستساغا
كذلك . (١)

ولاغرو فهي تستمد ذلك من البروتوكول الثالث « إن مصلحتنا تقضى بالتحلل
الشعوب غير اليهودية » .

وتنفت سمومها كذلك في مجال الصحافة والكتابة والنشر .. فتزيف التاريخ
وتطمس الحقائق وتحاول دس خرافات اليهود مما سطرته أيديهم في التوراه والتلمود .
أما سمومها في مجال الاقتصاد .. فحدث عنه ولاحرج فهم الذين ابتدعوا الربا
وقنوه تحت اسم سعر الفائدة ، وبرزوا بنظريات المنفعة ، وصبغوا الاقتصاد
بالصبغة المادية الخالصة من كل معنى كريم .

كذلك في مجال السياسة صاغوا النظريات ، وروجوا للأفكار ، انحرافا بالإنسانية

(١) في مجلة الدعوة السعودية العدد رقم ٦٣٣ الاثني ٣ من محرم سنة ١٣٩٨ تحت عنوان وإسلامه — بقلم ع.
ع. جامعة الرياض نداء جاء فيه اتقلدوا الشباب من دمار الأخلاق وانتشار الرذيلة والانحلال ، ثم أشار الى أن
نوادى الشباب تحولته إلى هدف رذيل ، وأصبحت هذه الأندية تدمر الأخلاق وذلك بما يعرض فيها ليليا من أفلام
سينمائية لا يصدق العقل أن مثل هذه الأفلام تعرض في أندية للشباب داخل دولة تعتبر قلب الإسلام ، ويعتبر
شبابها هو أول الشباب مسئولية في حمل رسالة الإسلام إلى جميع أهل الأرض • وكان آخر ما عرض من أفلام رذيلة
في أحد الأندية هنا بالرياض هو فيلم أمريكي ملون بعنوان « الفتيات الساخنتات »

وكان ذلك في ليلة الخميس الموافق ٢١ / ١٢ / ٩٨ والحق يقال ان هذا الفيلم وصل الى درجة ليخجل
العاقل عن وصفها فقد كان جنسيا بحتا ، تعرض فيه العمليات الجنسية بين رجال ونساء عراه دون خجل ولا
حياء ، وقد بلغ قيمة التذكرة لهذا الفيلم ١٠ ريال .

وفي صحيفة الرياض العدد ٤٠٨٦ السنة الرابعة عشر « ٢٨ / ١٢ / ١٣٩٨ الموافق ١٨ / ١١ / ١٩٧٨
أن مجلة حواء النسائية المصرية العدد ١١٥٤ نشرت دراسات حول أحدث موضة أزياء الشتاء لعام ٧٨ وجد
شعار إسرائيل عليها « النجمة السادسة »

عن مثلها وقيمها ، وهبوطا بها إلى مستويات دنيا ، ثم تمزيقا لها تحت تيارات
وشعارات كثيرة وباسم أحزاب وتكتلات عديدة ! .
وهكذا

— وقد بلغ من نفوذ الماسونية أن كان بعض الزعماء (المسلمين) من
أعضائها الكبار^(١) ، كما شمل رؤساء آخرين نشاط نوادياها بعد أن تكشف حقائق
محافلها .

وفي مجال النصارى حققت الماسونية كسبا ، إذ صدر قرار بتبرئة اليهود من دم
المسيح ، ثم أعلنت الكنيسة الكاثوليكية سماحها بالانتساب إلى المحافل
الماسونية الأمر الذى كان يمنع من قبل .^(٢)

(١) نشر الدكتور محمد على البغبي في كتابه حقيقة الماسونية الخطابين التاليين
أ — البناعون الأحرار المجتمعون اليوم بالإسكندرية المناسبة تبيت أستاذ أعظم للمحافل الأكبر الوطن لمصر والأقطار
العربية ، يعربون عن إخلاصهم للثورة المباركة ، وتأييدهم لقادتها الأحرار ورغبتهم الأكيدة في العمل على مبادئها
التي يدينون بها .

وقد سجلوا هذا الولاء باختيار سيادتكم بالإجماع حاميا أعظم للماسونية في مصر والأقطار العربية — سائلين
المولى أن يؤيد مصر الجمهورية بنصر من عنده . وأن يوفقكم في كل ما تقدمونه للبلاد من خير ، وأن تزدهر
الماسونية وترتقى في ظل حمايتكم العظمى لها ، والله ولى التوفيق »

٢٨ / ١ / ١٩٥٦ م

ب — السيد طه مخلوف أستاذ الماسون

تحية طيبة وبعد ،

فأشكر لك أجزل الشكر مهنتك القلبية وثقتك الغالية بالدستور الجديد الذى استلهم من روحك وبكلمتك
« !!! » ويفضل إيمانك يعلو وتصبح مواده المرجع والغاية .
والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه خير بلادنا العزيزة — والله أكبر والعزة لمصر .

جمال عبد الناصر

« ونشرت مجلة المجتمع الكويتية « العدد ٤١٩ — الثلاثاء ٧ ذى الحجة الموافق ٧ نوفمبر ١٩٧٨ » أن إذاعة العدو
الإسرائيلي أذاعت اليوم الجمعة ٢٥ القعدة الموافق ٢١ / ١٠ / ٧٨ خيرا جاء فيه أنه سيعقد في مطلع ديسمبر
المقبل في كل من القدس والقاهرة مؤتمرا باشتراك رؤساء نوادي الروتارى في مصر وإسرائيل والمغرب وتونس والجزائر
والبحرين والكويت وقبرص وأنه سيبحث في معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر وفي التعاون بين نوادي الروتارى في
الشرق الأوسط .

(٢) راجع المخططات التلمودية الصهيونية للأستاذ أنور الجندي — دار الاعتصام في غزو الفكر الإسلامى الطبعة
الثانية سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .

وبعد

فلعنا .. أسقطنا بعض الأضواء على ماتجرية الأفعى اليهودية من تحرك فى الظلام .
o o لكن آثارها فى مجال السياسة .. يحتاج إلى تعقب طويل وتعقيب أطول .. فهى
تشارك الولايات المتحدة اليوم ، إن لم تكن محرّكة كذلك لها ، تشاركها « لعبة
الحكام (١) الذين بدورهم يمارسون لعبة الأمم أمة الشعوب Came of Nations (٢) ،
ولعل ماقدمنا من فقرات ، ونقول عن سياسة الغرب ، وساسة اليهود وكتاباتهم عند
الحديث عن الاتجاه الغربى ، لعل فى ذلك كله تأكيد لما نقول .

ولعل مايلحظه الناس من قيام الحروب ، والتحرشات ، والصراعات المختلفة
بين البلاد الإسلامية والعربية بعضها البعض ، وتسلط كثير من الحكام على شعوبهم
امتهانا وإذلالا ، وقتلا للنخوة والرجولة فى صدور الرجال .. وفى مقدمتهم أبناء الدعوة
الإسلامية على نحو ماأشرنا من قبل — لعل فى ذلك كله تأكيدا آخر لأخير .

أما الأخير فهو أن سهما واحدا من هذه السهام أو رصاصة واحدة من هذه
الرصاصات لم تطلق على قلب « إسرائيل » ، وهى أقرب ، وهى فى الوقت نفسه
أشدّ عداوة للذين آمنوا ! .. إن ماأنفق فى بعض الحروب التى امتدت بضع سنين
ولاتزال قائمة وماينفق فى التآمر المتبادل ، والتجسس المتبادل ، وقذائف الإعلام
المتبادلة كان يكفى لإفناء « إسرائيل » ولكنها التى تلعب ، وهى المستفيد الأول !
وفى علم الإجرام يقولون إذا أردت أن تعرف المجرم فسأل من المستفيد من
الجريمة ؟

أما المجال الاجتماعى ، فنرجو ألا يكون تكرارا أن نقول إن معظم أنواع الانحلال
الاجتماعى فى العالم عامة وفى الشرق خاصة ، وراءها اليهود ! ، وإذا كانوا استطاعوا

(١) هذا تعبير لنا جديد عن « صناعة الزعماء » الذى أشرنا إليه من قبل ، وقد فكرنا فى استخدام اللفظ الذى
استخدمه جيفرسون كافرئ سفير الولايات المتحدة الأمريكية فى مصر فى أوائل الستينيات حين كان يعبر عن
حكام احدى البلاد الإسلامية بقوله My Boys — لكننا آثرنا التأدب مع « أسيانا » الحكام .
(٢) مع الاعتذار للكاتب الأمريكى مابلز كوبلاند صاحب الكتاب الشهير بهذا العنوان .

أن يغزو ألمانيا في هذا الجانب لتكفر ألمانيا عن جريمة لم ترتكبها نسبتها إليها اليهود^(١)، إنهم إن كانوا قد استطاعوا ذلك ، فهم يحاولون في بلادنا الإسلامية غزوها اجتماعيا ، لنشر الانحلال في مجتمعاتها ، وتعمد اليهود السائحون التجول في شوارع بعض البلاد الإسلامية بأزياء أقرب إلى العري ، وما يحملون معهم أو قبلهم عند قدومهم من « أفلام » مثيرة ، وما يحملون بأنفسهم أو بوسائط عنهم من مخدرات بلغت أخطر أنواعها في المرحلة الأخيرة عن طريق الهيروين وغيره من أنواع السموم البيضاء التي إذا ابتلى إنسان « بشمة » واحدة منها تحقق لديه الأدمان ! .. كل ذلك وغيره .. مما ظهرت أصابع اليهود وراءه أو ظهرت علانية معه .. يؤكد الدور « الدور الاجتماعي » الذي يحاولونه ، حتى ينزعوا من شعوبنا نخوة الجهاد ويصيبونهم بطراوة الانحلال !

أما المجال الفكري — وهو أخطر — فقد أشرنا إلى إلماحة خفيفة ، ونحيل إلى مراجع ورسائل كتبت حديثا عن أثر اليهود في هذا الميدان والله المستعان^(٢)

(١) أشاع اليهود أن هتلر حرقهم في أفران ، وقالوا إن ذلك كان يتم في سجن « دخاو » — ضاحية في مقاطعة بافاريا لعاصمتها ميونخ في ألمانيا الغربية — وقد أتيت لي زيارة هذا السجن عام ١٩٨٠ في صحة شاعر الدعوة جمال فوزي رحمه الله — ولاحظنا أن الأفران المذكوره ليست كثيرة بل تعد على أصابع اليد ، وأن الفرر لا يتسع إلا لشخص واحد ، ولما سألتنا قال بعضهم إنه مخصص لحرق المسجون الذي يموت حتى لا يتكلف السجن لإرساله إلى أهله ، وحتى لا يطول مقامه ميتا ، ومع ذلك زعم اليهود أنهم كانوا يحرقون هناك أما أثر اليهود في انحلال ألمانيا ، فقد سمعته من المواطن الألماني العادي ، لقد حكى لي بعض الألمان أنه إلى الحرب العالمية الثانية لم تكن صورة الانحلال على هذا النحو الملاحظ الآن ، وأن اليهود — بعد تلك الحرب وبما زعموا مما أصابهم استطاعوا أن يحصلوا على امتيازات ضخمة لا يتمتع بها المواطن الألماني ، وفي مقدمتها الاعفاء الكامل من الضرائب التي تصل في ألمانيا — تصاعديا — إلى حوالي ٩٠ ٪ والتي في متوسطها لا تقل عن ٥٠ — ٦٠ ٪ أعفوا من هذا القدر الكبير من الضرائب على الأرباح التجارية ، واتجهوا إلى تجارة الجنس بكل أنواعها وصنوفها ابتداء من عرض القيلم الجنسي الرخيص ، وابتداء إلى تجارة الدعارة والبيغاء ، الأمر الذي حقق لهم هدفين في وقت واحد : تحقيق أرباح ضخمة ونشر الانحلال حتى بلغ أعماق الريف الذي كانت تسيطر عليه روح المحافظة .

(٢) راجع في ذلك رسالة ماجستير تحت عنوان « الغزو الفكري اليهودي لفلسطين » للشاب الفلسطيني حسين مهدي — الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . وراجع كذلك ما نشرته المجتمع والبلاغ عن « وثائق الماسونية » في بعض البلاد الإسلامية .

ولانزال نحسب أن مجال التأثير اليهودي .. السياسي ، الاقتصادي ، الاجتماعي ،
الفكري .. بحاجة إلى بحث وغوص نرجو أن ينهض به بعض القادرين على ذلك والله
المستعان .



الفصل الثاني*

حول حقيقة الماسونية ونشأتها ومصادرها

تقدمة :

مسونى ، أو ماسونى ، نسبة إلى الماسونية freemagon mason ويقصد بها البناءون الأحجار ، أو البناء الحر masonic lodgl والبناءون الأحرار هم الذين بنو هيكل سليمان^(١)، وهناك رأى آخر بأن الماسونى : من استقل بحرفته رجاء كسب معاشه دون أن ينتسب إلى نقابة أو جمعية يتقيد بها فى عمله مؤثرا الحرية واصفا نفسه صاحب حرفة حر .

(١) حقيقة الماسونية

إن بعض المؤرخين لها المنتسبين إليها يرى : « أن الماسونية مبنية على أقوى دعائم التقوى والفضيلة ولا يتسنى لأى إنسان كان أن يكون ماسونيا إلا إذا كان حر النسب ، طيب السيرة ، مهيبا للتفانى فى سبيل تحقيق عمل الخير ، يكافح الباطل ويناصر الحق ، تواقا للحرية والإحياء والمساواة فيختار الانتماء إليها من تلقاء نفسه ، وغير مكره عليها من قبل أحد » .

ولعل سائلا يسأل : إذا كانت الماسونية كما تقولون ، فلماذا تستند بالظلام وترهب النور ؟ بل وتهدد كل من ييوح برموزها أو يحاول الكشف عن طلاسمها بالقتل والإبادة ؟!

إن أول شيء تحرص عليه أن تلقن أعضائها عند التحاقهم بهم أن يكونوا كثنومين ... ولايسمح للعضو بالانضمام إلى عضويتها إلا بعد أداء اليمين أمام هيئة المحفل^(٢) وهاك بعض كلماته : « أقسم بين خالق الكون الأعظم ، وأتعهد

* هذا الفصل تلخيص عن كتاب الزميل الفاضل د عبد الرحمن عميرة المناهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ، وبعض المصادر الأخرى المشار إليها

(١) مجمع اللغات : انجليزى . عربى . فرنسى ص ٧٦٣ .

(٢) المحفل : مكان الاجتماع ، ويسمى فيما بينهم الهيكل الذى يرمز الى هيكل سليمان .

بإرادتي واختياري أن أصون وأكتم الأسرار والرموز الماسونية التي تباح لي الآن أو فيما بعد ، ولا أبوح بها لأحد ، وأتعهد بأن لا أكتب هذه الأسرار ولا أطبعها ولا أحفرها ولا أنقشها ، أو أدل عليها بوجه من الوجوه ، وأن أمنع ما استطعت من يقصد أن يفعل ذلك سواء كان بالحرف ، أو بالوصف أو بالصور ، صريحاً أو غير صريح ، لنفسى أو لغيرى من الناس ، حتى لا تنكشف أسرار البنائين الأحرار » . (١)

يقول بعض المؤرخين المحدثين معرفاً بها وكاشف النقاب عن هويتها : « الماسونية آلة صيد بين اليهود ، يصرعون بها كبار الساسة ، ويخدعون الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة ... أما مهمتها الحقيقية : فصقل أحجار صالحين لبناء الهيكل وتدريب فرسان حكماء يتقنون انتزاعه بحكمة وشجاعة ، ثم ترويض أسود لحمايته » . (٢)

إنه يقول عنها : إنها يهودية الأصل والمنبت ، ومادامت كذلك فهي : تجيد المكر والخداع .

وحسبنا أن نسوق هذه الحقائق :

أ — تقول النشرة اليهودية الصادرة في عام ١٨٦١ م : « إن روح الماسونية الأوربية هي روح اليهودية في معتقداتها الأساسية ، لها نفس المثل واللغة وفي الأغلب نفس التنظيم والآمال التي تنير طريق الماسونية ، وتدعمها — هي الآمال التي تنير طريق إسرائيل وتدعمه ، ومكان تنويرها هو بيت العبادة البديع ، حيث تكون القدس رمزا وقلبا منتصباً » .

ب — وفي سنة ١٨٦٦ م قال الحاخام الدكتور laeacwise : « الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها ، وفي إيضاحاتها يهودية من البداية حتى النهاية » .

ج — وقالت دائرة معارف الماسونية الصادرة في « فيلادلفيا » سنة ١٩٠٦ م : « يجب أن يكون كل محفل رمزا ليهكل اليهود ، وهو بالفعل كذلك ، وأن يكون كل

(١) راجع كتاب « أسرار الماسونية ، أو السر المصون في شريعة الفرمسون » تأليف الأب لويس شيخو .

(٢) « حقيقة الماسونية » : د / محمد علي الزغبى .

أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود ، وكل ماسوني تجسيدا للعامل اليهودي «^(١) .

د — وذكرت دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٣ ح ٥ ص ٥٠٣ :
« إن اللغة الفنية ، والرموز والطقوس التي تمارسها الماسونية الأوربية ملأى بالمثل
والاصطلاحات اليهودية ، ففي محفل « سكوتلندا » تجد التواريخ الموضوعة على
المراسلات والوثائق الرسمية كلها بحسب تقويم العصر ، والأشهر اليهودية ، وتستعمل
كذلك الأبجدية العبرية » .^(٢)



(١) أحجار على رقعة الشطرنج تأليف : وليام كار ترجمة سعيد جزائري .

(٢) الماسونية أحمد عيد الغفور عطار ص ٦٠ .

(٣) إنجيل متى ٢٤ / ١ — ٢ ومرقص ١٣ / ١ — ٢ ولوقا ٢١ / ٥ — ٦ نقلا من ص ٢٩ من الكتاب .

٢ - نشأة الماسونية

— يرى بعض المؤرخين أن تاريخها يرجع إلى بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي .

— وإذا أردنا النصفة نقول : إن هذا وارد في أقوال المؤرخين والراصدین لحركات هذه الجمعية الخفية على مدار حقب التاريخ .. ولكننا نرجح أن الماسونية يرجع تاريخ إنشائها إلى بداية القرن الأول الميلادي ، عندما كان « حاخامات » اليهود يتنبأون بقرب ظهور نبي جديد ..

وبشيء من التفصيل يمكن أن نقسم نشأة الماسونية وتطورها تاريخياً إلى ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى :

تتلخص في أن الحاخامات تنبأوا بقرب ظهور نبي جديد — كما مر — فاستشعروا بخطر ذلك ، ولما ولد المسيح عليه السلام وبدأ دعوته ، آمن له الكثير من الناس فتأكد الخطر لديهم لأنه (أخذ يبشر بزوال هيكل سليمان بحيث لا يبقى حجر على حجر لا ينقض)^(٣) وأهم هذا كله (هيرودس الثاني) فدعا إلى إنشاء جمعية سرية باسم « القوة الخفية » وكانت مهمة هذه الجمعية تتلخص في التخلص والقضاء على المسيحية وأتباعها ، وأسندت رئاسة الجمعية إلى الملك المذكور .. كما تم تكوين مجلس سرى أعلى ليكون له مهمة الإشراف على عمل هذه الجمعية ومباشرة تنفيذ مخططاتها ، وفي اليوم العاشر من أغسطس عام ٤٣ م عقد الاجتماع السري الأول للمجلس في أحد أبنية قصر الملك « هردوس » وكان أول شيء اتجه تفكيرهم إليه تسمية مكان الاجتماع .. ! فسموه « هيكل » تخليداً لهيكل سليمان الذي تنبأ المسيح عليه السلام بتقويضه .

يقول هردوس في تبرير إنشاء هذه الجمعية : « لقد علم الخاصة والعامة ما أحدث ظهور الدجال يسوع^(١) من الانقلاب الروحي والزمني والسياسي عند الشعوب ولاسيما في طائفتنا الإسرائيلية ... انتحل لنفسه اسم يسوع الناصري ملك اليهود وما هو إلا صعلوك دجال ادعى أنه حُبل به بقوة روح إلهية وولد من عذراء هيهات أن نسلم بألوهية أو بكونه المسيح الذي ننتظره ... وأخيرا صلبناه ومات ودفناه ونصبنا حراسا على قبره ثم ادعى رجاله أنه قام من القبر ... »^(٢)

وهكذا نظم (هردوس اكريبا) هذه الجمعية وعين الوظائف وبين التزامات المؤسسين متخذًا لذلك كله رموزا فلكية كالنجوم والشمس والقمر « لأنها أدل على القدمية من غيرها » ! ورموزا أخرى تمثل إشارة الجمعية ... إمعانا في السرية ولتكون بمثابة ذكر منهم يذكر بها الآتين بعدهم من الأبناء والأحفاد الذين يرثون أعمالهم ويديرون جمعيتهم كما يقول هيردوس .^(٣)

بذا نموذج لترتيب الوظائف :

| | |
|-------------|---------------------|
| رئيس | الملك هيردوس إكريبا |
| نائب الرئيس | حيرام ايود |
| كاتم سر أول | موآب لافي |

... إلخ وتختلف الوظائف من كاتم سر ثاني ومراقب ومعاون أول ومعاون ثاني إلى الحاجب^(٤) ولم يكتف هذا الرئيس بالتضليل والخداع والكذب على التاريخ بل قال لهم أيضا : « يمكننا بعد ذلك أن نذيع على العالم أن أخانا (حيرام ايود) هو حيرام آبي المهندس الكبير السوري الذي خول له سليمان عليه السلام هندسة الهيكل ... »

(١) يقصد اليهود بالدجال : يسوع المسيح عليه السلام !

(٢) انظر كامل النص في ص ٣٠ - ٣١ .

(٣) الكتاب ص ٣٥ نقلا عن « أصل الماسونية » ترجمة عوض خوري ص ١٠٦ .

(٤) انظر الكتاب ص ٣٤ .

ولسائل أن يسأل : وهل ارتكبت المسيحية جرماً إزاء اليهود ..؟ وهل انتقص المسيح من موسى أو جاء للقضاء على التوراة؟! الحقيقة أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، ويذكر القرآن التوراة بأنها كتاب الله وأنها هدى ونور ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور .. ﴾ — ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناهُ الإنجيل فيه هدى ونوراً ومصداقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴾ ^(١) فعلام الحقد إذن ؟ ليس له مايرره إلا الجبلية اليهودية التي طبعت على الختل والمراوغة !

واستمرت الجمعية في التعذيب والتكيل ورسم الخطط الجهنمية لأتباع المسيحية ، إلى أن أصيب هذا الرئيس بمرض حاد في عينيه فأعماهها ثم نزل داء بجسمه اضطره إلى الاعتزال ثم ماهى إلا أيام حتى فارقت روحه جسده . في أواخر سنة ٤٤ م وآخر كلماته كما يقول حيرام ايود : « حافظوا على السر ، واضربوا على العمل ، اشتغلوا ولا تملو ... » ! .

وتولى الرئاسة العامة للجمعية حيرام . الذى يصفه أتباع المسيحية بأنه الرجل الشيطاني وأنه من سلالة إبليس ! وكان أول شيء عمله أن اقترح على الأعضاء إضافة اسم جديد الى اسم « هيكل أورشليم » هو « كوكب الشرق الأعظم » ليوهم الناس أن النور الحقيقى الذى ينيرهم ويهديهم هو هذا الكوكب « كوكب القوة الخفية » . ^(٢)

رأى حيرام أن المسيحين يتكاثرون في عهده فأخذ مجموعة من أعضاء الجمعية وأخذوا يتجولون في الأرض حتى وصلوا إلى أراضى صيدون (في لبنان) بحثا عن أتباع المسيحية ثم يعودوا في نهاية اليوم ... وجاء المساء وعاد الرجال ولم يعد حيرام وشغلهم ذلك !.. لقد هلك حيرام . لقد أكلت الذئاب « حيرام » وعثر على بقايا

(١) الآيات ٤٤ ، ٤٦ المائدة .

(٢) ص ٣٧ من الكتاب .

من جثته وتعرف عليه أتباعه بخاتمه الفضى محفوراً عليه رسم مطرقة !! (١).
وخلف حيرام « مواب لافى » فى رئاسة الجمعية واستمر فى العمل حتى عام
٥٥ م .

المرحلة الثانية :

تبدأ من سنة ٥٥ م ، وتميزت بإقامة هياكل كثيرة فى مختلف البلدان من أشهرها
هيكل روما ، وكان « للقوة الخفية » يد طولى فى اضطهاد المسيحين وقهرهم ،
ويجوز أن هذه قد دست على المسيحين بعض عملائها وأعضائها ومنهم « بولس »
الذى ساهم فى إبادتهم لما لم يفلح فى أسلوب الهدم من الخارج لجأ إلى أسلوب
آخر وهو الهدم من الداخل حيث أفرغ (بولس) المسيحية من لبابها وجوهرها
ليحل محلها ما يقضى على معتقدها السليم .

يقول (شارلز جنيبير) عن بولس اليهودى الذى اعتنق المسيحية : « إن
بولس ولد فى أسرة يهودية ، وأنه بدأ حياته عدواً سفاحاً لدم المسيحين . فهو
أمشاج من الفكر اليهودى والرواقى ... وإنه أخرج ملة عيسى من ثوبها الطبيعى إلى
ثوب جديد فهو الذى :

— بدل وصف عيسى من ابن الإنسان الذى كان يطلقه الحواريون عليه ، إلى
ابن الله .

— ألغى اختصاص ملة عيسى بشعبة اليهودى . وسمح للمشركين عامة الدخول
فيه .

— ألغى شريعة موسى فى الختان وكثيراً من الشرائع إرضاءً للجدد من
المشركين وبقية المجتمع اليونانى . (٢)

إن الماسونية القديمة ، أو اليهودية العالمية وراء الكثير من الخلافات التى
شتت أمر المسلمين ومزقت وحدتهم :
أمثلة تاريخية : — كعب الأحبار وراء فتنة الظاهر والباطن ، وفتنة الجبر

(١) ص ٣٨ من الكتاب .

(٢) الكتاب فى ص ٣٩ وما بعدها نقلاً عن د / روف شلبى « يأهل الكتاب تعالوا » ص ١٠٢ .

المطلق والاختيار المطلق .

- جهم بن صفوان ، بطل ادعاء الجبر المطلق .
- غيلان الدمشقي بطل ادعاء الاختيار المطلق .
- الجعد بن درهم أجمع جنود المشككين .

هؤلاء وإن لم يكونوا يهوداً ، فمرددون مابوق به اليهود ، شعسروا بذلك أم لم يشعروا ، يتضح هذا جليا إذا علمنا أن هذين المذهبين في نفى القدر وإثباته هما مذهب (الأبيقوريين) القائلين بجزية الإرادة ، ومذهب (الرواقيين) القائلين بأن الإنسان مسير لاخير ، وهما مذهباً اليهود .

والمؤرخون يرون في صدد فكرة خلق القرآن سلسلة يصل سندها إلى لبيد بن أعصم اليهودي القائل بخلق التوراة ! والبعض يرى أن الجعد أخذ الفكرة عن إبان بن سمعان عن طالوت بن أعصم عن عمه لبيد . وقيل إن أول من نشر في المسلمين دعوى الخلق : المغيرة بن سعيد العجلي من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي . فالفكرة يهودية من أكثر من وجه^(١) ، وصدق الله إذ يقول :
— ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾^(٢)

— ﴿ يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾^(٣)

— ﴿ من الذين هادوا يجرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾^(٤)

المرحلة الثالثة :

يحددها بعام ١٧٧٠ م ولیم كار صاحب كتاب « الدنيا لعبة إسرائيل » ويشاركة في هذا التحديد كثير من الكتاب الذين يرصدون حركات الماسونية

(١) الكتاب ص ٤٢ وفي الكتاب أمثلة أخرى ! .

(٢) آل عمران / ٦٩ .

(٣) آل عمران / ٧١ .

(٤) النساء / ٤٦ .

ويتابعون مخططاتها على رقعة فسيحة من أرض المعمورة ، وتلخيص هذه المرحلة كالآتي :-

أ — « آدم وايزهاويت » مسيحي ، وأستاذ لعلم اللاهوت في جامعة (أنفولد شتات) الألمانية ، ارتد وتقمص الإلحاد . فاتصل به كبار (الماسونية) في ألمانيا عام ١٧٧٠ م فكلفوه بمراجعة « بروتوكولات حكماء صهيون » القديمة وإعادة تنظيمها على أسس حديثه^(١) والمهدف ليس محاربة المسيحية ! بل الأمر — في هذه المرة — أكبر من ذلك وهو : وضع خطة للسيطرة على العالم عن طريق فرض الإلحاد على البشر جميعا !! وأنهى « وايزهاويت » مهمته في عام ١٧٧٦ م كما يقول وليم كار . ويقوم المخطط الذي رسمه على :

- ١ — تقويض الأديان السماوية وتدمير جميع الحكومات الشرعية .
- ٢ — تقسيم « الجويم » إلى معسكرات تتصارع فيما بينها بشكل دائم .
- ٣ — تسليح هذا المعسكرات بعد خلقها ثم بتدبير حادث يكون نتيجته أن ينقض كل معسكر على الآخر .
- ٤ — بث سموم النزاع والشقاق داخل البلد الواحد ... ثم :
- ٥ — الوصول إلى النتيجة شيئا فشيئا ... وفعلا :
- سقطت الحكومة الشرعية في فرنسا — كما سنرى — .
- سقطت الحكومة الشرعية في إنجلترا .
- سقطت دولة القيصرية في روسيا .

وفشى الإلحاد في أبناء كثير من هذه الدول ، فقام دارون وفرويد .. وتتلخص بنود المخطط فيمايلي :-

- ١ — استعمال الرشوة بالمال والجنس أو الشذوذ الأخلاقي — إذا لزم الأمر — مع الأشخاص الذين يشغلون مراكز حساسة سواء أكان ذلك في

(١) ص ٤٥ من الكتاب نقلا عن « الدنيا لعبة إسرائيل » وليم كار ص ١١ وكتاب أحجار على رقعة الشطرنج ترجمة سعيد جزائري ص ١٥ .

المجال العلمى أو الاقتصادى أو السياسى .

- ٢ - توجيه الضحية إلى العمل للماسونية وغرس الاستهتار بالقيم الدينية .
- ٣ - السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة لاستخدامها كسلاح فتاك لنشر الأخبار المشبوهة والمختلقة ... إلخ . وتوفى (آدم وايز هاويت) الرأس المفكر عندهم فى عام ١٨٣٠ م .

ب - وكان الاجتماع المفاجىء الذى دعت له المحافل عام ١٨٣٤ الذى قرر اختيار الزعيم الإيطالى (مازينى) خلفا (لآدم وايز هاويت) . وفى عام ١٨٤٠ م استطاع المحفل الماسونى العالمى أن يضم إلى عضويته الجنرال الأمريكى (ألبرت بايك) الذى سرح من الجيش الأمريكى ومعه قواته من الجنود لارتكابهم فظائع وحشية تحت شعار الأعمال الحربية ، ونجحت الماسونية فى استغلال حقه وغضبه - لماحل به من جراء تسريحه - لخدمتها ! حتى أصبح المشرف الأول والمخطط لهم فى تنفيذ برامجهم .

فاستقر (بايك) فى مقر هادىء بمدينة صغيرة فى أمريكا هى لیتل روك واعتكف من ١٨٥٩ - ١٨٧١ م فقام فى هذه المدة ^(١) بدراسة مستفيضة لمخططات (وايز هاويت) ثم وضع مخططاته على ضوءها ..

مخطط « بايك » العالمى :

وهو المخطط الذى خرج به بعد سنوات الاعتكاف فى قصره فى لیتل روك ، فبدأ أولاً بما يلي :

- أ - ١ - إعادة تنظيم المحافل الماسونية .
- ٢ - أسس ثلاثة مجالس مركزية عليا ، مقر الأول فى بلدة (شارلستون) فى الولايات المتحدة ، والثانى فى (روما) والثالث (برلين) .
- ٣ - عهد إلى (مازينى) بتأسيس عشرين مجلسا تحت إشراف المجالس العليا الخاضعة بدورها للمحفل الأعلى ويختص كل مركز بمنطقة معينة بحيث تغطى كل المناطق الهامة فى الكرة الأرضية .

(١) ١٢ سنة تخطيط قاعتهروا !!

ب — أقر ونظم بتنى (النورانين) لحركات التخريب العالمية الثلاث المبنيه على الإلحاد المطلق وهى :

— الشيوعية ٢ — الفاشستيه ٣ — الصهيونية .

ج — الإعداد لحروب عالمية ثلاث :^(١)

١ — الأولى للإطاحة بالحكم الملكى فى روسيا ، وجعل تلك المنطقة من العالم : العقل المركزى للحركة الشيوعية .

٢ — الثانية تؤمن لاجتياح الشيوعية العالمية لنصف العالم بما يمهّد للمرحلة التالية .

٣ — الثالثة وتتصدى فيها الصهيونية السياسية للزعماء الإسلاميين فى العالم الإسلامى وشنها حربا على الإسلام ...

إن هذه المخططات التى وصفها بايك كانت تتم تحت ستار من التكتّم الشديد وتحت غبش الظلام وهذا على مرعهود الماسونية !

* — يقول « مازينى » إلى مساعده اليهودى « برايد نشتاين » : .. إن الماسونية من الدرجات ٣٢ — ٣٣ مجهلون ما يدور فى محافل الشرق الأكبر ، أو فى مجالس الماسونية المركزية العليا التابعة لتنظيم الجنرال بايك .

* ويقول : « ويجرى تدريب النساء اللواتى ضمنتهن المؤامرة إلى صفوف شبكاتهما .. !!

* والآن ماموقف الماسونية من الأديان ← ؟

الماسونية والأديان

* — يقول الأستاذ « كولفين » فى محفل منفيس بلندن :
« إننا إذا سمحنا ليهودى أو مسلم ، أو لكاثوليكي ، أو لبروتستانتى بالدخول فى أحد هياكل الماسونية ، فإنما ذلك يتم بشرط أن الداخلى يتجرد من أضاليه

(١) ص ٥٣ — ٥٤ من الكتاب .

السابقة ويجحد خرافاته » .

* — تقول النشرة الألمانية بتاريخ ١٥ كانون الأول سنة ١٨٦٦ م .

« ليس فقط يجب على الفرماسون أن لا يكثرثوا للأديان المختلفة ، ولكن يقتضى عليهم أيضا أن يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالإله أيا كان » (١)

نخرج من النصين : بأن الماسونية لاتهم بالأديان جملة ، ولاتعيرها أدنى التفات .. لكن : كيف نوفق بين أقوالهم هذه ، وبين ما نجد في بعض نشراتهم التي يعلنونها للناس من تكرار لفظ « الإله » وترديده في قسمهم؟! إن الإجابة على هذه المعميات نجدها واضحة في النشرات السرية التي لا يتطلع عليها إلا الخاصة منهم ! — تقول اللائحة النهائية للمجمع الرسمى للماسونية الهولندية : « ليست الماسونية سوى نكران جوهر الدين ، وإن قال الماسون بوجود الإله فإنهم يريدون به الطبيعة وقواها المادية ، أو جعل الإله والإنسان واحد » (٢)

— ومن نص آخر : « والإنسان من جنس الله وروح الإنسان من روح الله ، والروح غير منقسم فنحن البشر نؤلف الكل الذى يقوم به الكائن العظيم وكل شىء يرجع إلى هذا الوحي نحن إله ! » (٣)

. إن ماتقول به الماسونية ليس جديداً ، فهو نفس الشىء الذى قالت به البوذية قديما والتي لاتجعل فرقا بين الله والإنسان الأمر الذى جعل « ويسمويت » الألمانى يقول عند شرحه للدرجة العليا من الماسونية : « كل شىء هو مادى ، فالله والعالم ليس إلا شيئا واحدا ، وجميع الديانات هي خيالية غير ثابتة اخترعها الرجال ذوو المطامع .. ا » قال « ويسمويت » هذه الكلمة فتلقفها منه « ماركس » التلميذ المخلص للماسونية العالمية وأخذ ينادى بها ويعلنها في كتابه ويقرر هو الآخر « ما الديانات إلا صناعة بشرية » .

(١) النصين في « السر المصون في شريعة الفرماسون : للأب لويس شيخو ، نقلا عن الكتاب .

(٢) المصدر السابق .

(٣) السر المصون ص ٣٦ — ٣٧ .

تباين الماسونية في حقيقة الإله : -

تتفق الماسونية في الإلحاد ، والتجديف في حق الله سبحانه وتعالى . وإن كانت المحافل والهيكل الماسونية تتباين وتغترق في حقيقة الاعتقاد (أ) فإذا رأيت بعض المحافل - كما مر - وحدة الوجود وأن الكون والإله شيء واحد ...

(ب) فإن بعض المحافل تسمى « الإله » « ادويزام » وهو « ازيريس » إله المصريين القدماء . ، و « ميترا » إله الفرس ، و « بافوس » إله الرومان أو أحد الآلهة المتعددة الذين كانوا في سالف الزمان يمثلون الشمس أو القمر أو النجوم أو بعض الجن أو الملائكة ... وإذا تصفحنا كتاب « كرسنامسيدو » عن الماسونية وتعاليمها نراه يقول :

* « الماسونية هيكل عظيم كهيكل رومية القديم ، تحفل بجميع الآلهة فترحب بهم ... »

* « ويقول « دى فرنيك » أحد زعماء المحفل السكوتلندي : « إن إلهنا ليس به اسم مخصوص فهو مهندس الكون العظيم » .

* وقال آخر « إن اسم مهندس الكون عندنا اسم بلا مسمى .. إن الطبيعة هي الله » .

ومارددته الماسونية وتردده ، قد سبقهم أجدادهم إذ قالوا ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نهلكنا إلا الدهر ﴾ (١)

(ج) وهناك بعض المحافل تدين بالولاء للشيطان وتتخذة إلهاً !! ، قالت جريدة الملحد لسان حال الماسونية في « ليفورنة » : « إبليس هو رئيسنا .. » !

* ويقول الجنرال بايك الكاهن الأكبر لعقيدة الشيطان : « والحقيقة الفلسفية الخالصة هي أن الله والشيطان إلهان متساويان ولكن الشيطان هو إله النور والخير

(١) / ٢٤ الجانية .

وهو الذى مازال يكافح منذ الازل ضد الله إله الظلام والشر » (١)

إن الذى نادى به هؤلاء لم يقل به حتى إبليس الذى اعترف بأن الله خالقه ﴿ قال أنا خيرٌ منه خَلَقْتَنِي من نارٍ وخلقته من طين ﴾ (٢) ويخاف عقاب ربه ! ﴿ ... فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ (٣) والشيطان لا ينكر البعث ﴿ قال ربى فأنظرنى إلى يوم يعثون ... ﴾ (٤)

الماسونية والمرأة

الحقيقة أن الماسونية تعرف قيمة المرأة لا كزوجة وأم وأخت وربة بيت ، لأن هذا لم يخطر لها على بال ، وإنما لتحقيق الكثير من أهدافها الهدامة ، فهى عند الماسونية سلاح قوي يقنع الرجال ويلوى أعناقهم ويلغى عقولهم .. من هنا كان اهتمام الماسونية بالمرأة، أو بالجنس على وجه التحديد .. أقامت معابده ومهدت لطالبيه .. والمتصفح « لتوراتهم » المحرفة يجد الجنس هو الطابع المسيطر عليها والذي يشغل الكثير من صفحاتها . ويعجب المرء من دعواتهم العريضة واتهامهم الأنبياء بجرائم .. فداود عليه السلام يسطو على زوجة ابنه ! ، وسليمان النبى الرسول ، يقتل قائده ليظفر بزوجته الجميلة .. ولوط عليه السلام يضاجع ابنتيه ..

وفى هذا العصر الحديث من أوائل من روج لأفكار الفساد ، ودعى للإباحية وطالب بإشاعة الرجس ... الماسونى اليهودى « ليون بلوم » (٥) الذى خطط مع مجموعة من الماسون للثورة الفرنسية وعندما نجح مسعاهم طالبوا بفصل الدين عن الدولة ... وعملوا على نشر الإباحية فى فرنسا وأخرجوا النساء من بيوتهن ... ولهذا الأفك كتاب يسمى «الزواج» يعد من أقرر كتب الجنس والدعوة إليه .. فدعا إلى :

(١) الماسونية أحمد عبد الغفور عطا ص ٤٩ .

(٢) ص / ٧٦ .

(٣) الحشر آية ١٦ .

(٤) الحجر / ٣٦ .

(٥) ليون بلوم تولى رئاسة الوزارة الفرنسية ١٩٣٦ وهلك سنة ١٩٥٠ وهو يهودى من بلغاريا .

- (١) دعوة الشباب والفتيات إلى الرذيلة .
- (٢) مطالبتهم بتعجيل قضاء رغباتهم الجنسية بمجرد الإحساس .. !
- (٣) تهوينه من الأخلاق والمثل .
- (٤) السخرية من الأديان والرسل .
- (٥) تحطيم رباط الأسرة « الزواج » .
- (٦) تنفير النساء من الحمل والولادة ..

الحقيقة التي توصل إليها علماء الاجتماع من جراء اتباع الدعوة الهدامة للماسونية .. أن أمم الغرب فقدت الحياء وغلبتها الفواحش ، وعليه ترى الشباب .. وأوشك النسل أن ينقطع !

* يكتب القاضي « ابن لندسي » الذي قد أتيح له الاطلاع الواسع على النشء الأمريكي لكونه رئيسا لمحكمة جنايات الصبيان كتابه « تمرد النشء الجديد » : « إن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهم قبل الأوان ومن السن الباكرة يشتد فيهم الشعور الجنسي إن ٤٩٥ بنتا من المعاهد الثانوية جربن العلاقة الجنسية ولم تحمل منهن إلا ٢٥ .

* الدكتور « ادith هوكر » في كتابه « القوانين الجنسية » « إنه ليس من الغريب الشاذ حتى في الطبقات المثقفة أن بنات سبع أو ثمان سنين يخادن لداهن من الصبية ... » ! .

* وكتب « إميل بوريس » الفرنسي تقريره الذي قدمه إلى الجلسة العامة الثانية لرابطة منع الفواحش !!! جاء فيه : —
— هذه الفوتوغرافات الداعرة تصيب أحاسيس الناس بأشد ما يمكن من الهيجان والاختلال ... » .

* يكتب الدكتور « هوكر » الأمريكي : « إنه لانزال تحدث في المدارس والكليات حوادث تسافح الولدان من الجنس الواحد فيما بينهما وقد تلاشى أو كاد — ميلهم إلى الجنس المخالف » !

« ونختم بمقتطفات من قول العالم الإسلامى الكبير أبو الأعلى المودودى : « إن أول ماجر على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم اضمحلال قواهم الجسدية .. إن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم وتعبد الشهوات يكاد يأتى على قوة صبرهم وجلدهم .. فمن أوائل القرن العشرين لايزال حكام الجيش الفرنسى يخفضون مستوى القوة والصحة البدنية فى المتطوعة للجند الفرنسى ... إن عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة إعفاءهم من العمل وبعثهم إلى المستشفيات فى السنتين الأوليين من الحرب العالمية الأولى لكونهم مصابون بالزهري ٧٥ ألفا .. » (١)

٣ — مصادر الفكر الماسونى

من أين استقى الماسون أفكارهم السابقة .. ؟ فى الألوهية ، وفى الأديان ، وفى المرأة .. أهو من التوراة التى وصفها الله بقوله ﴿ فيها هدى ونور ﴾ ١٢ أم أن الأمر قد طال بينهم وبين التوراة بعد أن حرفوا وبدلوا وتمردوا !

إنهم يقولون ويعلنون .. إنه التلمود ! فما هو التلمود بإيجاز .. ولنستعرض بعض نصوصه ..

« تلمود » مستخرجه من كلمة « لامود » التى تعنى : تعاليم .
وفى الاصطلاح : الكتاب الذى يحتوى على التعاليم اليهودية ، ويرى « الرابيون » جمع — رابي — وهو رجل الدين اليهودى : أن موسى عليه السلام هو المؤلف لهذا الكتاب (٢) ، وهو قسمان :

(١) المشناه ← Mishnah وهو الأصل « المتن » .

(٢) جمارا ← Gemara : شرح مشناه وتقرر دوائر المعارف وبعض رجال الفكر المسلمين والمسيحيين وكتب اليهود .. أن : —

مشناه أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة جمعها يهوذا هاناس

(١) وانظر المرأة فى التلمود ص ١٢ من هذا التلخيص .

(٢) ص ٨٢ من الكتاب نقلا عن « فضح التلمود » بقلم الأب آي بي براناتيس إعداد زهدى الفاتح ص ٢١

فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠ م أما جمارا « فائنان » :

جمارا أورشليم « فلسطين » : وهو سجل للمناقشات التي اجراها حاخام فلسطين لشرح أصول المشناه وتاريخ جمعه عام ٤٠٠ م وجمارا بابل : وهو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه وتاريخ جمعه سنة ٥٠٠ م تقريبا .

فمشناه « شرح جمارا أورشليم » يسمى : تلمود أورشليم .

ومشناه « شرح جمارا بابل » يسمى : تلمود بابل . وكلاهما يطبع على حده .

ولنستعرض الآن بعض نصوص التلمود لنلمس مدى الزيف والتضليل الذي ينساق إليه هؤلاء الناس ويريدون للبشرية كلها السقوط في الهاوية : إله التلمود / المسيح في التلمود المسيحي في التلمود غير اليهود في التلمود / وأخيرا .. المرأة في التلمود : —

(١) إله التلمود : قال التلمود يقسم « إله » النهار على اثنتي عشرة ساعة . في الساعات الأولى الثلاث يجلس « الله » ويدرس الشريعة ! وفي الساعات الثلاث الثانية يدين الشعب وفي الساعات الثلاث الثالثة يغذى العالم بأسره ، وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع اللائنين ملك الأسماك ! ... » ثم يقول التلمود « إن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة .. ثم يصرخ : الويل لي لأنني تركت بيتي ينهب وهيكل يجرق ، وأولادي يشتتون .. إن الله تعالى — قد تاب عن تركه بنى إسرائيل يرتطمون في الشقاء .. ولذلك فإنه يهمر كل يوم « دمعتين سخينتين في البحر .. »

إن إلههم هذا يخطيء ويصيب ويلطم خديه ، فهو الذي أو جدوه في مخيلتهم وصنعوه على صورة عجل له خوار !! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

(٢) التلمود والمسيح .. قال التلمود « إن يسوع الناصري موجود في لجاب الجحيم بين الزفت والقطران والنار وإن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا مباشرة الزنا ، وإن الكنائس بمقام قاذورات ، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة .. » .. الخ .

(٣) ويقول التلمود عن المسيحي : « قتل المسيحي من الأمور الواجب تنفيذها .. وأن الواجب الديني أن يلعن اليهودي ثلاث مرات المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل .. » ثم يقول « قتل النصراني من الأفعال التي يكافئ الله عليها .. وواجب عليه — أي اليهودي — أن يتسبب في هلاكهم .. ».

(٤) موقف التلمود من غير اليهودي يقول التلمود : « إن اليهودي أحب إلى الله من الملائكة ، فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء » III ويقول : « ... أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات »^(١) ويقول الرباني « أيدل » : « إن غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري ! »

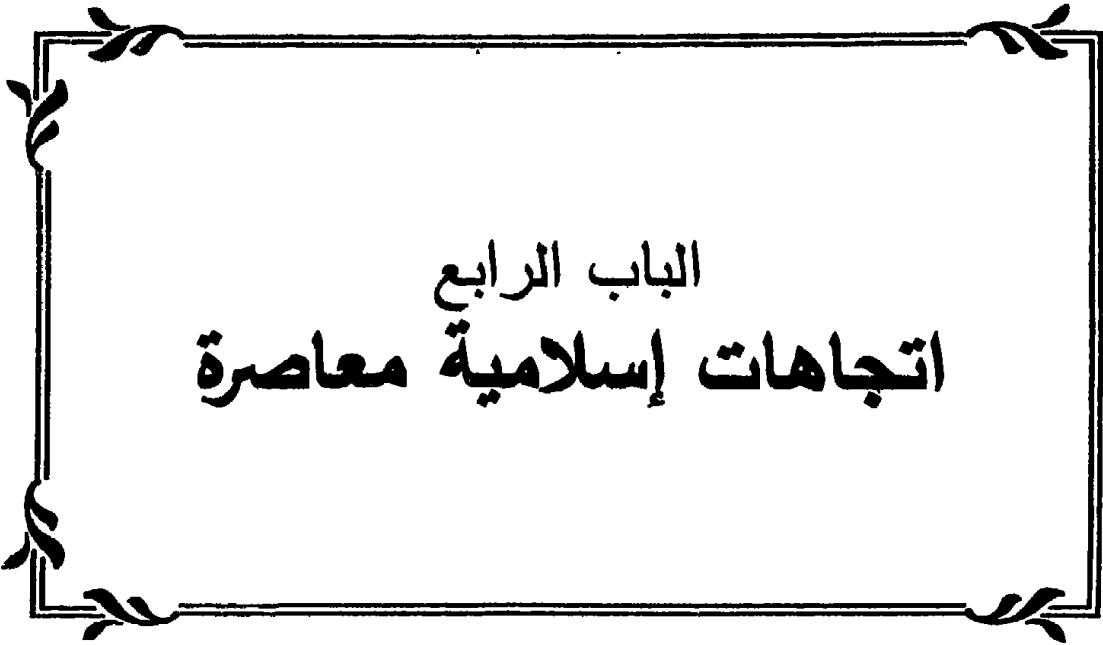
(٥) التلمود والمرأة : قال موسى « لاتشته امرأة قريبك ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت » . والتلمود يعلم أتباعه أن ارتكاب الفحشاء حرام على اليهودي مع امرأة القريب فقط أما : نساء الأجانب فمباحة له ! يقول : راشي ، ولاوي ، وجرش ، وهم ربانيون : — « إن اليهودي لا يرتكب الفحشاء عندما يفض بكاراة فتاة نصرانية » !!

ويقول الرباني تام : « إن تجارة البغاء بالأجنبي أو الأجنبية ليست إثمًا لأن الشريعة هي براء منهما »^(٢) ويقول التلمود : « إن من يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع أمه يمكنه أن يصير حكيمًا لأنه جاء في سفر الأمثال : دعوت الحكمة أما » III

والله المستعان ! على ما يصفون !

(١) Tr. Berach 4,F 230

(٢) همجية التعاليم الصهيونية : بولس حنا .



الباب الرابع
اتجاهات إسلامية معاصرة

الباب الرابع

اتجاهات إسلامية معاصرة

مقدمة :

لاجرم أن الحديث حول « الاتجاهات الفكرية الإسلامية » المعاصرة جد عسير .

فنحن بين مخافتين :

— مخافة الصدق والصراحة التي قد يظن معها ميل عن إحدى الاتجاهات أو ميل إلى الأخرى — ومخافة الكتمان الذي معه جزاؤه ، أو مايقرب من الكتمان ، ماقد قد يكون معه اللبس أو الغموض أو التميع .

وإذ أتيح لي عمليا ونظريا — الاقتراب من كل الاتجاهات الإسلامية القائمة على الساحة ، وإذ نحن في صدد دراسة علمية موضوعية ، وإذ نبتعد عن التجريح المباشر قاصرين النظرة الفاحصة القائمة على التقويم والتوجيه .

وإذ عاهدنا الله أن نعيش (بضمير) القاضي ، و(فكر) المعلم ، وقصد الباحث عن الحق المستمسك به والمنافع عنه — فإننا نخوض بإذن الله غمار هذا البحث مستمدين العون والتوفيق من الله ، قاصدين به وجه الله ومرضاة الله والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وسوف نحاول بإذن الله في البداية أن نعطي سمات الدعوة المعاصرة بوجه عام ، كما نحاول بإذن الله أن نبين الاتجاهات المختلفة على الساحة ، ثم ماينتظر من هذه الدعوة في مواجهة الغزو الفاجر .

الفصل الأول سمات عامة للدعوة المعاصرة

المبحث الأول سمات سلبية

- (١)
١ — دين بلا دولة :
أو دعوة بغير دولة :

هذه سمة تاريخية إن صح التعبير
إنه بعد أن قامت دولة الإسلام في المدينة صارت لها ثلاث سمات

- إقامة الصلاة .
— إيتاء الزكاة .
— أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

* وإذا كان لنا أن نقرب المعنى بلغة العصر .. فقد قامت دولة : — تقيم
شرع الله

« الذى يقوم بإقامة الصلاة ، أو الذى ترمز إقامة الصلاة إلى إقامته »

— تقيم التكافل الاجتماعى

« الذى يقوم بإيتاء الزكاة ، أو الذى يرمز إيتاء الزكاة إلى إقامته »

— تقيم التكافل السياسى

(١) كان هذا عنوانا لمقال صدر فى ملحق جريدة المدينة لنا إبان انعقاد المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة عام ١٣٩٦هـ ربيع أول (١٩٧٦ م) .

« الذى يقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو الذى يرمز الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى إقامته » .

وبتعبير آخر :

قام الدين ، وقامت الدولة .

أو قامت الدولة لتقيم الدين ..

وإذا كانت الدعوة إلى الله هدفاً فى ذاته ، فقد صار أحد أهداف الدولة بأن صارت من مهماتها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ولذا جاء النص ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾^(١) .

* وبقيت الدعوة إحدى سمات الدولة ، بل إحدى مهماتها بل أحد أهدافها أو غاية من غاياتها ، وحدث ما حدث للدولة على مدى ألف عام .

وشيثاً فشيئاً تخلت الدولة عن مهمتها .. وكان أول ما تخلت عنه الدعوة وبقى (المجتمع) قائماً بواجب الدعوة ...

وكان آخر ما تخلت عنه الصلاة .

ليصح الأثر الكريم « تنقض عرى الإسلام عروة عروة أولها الحكم وآخرها الصلاة » .

* وكما عشنا أفراداً .. دينا بلا دولة .

فقد عشنا مجتمعات .. دولة بلا دين ..

كان هذا هو الواقع ، وإن قامت نصوص خادعة « دين الدولة الإسلام .. » « الشريعة مصدر رئيسي ، الشريعة هى المصدر الرئيسي » .

كان هذا هو الواقع .. لأن تجزئة دين الله لا تجوز ، ولأن تجزئة دين الله تخرم الشرعية الإسلامية وإن صلى المجتمع وصام وزعم أنه مسلم .

(١) الحج آية ٤١ .

كان هذا الواقع .. لأن تعطيل حكم واحد يستوجب حرب الله ورسوله فما
بالنا إذا عطلت أحكام وأحكام .. وإن امتد العدوان بعد الفكر إلى العقيدة ، وبعد
العقيدة إلى الأخلاق ، ومع هذا وذاك هدم للنظام السياسي الإسلامي ، وهدم
للنظام الاقتصادي الإسلامي ، وتخريب للنظام الاجتماعي الإسلامي .
* واقترب هذا كله ، بأكبر جريمة عرفت في تاريخ الإسلام والمسلمين هو
إلغاء الخلافة .

.. وقد جاء هذا الإلغاء بعد الفشل الذريع الذي منيت به الحملات الصليبية
التسع ، ومع القرارات الخطيرة التي اتخذت لغزو الأمة الإسلامية عسكريا
بالاحتلال ، وفكريا وعقديا بالتبشير والاستشراق ، ثم بتطويرهما إلى أساليب
حديثة عالجنها في غير هذا المكان .

وانفرط العقد الإسلامي ، مع انفرط عرى الإسلام
وقامت بدلا من دولة الإسلام ... دويلات ودويلات
وقامت بدلا من شعارات الإسلام .. شعارات التقدم والتحضر
والعلمانية والقومية والوطنية والديموقراطية والاشتراكية .

* وضل الناس في غياب الدعوة .

وزاد الضلال بغياب الدعاة .

وطالت غيبة الدعوة بطول سقوط الدولة ، ثم بضعف الدعاة ، ثم تفرقهم ثم
قصورهم وتقصيرهم ، وأخيرا حرب دعاة جهنم لدعاة الجنة حربا ضروسا
لا هوادة فيها وهذه بقية السمات نتناولها بالتفصيل والله المستعان .

٢ — ضعف الدعوة وضعف الدعاة :

— ضعفت الدعوة لما تخلت عنها الدولة ..

— وضعف الدعاة لما صاروا موظفين .. وينتظرون الدرجات ، ويقبضون
من أعدائهم المرتبات ، وينتظرون منهم — أحيانا — النياشين ، ويغشون مجالس
الكبراء والحكام وأحيانا المستعمرين .. يضيفون بذلك على وجودهم شرعية

زائفة ، ويشاركون معهم أحيانا ولو بالكلمة أو الفتوى ظلمهم وطغيانهم ، ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يُكلمهمُ الله يوم القيامة ولا يُزكِّيهم وهم عذابٌ أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾^(١) .

* .. ليست هذه صورة خيالية ، ولا هي تأويل ماجاء في آيات الله ، وإن كانت حقا كل الحق وصدقا كل الصدق ، لكنها من بعد ذلك واقع أليم ، عشناه ونعيشه في قرننا الأخير بعد أن ولت خير القرون .

لقد كان في القرون الأولى من قال كلمة الحق لا يخشى في الله لومة لائم . وكان منهم من قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله . كان منها سعيد بن حبير الذى وقف في وجه الحجاج وقال له كلمة الحق . وكان منها أبو حنيفة الذى كان المنصور يخشاه حيا وميتا . وكان منها أحمد بن حنبل الذى ما حاد عن كلمة الحق رغم التعذيب والتنكيل . وكان منها مالك الذى عذب حتى ارتخت ذراعه فما كان يستطيع أن يطبق بها على الأخرى حين يقف للصلاة . وكان منها أبو حارم الذى قال للخليفة .. لقد قهرتم الناس وأخذتم هذا الملك عنوة فلو رددتموه مرة أخرى إلى الناس .

* فخلف من بعد أولئك خلوف ضاعوا وضيعوا باعوا دينهم بدنياهم .. فكانوا في الآخرة من الخاسرين وباعوا دينهم كذلك بدنيا غيرهم . فكانوا في الدنيا والآخرة من الخاسرين .
وشهدنا أولئك ، وهؤلاء .. صورا قمیئة .. وأمثلة مقیئة ...
يضيفون على الفاسدين ألقاب الصالحين ،
ويخلعون على المجرمين حلل المصلحين المتقين .

(١) البقرة آية ١٧٤ ، ١٧٥ .

ويلقبونهم بحماة الإسلام وأمرء المؤمنين .
ويشيعون في الناس الرياء وهو الشرك الخفى ، والنفاق وهو الذى يردى في الدرك
الأسفل من النار .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

* بيد أن الأمة لم تعد قائما لله بحجة ، قانتا آناء الليل ساجدا وقائما يرجو
رحمة ربه ، داعيا إلى الله على بصيرة ، صابرا محتسبا محتملا في سبيل الله ممسكا
بخطام الناس أو يحجزهم بمنعهم من النار .
وهو صنف نتكلم عنه أو بعضه بعد قليل بإذن الله ..
بيد أن هذا الضعف الذى دب في الدعوة .. قد تلاه ما هو أشد وهو ما تعرض له
في الكلمات التى تلى بمشيئة الله .

٣- تفرق الدعوة وتفرق الدعوة :

دعوة الله هي دين الله

والذين فرقوا دعوتهم ، هم الذين فرقوا دينهم ، لست منهم يارسول الله في
شئ .

والذين تفرقوا في دعوة الله شيئا .. كذلك فرقوا دينهم .. لست منهم في
شئ .

وأمثلة الأولين الذين أخذوا بطرف من الدعوة .. وجمعوا عليها الناس ..

وأمثلة الآخرين الذين قالوا ندعو إلى الله ، وأصروا على الفرقة والخلاف. دون
ماداع من الدين إلا حب المناصب والألقاب والزعامات . وهؤلاء وأولئك
يجمعهم قول الله ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ ، إنما
أمرهم إلى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾^(١) .

ويجمعهم كذلك قول الله :

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم
عذاب عظيم ﴾^(٢)

(١) الأنعام آية ١٥٩ .

(٢) آل عمران آية ١٠٥ .

﴿ يوم تبيضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ، فذوقوا العذاب بما كُنتم تكفرون .. ﴾^(١)

وصورة التفرق الأولى تنشأ في كل جانب من جوانب الدعوة جمعيات وجماعات ترفض أن تتعاون فيما بينها ، وميدان التعاون رحب فسيح ، وأمر الله أن ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾^(٢) .

يمكن أن يكون للبر والإحسان جماعات وجمعيات ، وأن يكون لمكارم الأخلاق جماعات وجمعيات ، وأن يكون للعقيدة وتنقيتها جماعات وجمعيات وللسياسة وللرقى بها أحزاب وجماعات ، كل ذلك شريطة ألا تتخاصم فيما بينها وألا يتهم بعضها بعضاً ، وألا يسخر بعضها من بعض ، ولا تظن أو تصف نفسها بالحق والصواب ، وتقذف غيرها بالباطل والخطأ والخطيئة بل وأحيانا بالمروق والخيانة والعدوان .

بل يمكن لهذه جميعاً أن تتعاون فيما بينها لتحقيق تكامل الإسلام ، ولتحفظ لكل جماعة غيبتها وعرضها إن لم تستطع في الوقت المناسب أن تكون معها على خط النار ..

وإلا فسوف تؤكل يوم تؤكل أختها ، وعندما يأتي دورها تقول ﴿ ولات حين مناص ﴾^(٣) .

والصورة الثانية أشد خطورة :

تعلن جماعة عن اعتناقها الإسلام .. دينا ودولة ، مصحفاً وسيفاً شريعة وعقيدة وتأتي أخرى ، فتعلن نفس الإعلان ، أو قريباً منه ، وترفض أن تشترك مع الأولى بمقولة أن فيها أخطاء ، أو أن زعامتها ليست على المستوى العظيم للإسلام العظيم ، أو تخفى في نفسها ما الله مبديه .

(١) آل عمران ١٠٦ .

(٢) المائدة ٢ .

(٣) ص آية ٣ .

إن الأولى تعرضت للمحن والإحزن ، وهي تؤثر السلامة والعافية ، والإقامة في ديار الكفر لغير ضرورة أو مولاة الطغاة والظالمين .

داعين « أن يهلك الله الظالمين بالظالمين ، وأن يخرجهم من أيديهم سالمين » .

مع أن الأخطاء يمكن علاجها ويمكن التوبة منها ، والإصلاح من الداخل أولى وأسرع وآمن من الإصلاح من الخارج . ومع أن الزعامات يمكن تسديدها ، وتقويتها ، وتكتملتها ، والأخذ بيدها .. ومن يدري لو وضع أصحاب « الإسلام العظيم » مكان أولئك المساكين هل يثبتون ويصمدون ويصدقون .

ومع أن المحن التي أصابت الأولين ، تصيب كذلك الآخرين ، ويبقى الفارق أن الأولين أكثر صدقا ، وأكبر ثباتا ، وأبقى على العهد من الآخرين ... ومع ذلك ، فليت الأمر يقف عند ذلك ... إنه بدلا من أن تمضى الجماعة الأخرى .. متعاونة مع أختها الكبرى ، إن لم نقل مع أمها الرءوم التي رضعت منها ، واحتضنتها ، وربما ضحت الكثير من أجل وجودها وبقائها ..

وبدلا من أن تمضى حتى دون تعاون ... والميدان فسيح يتسع للجميع ، وبدلا من أن تجعل الأمر اختلافا لاختلافا ، ومغايرة لامخاصمة فإنها تمضى محاولة تحطيم الأخرى ، واصفة لها بأبشع الصفات ، مرددة اتهامات المستعمرين وأذئاب المستعمرين ، والظالمين وأعوان الظالمين ..

ويقف الناس حيرى ..

أتلك هي الدعوة إلى الله ..

أهؤلاء هم الداعون إلى الله ..

وقد يزلزل الناس في إيمانهم إن لم يتبينوا الغث من السمين ، وإن لم يميز الحبيث من الطيب ، وإن لم يعرفوا الزبدما ينفع الناس .

٤ — قصور وتقصير :

* وقصور الدعاة كثير ..

في مناهجهم ، في وسائلهم ، في أساليبهم .. وبعضهم يصل في القصور حد التنفير ..

وأكثر الأحيان لا يشعرون .

كأنما يضاهئون قوما وصفهم الله ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون ﴾ . (١)
وأحيانا يصل القصور الذى يتسم بالتنفير هذا الحد البعيد .
ومع ذلك هم مخلصون ، أو نقول إنهم مخلصون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .
وأعرف منهم الكثير ، ولكنى أمسك مخافة التجريح والتشهير ، وأخذنا بأدب نبينا العف الأمين .

— وقد لا يكون لهم حيلة فى القصور .

إنهم هكذا صاروا ، منفريين لامبشرين ، معسرين لاميسرين ، وقد كان رسول الله بشيرا قبل أن يكون نذيرا ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ (٢)

وكان كتاب الله « تبياناً لكل شيء ، وهدى ، ورحمة ، وبشرى للمسلمين » .
وكان رسول الله ﷺ ميسراً لامعسراً « ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً » وكان يقول : إذا سئل فى كثير « افعل ولا حرج » وجاء معه كتاب يقول ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ . (٣)
فمن أين يأتى العسر أيها المعسرون ، وهو القائل « لا يغلب عسر يسرين » مشيراً إلى قوله تعالى ﴿ فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ﴾ . (٤)

* الله أكبر فليكيف الدعاة عن التنفير وعن التعسير وليعلموا أن بهم قصورا-
وليجلسوا فى بيوتهم إن لم يغيروا ما بأنفسهم ، فإن الله أغير على دينه منهم ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ (٥) .

(١) البقرة آية ١١ — ١٢ .

(٢) الأحزاب آية ٤٥ — ٤٦ .

(٣) النحل آية : ٨٩ .

(٤) الحج آية ٧٨ .

(٥) الشرح ٥ — ٦ .

(٦) محمد آية : ٣٨ .

هذه كلمة عن القصور « ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه »
« وألد أعدائك نفسك التي بين جنبيك إن قدرت عليها فأنت على غيرها أقدر » .
وكما شهدت القصور شهدت التقصير .

* والتقصير كذلك كثير .. وهو سمة لأكثر الدعاة وسمة لأكثر الدعوات .
ومظهره واضح ..

في التخطيط في زمن يفعل فيه كل شيء بتخطيط ، وفي مقابلة ذلك ترى
وتجد التواكل لا التوكل ، والتكاسل لا الأخذ بالأسباب كما أمر رب المسببات
والأسباب .

. في المناهج ..

— في الوسائل ..

. في الأساليب ..

أمر يطول فيه الحديث ، وربما أفردنا له بحثا غير هذا المكان ^(١)
وأسبابه كثيرة ..

هي أمراض أصابت أو تصيب الدعوة ..

أهمها شح مطاوع .. ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ ^(٢) ومن ثم يؤثر الدنيا على
الدين ، يُؤثر الفانية على الباقية .. فينصرف إليها بكل جهده أو بجمل جهده ،
وينسى ويترك ، أو يعطى عطاء من يخشى الفقر والفاقة .

ومعها هوى متبع .. ﴿ أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ﴾ ^(٣) ولكن كانت
هذه الصورة بعيدة .. إلا أن الهوى يفضي إليها وقد يبدأ الهوى حلالا وقد ينتهي
حراما .

وقد يبدأ شبهات أو هنات ، فتفضي به إلى الكبائر كمن حام حول الحمى يوشك

(١) مذكراتنا للمرحلة الجامعية في المعهد العال للدعوة — مادة « مناهج الدعوة » .

(٢) النساء آية : ١٢٨ .

(٣) الجنائية : ٢٣ .

أن يرتع فيه .:

صورة الأولى .: من يُحب الزوجة أو المال أو غيرها من الشهوات ، حبا يزيد يوما بعد يوم حتى يزيد على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فيتحقق فيه أن يصير وفق قول الرسول ﷺ « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار (ومعهما عبد الريال وعبد الدولار) تعس عبد المرأة تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » (١) أو يصير وفق قول الله ﷻ « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » (٢) أو يقع تحت وعيد الله : ﷻ « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره » وعبد شديد ﷻ « والله لا يهدي القوم الفاسقين » (٣) ثم دمع لهم بالفسق والخروج على دين الله وعهد الله أو يحرم وعيد الله : ﷻ « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والمال ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » ﷻ « قل أُنبيكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورسولون من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا ءامننا فاعف لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » (٤) .

★ وأخيرا .. إعجاب كل ذى رأى برأية ..

وشاءا المرض الخطير مصدر أكثر الخلافات والخصومات والافتراقات وأكثر البلاء .. من هذا البلاء

(١)

(٢) البقرة آية ١٦٥ .

(٣) التوبة آية ٢٤ .

(٤) آل عمران آية ١٤ - ١٧ .

يصل به الإعجاب حد الغرور ، ويفضى به الغرور ويسلمه إلى الغرور ، يرى في الأولى نفسه في كل صورة .

ويرى في الثانية حياته ومستقبله ودنياه وآخرته فيما يزينه له ويمليه عليه ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (١)

﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ . (٢)

﴿ يأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرّبكم الحياة الدنيا ولا يغرّبكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ . (٣)

• — دعاة جهنم ..

تغريب ، وتضليل ،

وإلا فتعذيب وتشريد ، وتقتيل .

.. مع دخول العالم الثالث عهد « الاقتصاد الموجه » Economie Dirigé social dirigé وعرف كذلك المجتمع الموجه وعرف معه السياسة الموجهة Polotiqve Dirigé ومشت الظواهر الثلاثة تميز الفترة المعاصرة التي يعيشها العالم الثالث ..
تماما كما أصبحت الرأسمالية يوما الديمقراطية من الناحية السياسية والحرية من الناحية الاجتماعية لأن الثلاثة نجموا عن شعار : دعه يمر دعه يعمل Laisse 3 PasserlaissezFaire وهو الذي رفعه المذهب الفردي Individuzlism
وبرغم أن الفترة السابقة كانت تتخللها فترات استعمار عسكري ، فلقد كان ذلك الاستعمار حريصا إلى حد كبير على بقاء شعاراته تعمل في مجالاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

(١) البقرة آية ٢٦٨ .

(٢) الحشر آية : ١٦ .

(٣) فاطر آية ٥ ، ٦

ومن ثم فإن الحركات والاتجاهات الإسلامية لم تجد عنتا كالذى وجدته في عصر « التوجيهية » .

والذى يبدو أن التوجيه محلى .. فدول العالم الثالث إذ تأثرت بما يسمى « اشتراكية » راحت تضع أنفها في الأنشطة الخاصة .. الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وأوغلت في بعض البلاد في التدخل ، فكانت مآسى التأميم في المجال الاقتصادي ، وكانت مآسى التكميم في المجال السياسى ، وكانت فضائح الانحلال في المجال الاجتماعى عوضا عن الكبت في المجالين السابقين .

بيد أن الأمر لاينبغى أن يقف عند حد المظاهر .
إن كتابات كثيرة طرحت .. تكشف عن أن حكام العالم الثالث ضاروا « قطعاً من الشطرنج » تتداولها القوى الكبرى تحقيقاً لمصالح الأخيرة وتحقيقاً لأهدافها ، وتأكد ذلك من خلال بعض الوثائق التى تؤكد أن الأمر ليس وليد إرادة حرة اختارت أن تكون شؤماً على شعوبها ، إنما استجابت تلك الإيرادات الضعيفة لإرادات قوية فرضت عليها نظمها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وفرضت معها أن تعيش تلك الدول أشبه بولايات ترتبط بالحكومة المركزية القابعة في البيت الأبيض أو الرابضة في الكرملين » .^(١)

★★ وظهرت في المنطقة الإسلامية طبقة جديدة تنفذ المخطط المرسوم ..
— اقتصادياً يربط اقتصاد البلاد بالكتل الكبرى ، وتحقيق الاحتياج الدائم لها ، ومنع قيام اقتصاد مستقل لها .. وجعلها سوقاً استهلاكية لتوزيع الإنتاج الكبير للقوى الكبرى ، وفي الوقت نفسه مورداً للمواد الأولية وفي مقدمتها البترول ... وبذا يتحقق للدول الكبرى الحصول على حاجياتها من المواد الأولية ، أما ثمن هذه المواد — وهو قليل — فإنها تسترده مرة أخرى مضاعفاً في صورة المواد الاستهلاكية التى تمثل عبئاً على الاقتصاد القومى ولا تمثل دعماً له ، وماقد يتبقى من

(١) راجع ماكتبناه في الباب الأول من هذه المذكرات ، وراجع كتب : لعبة الأمم لـ لايلزكويلاند ، دماء إبراهيم لجيمى كاتزر ، مذكرات إبراهيم كامل وزير خارجية مصر السابق . أحجار على رقعة الشطرنج لغاى كار ..

أرصدة فإنها تودع — طوعا أو كرها — في بنوك تلك الدول الكبرى .. لتدعم اقتصادها من ناحية ، ولتحول تلك القوى دون استخدام هذه الأرصدة في مجال سياسى أو حرى أو اقتصادى لا ترضى عنه تلك القوى .

وحين تفكر إحدى الولايات التابعة في التمرد فإن أقل عقاب لها هو مصادرة تلك الأرصدة التى تمثل بالنسبة لبعض هذه « الولايات » ثروة العمر .

— واجتماعيا برفع شعارات « التقدم » ، و « التحضر » ، و « التحديث » ، و « التغيير الاجتماعى » ...

ومحاولة تغيير قيم المجتمعات الإسلامية إلى قيم هابطة بعيدة عن الإسلام ، وإثارة الاهتمامات التافهة للأفراد والمجتمعات .

ورفع « قيمة » العاهرين والعاهرات ممن أطلقت عليهم ألقاب الكواكب والنجوم ، ومن جرى وضعهم فى مكان « المثل العليا » التى تقتدى بها الفتيات والفتيان .

وجرى « تحديث » وسائل الإعلام المختلفة لخدمة تلك الأغراض « العليا » ومن ثم غزا التلفاز البيوت والشوارع والحوارى والأزقة ، وغزا معه « الفيديو » نفس الأماكن ، وجرى تخفيض أثمان تلك الأجهزة وتحسين أدائها .^(١)

وجرى معه طبع « الأفلام » تستثير الحيوانية الكامنة فى البشر ، وتوجه اهتماماتهم إلى البطن وما حوى ، وتبعدهم عن العقل وما وعى ، وقبله عن القلب وما سما .

وفى البلاد التى لاتسمح تقاليدها — حتى الآن — باستيراد وعرض تلك البضاعة الرخيصة قامت بالمهمة شخصيات وجهات مدعومة لاتخضع للتفتيش ولا للإجراءات ، وجرى تداول تلك البضاعات المحرمة بأروج مما تتداول به البضاعات المسموحة .

(١) فى خير نشر بإحدى الصحف المصرية أن الولايات المتحدة الأمريكية خصصت ١١ مليارا لإدخال التلفزيون الملون إلى مصر .

وسقط الكثيرون في تلك المصيدة ، حتى راحوا إن لم يكن بميل النفس إلى الهبوط فبغريزة حب الاستطلاع وما يستتبعها من غرائز ، راحوا يعرضون تلك الأوضاع المخجلة في حضور أفراد الأسرة .. الأب والأم والأولاد والبنات ، والغريزة تستثير الغريزة ، والدم يتدفق في الأجساد ونداءات العقل والروح تغيب ، ونداءات الشياطين تصرخ وتعلو .

وكانت قمة التدلى مايعرض في بعض تلك الروايات الهابط من رفع للخجل والحياء بين المحرمات .. ومن تهتيك لما بقى من خيوط تلك المحرمات ، فعلمتهم « الدفء الأسرى » الذى شاع في بعض بلاد أوربا حين يجد الأخ متعته مع أخته ، والأب مع ابنته ، والابن مع أمه ...
ماذا بقى؟؟

وشهدت ظلمات السجون ، وساحات المحاكم — في العالم الثالث التعيس — قضايا من هذا القبيل ، يخجل القلم عن الغوص في تفاصيلها الأليمة الأسيفة .

ومع هذا السقوط أو الانهيار الاجتماعى كان التشدد في المجال السياسى .. بفرض الرقابة الشديدة الصارمة على الرأى الحر ، والحيولة دون الرأى الآخر ، وفرض الإرهاب والقسر على الاتجاهات الإسلامية بصفة خاصة ، وبصفة أخص على ماتسم منها « بالأصولية » و « الشمولية » على حد تعبيراتهم .

وشهدت المنطقة من دعاة جهنم .. مالم تشهده من المستعمرين والمحتلين ، وغاصت الأيدى المجرمة في دمء المسلمين ، ولاكت في أعرضهم وحرمانهم بما لم تستبحه الأيدى الأجنبية .

واصطنعت القضايا ، وجرت التمثيليات ، وتسلمت أبواق السوء تصف الصالحين بأنهم إخوان الشياطين ، وتضفى عليهم ما هو وصف لأسيادهم من خيانة وعمالة وتجارة بالدين .

وصرحت بعض الوثائق ، وبعض الأقلام الموثوقة بما وراء ذلك من أهداف

لأعداء الإسلام . (١)

وتحقق ما تنبأ به رسول الله ﷺ في حديث حذيفة بن اليمان حين كان يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه ، فتكلم رسول الله ﷺ عن مرحلة من حياة الأمة يتسلط فيها « دعاة جهنم » يقودونها إلى النار وبئس القرار وذلك حين قال : « دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » . فسأله : صفهم لنا يا رسول الله .

قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بلساننا (٢) وصدق الله : ﴿ ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ (٣)

بيد أن لنا أن نشير إلى أنه في بعض البلاد سبقت محاولة استئصال شأفة الحركات والاتجاهات الإسلامية ، محاولات للاحتواء ، أو للانحراف بهذه الاتجاهات ، لكن الباطل حين يقتل في تلك المحاولات فإنه يلجأ بالضرورة إلى الغشم والجبروت ..

أمر حدث في العصور الأولى (٤) .. ويتكرر ويتجدد في العصور الأخيرة .

....

لكن هل معنى ذلك « قنامة صورة الاتجاهات الإسلامية المعاصرة بما يمكن معه القول بأن مصيرها مصير حركات واتجاهات ظهرت واندثرت ؟ . إن ماقدمنا هو جانب السلب ، ونشير بعد ذلك إلى جانب الإيجاب والله المستعان .

(١) راجع ماكتبناه في (دعاة لابغاة — القسم الثالث — وثائق) وما نشر بجريدة الشرق الأوسط حول أحداث السودان الأخيرة .

(٢) أخرجه البخاري في المناقب ٤ / ٢٤٢ . وفي الفتن ٨ / ٦٥ . وأخرجه مسلم في الإمارة ٣ / ١٤٧٥ رقم (١٨٤٧) .

(٣) إبراهيم ٢٨ — ٢٩ .

(٤) مذكراتنا حول أدب الحوار والمناظر ، حيث عرضنا لمثل تلك المحاولات مع رسول الله ﷺ ، وفي القصة التي روتها السنة المطهرة عن أصحاب الأخلود ، وما سبق الأخلود من محاولات « غسل مخ » الغلام أو إثنائه عن دينه .. كل ذلك يؤكد « رجعية » أسلوب أعداء الله المعاصرين ، كما يؤكد كذلك أن « الكفر ملة واحدة » .

المبحث الثاني إيجابية الحركات والاتجاهات الإسلامية المعاصرة

تقدمة :

طوفنا حول سمات للاتجاهات الإسلامية المعاصرة بأن منها أننا نعيش عصر دعوة بلا دولة ، وأن الدعوة بما انتهت إليه صارت ضعيفة كما أن الدعاة ضعفاء ، كذلك تفرقت الدعوة شيعا ، وتفرقت — معها — للأسف الدعاة ، فضلا عما اتسمت به من قصور وتقصير ، وأخيرا كان تصدى دعاة جهنم للدعوة بما يهدد استئصال شأفتها .

ولقد تبدو الصورة بهذه المثابة قائمة ، لكن رحمة الله غالبية ﴿ورحمتى وسعت كل شيء﴾^(١) فقد طفحت على السطح ثلاثة قوانين ..
تهدد ما كانوا يخططون له ويمكرون ، ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾^(٢) ، ﴿ومكروا مكراً ، ومكرنا مكراً ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾^(٣) ..
أهم هذه القوانين الثلاثة فهي :

- ١ — قانون البقاء للأصلح ، أو قانون الزبد وما ينفع الناس .
- ٢ — قانون لكل فعل رد فعل .
- ٣ — قانون الاستخلاف .

وهذه القوانين الثلاثة أو بعبارة أصح تلك السنن الربانية الثلاثة ، تعمل بلا شك لصالح الاتجاه الإسلامي الصحيح :

أولا : قانون البقاء للأصلح « أو قانون الزبد وما ينفع الناس »

ينتفش الباطل كثيرا ، ويطفو على السطح حتى ليظن الناس أن لا مكان للحق ، ويزداد ظنهم حتى ليكاد أن يبلغ حد اليقين ، حين يجدون هذا الباطل

(١) الأعراف : ١٥٦ (٢) الأعراف : ١٢٧ . (٣) النحل : ٥٠ — ٥١ .

مسلحاً بسلاح العلم ، مسلحاً بسلاح الإعلام الحديث ، مسلحاً بعد ذلك أو مع ذلك بوسائل الإفناء الكثيرة ، مما يورث اليأس في النفوس .. أنى لنا بإزاحة هذا الباطل .. ؟

ويزداد اليأس مع انصراف الكثيرين عن دعوة الله انشغالا بديناهم مهما كانت بسيطة وصغيرة ، ثم مع ازدياد هموم المعيشة وصعوبة الحصول على الضرورات ، ثم مع وجود الانحلال الاجتماعي في صورته التي تتبناها الدولة وتشجعها جهرا وسرا ، وأخيرا مع اتساع دائرة النفاق والمنافقين التي تسبح ليل نهار بحمد الباطل ، مما يورث الناس اليأس من أن يوجد الحق بلسه أن يتمكن .

ويعيش الناس هذه الحالة غالبا عقيب كل ضربة توجه للدعوة الإسلامية وللدعاة المسلمين ، وتنطلق الأمثال محطمة مابقى من نخوة في نفوس الناس ، وينطلق الهلع والجبن حائلا دون ماتبقى من شجاعة الناس ، وسيطر اليأس القائم على الأجواء ويلفها برداء أسود مقيت .

هنا يتحرك الحق .. هنا يتمثل الحق ناموسا ربانيا يحدث كل يوم .. إن الظلام إذا اشتدت حلكته في الجزء الأخير من الليل آذن ذلك بقرب طلوع الفجر .
ويضرب الحق الأمثال ...

وأول مثل نضربه من خلال كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

فالذي ينظر إلى هذه الصورة .. يتصور جوا ملبدا بالغيوم تكتنفه الظلمات وترعد فيه السماء وتبرق .. حتى ليكاد البعض أن يضيق حتى من أصحاب الحق ، أما المبطلون فإن البرق يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا

(١) البقرة ١٩ - ٢٠ .

أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير .

ووسط هذه الظلمات يستئس الكثيرون ، ويغلب عليهم الضيق وتأخذ بخناقهم الظلمات حتى لا يعتقدون من ورائها خيرا ..
لكن الغيث من السماء يهبط صيبا .. يروى الأرض بالخيرات ، ويروى النفوس بالآمال .. فإذا بظلمات اليأس تبدد من النفوس تبدد الظلمات التي صحبت الغيث ، ويبقى الغيث ويبقى الأمل ..
وهو ما تكمله الصورة التالية .

— أما الصورة التالية فيضرب الله فيها المثل يقدم له بقوله سبحانه ﴿ قل من ربُّ السموات والأرض ؟ قل الله . قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾^(١) .

ثم يأتي المثل :

﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبدٌ مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾^(٢) .

وهو مثل شرحناه في مقام آخر^(٣) ويكفينا منه في هذا المقام أنه شبه الباطل المنتفش بالزبد الذي يطفو فوق سطح النهر ، أو بالزبد الذي يطفو فوق سطح الإناء إذا أدخلت بعض المعادن النار ..

(١) الرعد آية : ١٦ .

(٢) الرعد آية ١٧ .

(٣) مذكرات أدب الحوار — طلبة الدراسات العليا — قسم الاستشراق .

أما الحق فهو الماء الذى تحت الزبد أو هو الجوهر الأصيل الذى يغطيه الزبد ،
وهنا يقرر لنا رب العالمين قانون البقاء للأصلح بعد أن يقرر لنا سنته كذلك
يضرب الله الحق والباطل .

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾^(١) .
ويأتى المثل الأخير .. لينهى كل قوة ، وكل بقاء للباطل فيشبه الحق قذيفة .
ويشبه الباطل بكائن له رأس .

فإذا بالقذيفة تصيب أم رأسه فإذا هو زاهق . ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾^(٢) .

فلمن البقاء إذن البقاء للأصلح البقاء لما ينفع الناس البقاء لقذائف الحق
بإذن الله .

وأما الزبد فيذهب جفاء وأما الباطل فيدمغه الحق فإذا هو زاهق ألا فاعتبروا
يأولى الأبصار .

ثانيا : قانون رد الفعل :

أشرنا فى مكان سابق إلى هذا القانون وقلنا أنه لا يعمل فقط فى المجال الطبيعى ،
إنه كذلك يعمل فى المجال البشرى .

وعمله فى هذا المجال هو أن الفعل له رد فعل ، على النحو الذى يسوقونه فى
المجال الطبيعى ، أما فى مجال صراع الحق والباطل ، فإن هذا القانون يتعدل
بالقانون السابق « قانون البقاء للأصلح » كما يتعدل بقانون الاستخلاف فيصير :
« لكل فعل رد فعل أكثر منه قوة وأسرع فى الاتجاه ، مما يؤدي بإذن الله دائما
إلى زهق الباطل وبقاء الحق » .

أما القانون الأخير : فهو قانون الاستخلاف :

وهو قانون صاغته كلمات الله أكثر من صياغة فمرة يقول لنا : ﴿ تلك الدار
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾^(٣)
ومرة أخرى يقول لنا :

(١) الرعد آية ١٧ . (٢) الأنبياء آية ١٨ . (٣) القصص آية ٨٣ .

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (١)

ومرة ثالثة يقول لنا :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ . (٢)

— وتأتى الأخيرة ، مفصلة ، وجازمة ، وحاسمة .. إن الأمر أكبر من أية

أمانى ..

إن الأمر وعد ، ووعد الله حق ووعد الله لا يتخلف ، هذه واحدة .
— ثم إن الوعد جاء بالاستخلاف فى الأرض ، ليس فقط بل وبالتمكين للدين ،
ليس فقط بل وبالأمن بعد الخوف وهذا لعمري قصارى ما يريده أهل الحق ،
وما يتمنونه .

بيد أن للأمر شروط : إيمان ، وعمل صالح ، فى البداية .

وعبادة بغير إشراك فى النهاية .

ولله عاقبة الأمور .



(١) الأنبياء آية ١٠٥ — ١٠٦ — ١٠٧

(٢) النور آية ٥٥ .

الفصل الثانى

اتجاهات متغايرة على الساحة

تقدمة :

تحدثنا عن سمات .. بعضها سلبى وبعضها إيجابى تتسم به الاتجاهات الإسلامية على الساحة ، واستمرارا فى الدراسة الموضوعية فلسوف نعرض لهذه الاتجاهات .. بطريقة موضوعية كذلك ، إيماننا منا بأن ذلك أولى لجمع الصف ، وأدعى للاستجابة للنصح ، وأسن فى اتباع خطى رسول الله ﷺ ، ونستطيع أن نقسم هذه الاتجاهات إلى ثلاثة :

- اتجاهات غالية .. أى فيها إفراط ، إما حقيقة أو هى متهمة بذلك
 - اتجاهات قاصرة .. أى فيها تفريط ، إما حقيقة أو هى متهمة بذلك .
 - اتجاهات أصولية معتدلة .. بعيدة عن الإفراط والتفريط .. بحكم مبادئها وبحكم مواقفها .
- ونسأل الله أن يلهمنا الرشد والتوفيق والحكمة ، ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾^(٢)

(١) عندما كتبنا ما كتبناه فى أساليب الغزو الفكرى (عام ١٣٩٦ هـ) كانت حصيلتنا من التجربة الدعوية ضعيلة ، فضلا عن أن اختلاطنا بالاتجاهات المختلفة كان قليلا كذلك ، وقد زاد بفضل الله هذا وذاك ، فسطرنا ما نحسبه بفضل الله ونعمته

(٢) البقرة ٢٦٩ .

المبحث الأول اتجاهات غالية

« إني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة »
عمر بن عبد العزيز
الموافقات ٢ / ٩٤ .

مقدمة :

نهى القرآن عن الغلو ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾^(١)
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾^(٢)
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾^(٣) .
ونهى كذلك رسول الله ﷺ : « إِيَّامَ وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ »

أحمد والنسائي وابن ماجه

« عليكم من الأعمال ماتطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا »
« إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المنبت لأرضاً قطع ولاظهراً أبقى ، هلك المتنطعون » رواه مسلم
« لاتشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾^(٤)
— ووقع الغلو برغم ذلك وقع من النصارى إذ قالوا على الله غير الحق ، غلوا في المسيح .. فقالوا ابن الله ، وقالوا ثالث ثلاثة .

(١) النساء ١٧١ .

(٢) المائدة ٧٧ .

(٣) الحجرات ٧ .

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب ٥ / ٢٠٩ رقم (٤٩٠٤) والآية ٢٧ من سورة الحديد .

ووقع من اليهود إذ قالت كذلك على الله غير الحق غلوا في عزيز فقالت عزيز ابن الله — يضاهئون هؤلاء وأولئك قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون

ووقع الغلو على عهد عل بن أبى طالب رضى الله عنه رابع الخلفاء الراشدين ، وفى خلال القرن الأول الذى قال فيه رسول الله ﷺ : خير القرون قرنى : واتخذ شعبتين مضادتين :

إحداهما غالت فى حب على إلى حد التشيع .. وتدرجت فى ذلك حتى قدمته على أبى بكر وعمر وعثمان ، واتهمت الثلاثة الكرام بما لاينبغى ، وزادت على ذلك بعضها تكفيرا لمن خالف فى ذلك ، وبلغت فى النهاية حد تأليه على رضى الله عنه ، حتى روى أنه حرقهم فكانوا يقولون : «لايعذب بالنار إلا إله .. أنت أنت الله » .

أما الثانية : فقالت فى كراهية على رضى الله عنه وكل من قبلوا التحكيم حتى قالت بكفرهم وسميت بالخوارج ، لاتخاذهم « الخروج على الإمام » مبدأ من مبادئهم ، ورفعت شعارا قال فيه على رضى الله عنه كلمة حق أريد بها باطل . « إن الحكم إلا لله » .

وتعددت بعد ذلك فرق الغلو ، انقسمت فيما أظن — والله أعلم — إلى :

— غلو فى الفكر .

— غلو فى الاعتقاد .

— غلو فى المواقف .

ولقد يكون أخفها هو الأخيرة ، لأن غلو المواقف .. قد يكون نابعا من غلو فى الفكر ، وغلو فى الاعتقاد أحيانا ، لكنه كثيرا ما قد ينشأ عن عوامل أخرى لاتتصل بفكر أو عقيدة أو بعبارة أخرى قد تملية ظروف يوجد فيها الإنسان تنسم بالقسر والضغط الشديد الذى يخرج الحليم عن حلمه والهادى المنضبط عن هدوئه وانضباطه ..

ومن ثم فإن عودة مثل هذا الإنسان إلى الظروف الطبيعية ، ورفع القسر والظلم والإرهاب عن كاهله يعود ذلك كله به إلى ماكان عليه من توازن أو اتزان .

بيد أن غلو الفكر ، وغلو الاعتقاد قد يرتبطا وقد يفترقا ، وكثيرا مايعقب غلو الفكر غلو العقيدة ، لكن غلو العقيدة قد لايسبقه فكر أو يرتبط به وإنما يتم بما يشبه بالمحاكاة أو بما قالت طائفة أخرى ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون﴾ (١) .

وهنا تساعد الظروف غير الطبيعية على سرعة انتشار الفكر الغالى والاعتقاد الغالى كذلك ، وتساعد على توطيده وتشبيته .

ومن ثم فإن قوما جهلوا عابوا على شباب غلوهم ، هم الدافعون لهم إلى ذلك الغلو بما مارسوه معهم أو مع غيرهم من قسر وإرهاب ، ثم بما وقعوا فيه من تفريط شديد أدى إلى رذ أو لفعل أو أدى إلى تأكيد أوصافهم أنهم فسقة فجرة ظلمة .. وأخيرا كفرة .

وفي الواقع العملى ، فلقد شهدت الساحة الإسلامية غلوا فى التطبيق العقدى ، أو غلوا فى تطبيق فرعى أو غلوا فى المواقف ، ونعرض بشيء لهذه الثلاثة والله المستعان ،،

أولا : غلو عقدى :

نشير بذلك إلى اهتمام البعض بجوانب عقدية يغالون فيها فيرفعون فيها الوصف ، أو يجاوزن فيها صحيح الحكم ، ولن نستطيع أن نحيط بكل هذه الجوانب ، لكننا نضرب أمثلة منها لانود أن نعتبرها طعنا أو تجريحا ، وإنما هى عرض لما يغلو به البعض حتى ينفر الآخريين ، فيفرق صفوف المسلمين تحت دعوى تصحيح العقيدة .

وأول هذه الأمور وأقدمها :

(١) الزخرف آية : ٢٣ .

مآثر حول آيات وأحاديث ظن البعض ظاهرها التشابه^(١) فراح يتأولها بلوغاً إلى تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التشبه بعباده ، فاتهمهم البعض بالمروق من الدين لأنهم خالفوا ما كانت عليه القرون الثلاثة الأولى ، التي قال فيها رسول الله ﷺ : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »^(٢) ولسنا نعرض هنا لكل ما قيل ، لكننا نود أن نقول :

إنه وإن كان أكثر السلف على أن الأسماء والصفات حتى ماجاء من النوع السابق كله من المحكم ، إلا أن من علماء السلف من قال إنه من المشابه^(٣) كذلك فإنه وإن كان أكثر السلف على عدم التأويل استناداً إلى الوقوف عند قوله تعالى ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾^(٤) فإن منهم من أجاز الوقوف عند ﴿ والراسخون في العلم ﴾^(٥) .

ومن ثم بنى عليه الخلف إمكان التأويل ولم يجدوا في ذلك بدعاً .. إذ أن علوماً كثيرة نشأت بعد القرون الثلاثة الأولى كعلوم اللغة والتفسير ، والفقه ، وأصول الفقه .. ولم يقل أحد أن شيئاً منها بدعة .

وختلاصة القول في هذا الأمر :

١ — أن الفريقين يتفقان على أصل التنزية .

(١) من أمثلة ذلك ما يظن فيه نسبة أعضاء إلى الله سبحانه « ويقبى وجه ربك » « ولتصنع على عيني » « وقالت اليهود يد الله مغلولة » « ويحذركم الله نفسه » ، أو نسبة المكان أو الجهة « آمنتم من في السماء » « وهو القاهر فوق عباده » « الرحمن على العرش استوى » ، أو نسبة عمل « وجاء ربك » « ونفخنا فيه من روحنا » « غضب الله عليهم » ، « الله يستهزئ بهم » ومن الأحاديث « ينزل ربنا كل يوم إلى سماء الدنيا — رواه البخارى » « وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » — رواه البخارى ، خلق الله آدم على صورته — رواه البخارى .

(٢) عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم : ثم الذين يلونهم .. الحديث » أخرجه البخارى في الشهادات ٣ / ٢٢٤ ومواضع أخرى . ومسلم في فضائل الصحابة ٤ / ١٩٦٢ رقم (٢٥٣٣) .

بلفظ خير الناس قرنى .. عن ابن مسعود . ورواه غيرهما .

(٣) راجع المقدسى (روضة الناظر) .

(٤) الصحابة والتابعون وجمهور العلماء ، نذكر منهم أبى بن كعب وابن مسعود وعلى بن أبى طالب ، عائشة : علماء الأصول من الحنابلة .

(٥) مجاهد والربيع .

- ٢ — أن الفريقين يتفقان على نفي التشبيه عن الله بعباده .
 ٣ — أن الفريقين يستندان إلى وقف أحدهما على لفظ الجلالة وما يعلم تأويله إلا الله .. — وهو الراجح — والآخر على الراسخون في العلم وهو المرجوح .

ويبقى بعد ذلك أن الأولى هو رأى السلف :

- ١ — لأن ذلك كان سلوك الصحابة ومن تبعهم من القرون الأولى .^(١)
 ٢ — وفي قصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب دليل على ذلك .^(٢)
 ٣ — لأن ذلك أكثر أمانا في مجال العقيدة .
 ٤ — لأن فتح باب التأويل قد يجر إلى مجال أوسع ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح — والله أعلم .

ومع ذلك لانصح بالغلو في هذا الأمر :

لأن الآخرين ما صدروا فيه عن هوى ، وإنما عن رغبة في التنزيه التزموا به أصل التنزيه ، ولأن الآخرين ما صدروا عن جهل ، وإنما عن إعمال لقواعد لغوية ، فقد قال بالمعجاز علماء لهم وزنهم كما عرفت اللغة أساليب الاستعارة والكتابة وغيرها كما صدروا عن تأويل للوقوف على « والراسخون وهو أمر لاترفضه قواعد اللغة وإن كان الأول هو الأولى .

وحتى على فرض الخطأ في الاجتهاد ، فقد علمنا رسول الله ﷺ أن من اجتهد وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر .
 كما كان أدب الأئمة الذين عاشوا في القرون الأولى رأى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غير خطأ يحتمل الصواب .

وأخيرا: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا ﴾^(٣) ﴿ فَمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَظًا غَلِيظًا ﴾

(١) يقول ابن تيمية — رضى الله عنه — هذا ما كان عليه الثلاثة القرون الأولى وليس بصحيح على إطلاقه فإن ابن قتيبة وهو من القرن الثالث (متوفى عام ٢٧٦ هـ) قال بالتأويل .

(٢) قصة صبيغ بن عسل يروى أنه جاء إلى المدينة يسأل عن المتشابه به فجاء به إلى عمر ، فسأله ، فأخرج عمر من خلفه عرجونا (جريدا من النخل) وهوى به على رأسه عدة مرات حتى سال الدم على وجهه وقال : حسبك يا أمير المؤمنين فقد ذهب ما كنت أجد في رأسى .

(٣) البقرة : ٨٣ .

القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ﷻ . (١)

ثاني ألوان الغلو : في العقيدة :

اعتبار أعمال من أعمال الجوارح من أعمال الإيمان ، وقد يكون هذا صحيحا من ناحية التكييف الصحيح لكن ترتيب نفس النتائج لأعمال القلب بالنسبة لأعمال الجوارح هو الشيء الذي سقط فيه .

فرتبوا الكفر على مخالفة بعض الأوامر أو ارتكاب بعض النواهي وهي حتى إن كانت كبائر فإن مرتكبيها لا يخلد في النار ، أما مرتكب الكفر فيخلد في النار . ومن هنا كان الغلو ، وكان الخطأ ولقد كان ذلك مذهب الجوارح وكان مذهب المعتزلة فرييا منهم ، إذ قالوا بمنزلة بين المنزلتين . وكان هذا وذاك خروجا عن الفهم الصحيح ، وعن التطبيق الصحيح لعقيدة الإسلام .

وثالث ألوان الغلو أفضى من الإفراط إلى التفريط :

وهذا أمر غريب .. إنهم من حيث أفرطوا في العقيدة استمساكا وفهما فرطوا في دين الله . فوقفوا عند حد العقيدة والعقيدة أساس الدين بلا شك . وبناء بغير أساس لاقيمة له ، إنه محكوم عليه بالانهيار لكن إقامة الأساس دون بناء أمر يثير التساؤل .. مافائدته .. أيقى حرا أم يرد بردا ؟ تلك بعض الألوان في التطبيق العقدي .

(١) آل عمران ١٥٩

(٢) نذكر من نماذج غرهم مايتضح من مناقشتهم لابن عباس رضى الله عنهما — إذ سأهم ماتنقمون على عليّ — قالوا نقم عليه ثلاثا :

أ — حَكَمَ الرجالَ والله يقول .. إن الحكم إلا لله ..

ب — قاتل ولم يسب ولم يغنم — فإن كانوا مؤمنين لم يحل قتالهم ، وإن كانوا كافرين فقد حل قتالهم ،

وسبهم .

ج — نحى نفسه من إمرة المؤمنين — فإن لم يكن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين .. [راجع تفصيل

ذلك — الاعتصام — ص ٣ ص ٣٥ ومؤلفنا المتواضع الإيمان الحق ص ٧٣ — ٧٦] .

ألوان من الغلو في التطبيق الفقهي (أو الفرعى) .

أكثر ما يثور هذا الغلو في بعض الأمور :

أ — إطلاق اللحية .

ب — استعمال المسبحة .

ج — زيارة القبور ، ووجودها في المساجد .

ولو أن الأمر يقف عند حد التوجيه بما يعتقد أصحاب (الغلو) في هذه المسائل لكان الأمر هينا ، إما أن يصل إلى إعطاء أحكام غير ماعطاها الله ورسوله ، وإما أن يصل إلى حد القول عن السنة أو الندب إنه واجب وعن ترك الندب أو ترك الواجب بأنه كفر ، فذاك هو الغلو الذى نهينا عنه ، ومن ثم فنحن بدورنا نهى عنه .

أ — إطلاق اللحية :

ورد فيه قول رسول الله ﷺ : « جزوا الشوارب وارخوا اللحي ، خالفوا الممجوس » وفى لفظ « خالفوا المشركين خفوا الشوارب وأوفروا اللحي » .^(١)
وأمر الرسول ﷺ يعنى — فى الأصل — الوجوب ومن ثم كان الراجع فى إعفاء اللحية هو الوجوب .

لكن البعض صرف الأمر إلى الندب ، بناء على خلاف فى الأمر نفسه أن الأصل فيه هو الندب .^(٢)

ومن ثم قال بأن إعفاء اللحية مندوب إليه والبعض صرف إلى الإباحة أو الجواز ، بناء على خلاف فى الأمر نفسه أن الأصل فيه هو الإباحة .^(٣)
وأما فعل الرسول الله فهو — أصوليا — كما يحتل الندب يحتل الجواز ، ويحتاج

(١) الأول عن أبى هريرة والثانى عن ابن عمر (نص مسلم ج ١ ص ٢٢٢) ، ونص أحمد بدون خالفوا الممجوس (ج ٢ ص ٣٦٥) .

(٢ ، ٣) قيل فى دلالة الأمر هو ١ — للوجوب لأن الأمر استدعاء ، وقيل ٢ — للندب لأنه ينبغى تنزيل الأمر على أقل ما يشترك فيه الأمر وقوله ﷺ « إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » ، وقيل للإباحة باعتبارها أدنى الدرجات فهى يقين فىحمل على اليقين — ونحن نرجح أن الأمر للوجوب مالم يوجد صارف يصرفه عن وجوبه [كتب الأصول — مذاكرتنا : نظرات فى علم الأصول — تحت الطبع] إن شاء الله .

إلى احتمال الوجوب إلى القرينة أو الدليل ، أو هو — كما عبر البعض — يعنى مطلق
الاذن .

ونحن وإن كنا نرجح الوجوب :

ونلزم أنفسنا بذلك مما دفعنا إلى الامتناع عن غيره مع قسوة في الظروف إلا أننا
لانهزماً بآراء الآخرين كما لانسفهها ، وإنما نلتمس لهم العذر إذ اجتهدوا فأخطأوا .
ونلفت النظر إلى أن إطلاق اللحية والخلافت فيه ، هو خلاف حول أمر فقهي فرعى
لاينبغي أن يأخذ المساحة التي يأخذها الآن ، في الوقت الذي يسكت فيه عن
كبائر ترتكب ، بل عن خيانات تجرى ..

إن الفقهاء إذ قسموا — إجماعاً — أمور الدين إلى :

— ضرورات

— وحاجات

— وتحسينات

فإننا لانستطيع أن نضع إطلاق اللحية في الضرورات ، بل ولا في الحاجات ،
وإنما نضعها في التحسينات التي بها تتم الآداب ومكارم الأخلاق .
ووضعها فوق ذلك وإن كان يمثل اهتماماً كريماً بسنة من سنن رسول الله ﷺ إلا
أنه من حيث لا يشعرون يمثل إضراراً بالأوامر والواجبات التي قدمها رسول الله ﷺ ،
فلا تستوى مع الفرائض ، وتاركها لا يعد كتارك الصلاة فضلاً عن اعتبار تاركها
مشركاً أو كافراً .

ب — استعمال المسبحة :

ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يسبح على أصابعه كما ورد أنه أقر بعض زوجاته
على التسبيح عدا بالحصي^(١)
ويظهر من ذلك أن استعمال العد على الأصابع هو الأصل في التسبيح وإن لها

(١) كتب الحديث — وقد قيل إن الحديث ضعيف ، لكن فرق بين الضعيف والموضوع . إن الأول يعمل : في
فضائل الأعمال — أما الثاني فمرفوض .

وقد أجاز ابن تيمية رحمه الله استعمال المسبحة إن انتفى جانب الرياء (الفتاوى) .

من الأجر الشيء الكثير ، لكن بعض الناس يخطئون .
وبعض الناس يجدون يسرا في العد على المسبحة .
ورسول الله ﷺ ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فهل استعمال
المسبحة إثم ؟

قد يكون هو المرجوح ، والعد على الأصابع هو الراجح .
أما أن نرفع المرجوح إلى درجة الإثم أو الحرام ، ونرفع الراجح إلى درجة
الواجب ، وأما أن يصير هذا الاهتمام إلى حد أن يصير الحكم الفرعى شاغلا للناس
عن أحكام أهم منه بكثير .. فذلك هو الغلو الذى نهينا عنه ، والذى نهى عنه
كذلك .

جـ - القبور :

كثر الحديث عن القبور ، حتى ظننت أنا صرنا من أهل القبور وعجيب أن
يقحم قبر رسول الله ﷺ في هذا الأمر ، حتى قالوا بفساد عقيدة من شد الرحال
لزيارة قبر الرسول ﷺ .

* وبرغم أنهم يعلمون بحديث رسول الله ﷺ : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور
ألا فزوروها فإنها ترقق القلب وتذكر الآخرة » ، وبرغم أن الفهم الصحيح لهذا
الحديث هو أن حكم زيارة القبور هو الندب .^(١)

وإذا كانت زيارة قبر عادى تذكر بالآخرة وترقق القلب فماذا تفعل زيارة قبر رسول
كريم هو خاتم المرسلين ، له تاريخه وجهاده ؟ أفلا يذكر بما هو أكثر من ذلك ؟ ألا
يرتفع حكم زيارته عن الندب إلى ما هو أشد ، فيكون مثلا سنة مؤكدة ، ومع ذلك
فقد غالوا في النهى عن شد الرحال إلى زيارة قبر الرسول ﷺ ، ، استنادا إلى حديث
اساءوا فهمه .

« لاتشدوا الرحال إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ،
ومسجدى هذا » فقالوا : إن الرسول ﷺ نهى عن شد الرحال إلا لهذه الثلاثة ،

(١) فى الأمر بعد النهى خلاف ، أرجحه أنه يفيد الإباحة ، لكن إن وردت فيه قرينة كما جاء فى نهاية الحديث ،
أمكن القول بأن الأمر للندب .

ومن ثم يكون النهى واردا على شد الرحال لزيارة قبر رسول الله ﷺ كما يرد على أى قبر آخر .

ونقول بعون الله :

إن الاستثناء إما أن يكون متصلا وهو الأصل .
أو أن يكون منفصلا وهو على خلاف الأصل . فإن كان متصلا فيكون المعنى :
لاتشد الرحال لأى مسجد آخر إلا هذه الثلاثة .
وإن كان منفصلا كان المعنى : لاتشد الرحال لأى شىء آخر إلا لهذه
الثلاثة .

ولو سلمنا جدلا بالقول الثانى فإن معنى ذلك : تحريم شد الرحال للعلم ، وهو
خلاف النصوص ، وشد الرحال لزيارة الأقارب وصلة الأرحام ، وهو خلاف
النصوص كذلك ، وشد الرحال للسياحة فى الأرض والبحث عن الرزق وهو خلاف
النصوص كذلك ..

وفى النهاية تصل إلى حرج شديد إذ يصير شد الرحال قاصرا على زيارة المساجد
الثلاثة .

فلا يبقى إلا التفسير الأول وهو الأصل ، والقول بغير الأصل هو الذى يحتاج إلى
دليل ، فيكون تحريم شد الرحال إلى مسجد آخر إلا هذه الثلاثة ، لأنها التى خصها
الله سبحانه وتعالى بالشرف فجعل الصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف فى
غيره ، وفى مسجد الرسول — ﷺ بألف فى غيره ، وفى المسجد الأقصى
بخمسمائة فى غيره .

وثالث ألوان الغلو : غلو فى المواقف :

فلقد يكون صعبا علينا أن نتخير هذه المواقف :
لكنا نكتفى بموقف فى القديم ، وموقف فى الحديث أما القديم ، فهو موقف
الخوارج من على رضى الله عنه
لقد كانوا فى البداية أنصاره .. وبمجرد اختلافهم معه — نتيجة الغلو — انقلبوا إلى
أعدائه بل أعدى أعدائه ، حيث فارقوه وحاربوه وكفروه والذين معه .

وفي القصة التي نوردها نقلا عن بعض المراجع الثقة ^(١) دليل على ما نقول احتج الحرورية من الخوارج للخروج على عليّ رضي الله عنه ..
ف قيل ذلك لعلي فأوفد إليهم ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهم جميعا فدخل عليهم فإذا هم صفر الوجوه ، مرحضة (أى متسخة) قمصانهم أيديهم كأنها ثفن الإبل (من طول القيام) .

فلما دخل عليهم سخرؤا منه وقالوا ما هذا يا ابن عباس وما هذه الحلة عليك ؟ قال لهم : وما لي لألبس وقد وجدت رسول الله ﷺ وعليه أحلى الحلل اليمنية فقالوا له : من أين جئت يا ابن عباس ؟ قال : من عند ابن عم رسول الله ﷺ ومن عند صحابة رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد .

ثم سأهم : ماتنقمون على علي ؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثا قال : وما هي ؟ قالوا : حكم الرجال والله يقول ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ ، وقاتل ولم يسب ولم يغتم ، ومحا نفسه من إمرة المؤمنين « يشيرون إلى التنازل الذي حدث بعد التحكيم فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين

قال : إن جئتمكم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بما ترضون أترجعون ؟ قالوا : ومالنا لانرجع . قال : أما أنه حكم الرجال فإن الله قال في كتابه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ ، ^(٢) وقال في المرأة وزوجها : ﴿ وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما ﴾ ^(٣) فجعل الحكم في هاتين الحالتين إلى الرجال ، فناشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وفي إصلاح ذات البين أفضل أم في ثمن أرنب ثمنه ربع درهم وفي بضع امرأة ؟

قالوا : بل هذا أفضل .

قال : أخرجتم من هذه ؟

(١) الاعتصام للشاطبي ج ٣ ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) المائة آية ٩٥ .

(٣) النساء آية ٣٥ .

قالوا : نعم

قال ، وأما أنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فقد كان من بين من قاتل أمكم عائشة ، فإن قلتم نسبها ونستحل منها ما نستحل من النساء فقد كفرتم ، وإن قلتم ليست بأمتنا فقد كفرتم ، فأنتم ترددون بين ضلالتين .

أخرجتم من هذه ؟ قالوا : نعم .

ثم قال وأما قولكم محاً نفسه من إمرأة المؤمنين فإنى آتيكم بما ترضون ، إن رسول الله ﷺ يوم الحديبية قال أكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله .. فقالا : (أبو سفيان وسهيل بن عمرو) : لو نعلم أنك رسول الله ماقتلناك ، قال : اللهم أنك تعلم أنى رسول لله اكتب يا على : هذا ماصالح عيه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو .. فرجع منهم يومئذ ألفان ، وخرج الباقي فقتلوا جميعا .

وفى الحديث انشقت مجموعة على جماعة إسلامية كبيرة إبان وجودهم فى السجن ، وعلى أثر حوادث التعذيب الرهيبة التى تسامعت بها الركبان . وكان موقفا غريبا الدماء التى سالت لم تجف بعد والجلادون الذين جلدوا أولئك وهؤلاء لم يزولوا بعد والقضبان التى تضم أولئك وهؤلاء لم تتحطم بعد ومع ذلك لجأت تلك المجموعة إلى تكفير الجماعة الكبيرة ، لأنها لاتزال على رأيها فى تكفير الحاكم ، وأعوان الحاكم ، ثم المجتمع كله

ثم انشقت المجموعة المذكورة إلى مجموعات كثيرة ، كل منها يكفر الآخر وكان أمرا عجيبا .

كان يؤذن للصلاة .. فيقف أفراد الجماعة الواحدة صفوفا خلف امام واحد ، ولاتصلى تلك المجموعة معهم ثم تؤذن المجموعة وتقيم الصلاة ولها امام ولما انشقت إلى مجموعات صغيرة كانت كل مجموعة تؤذن وتقيم وحدها ولايصلى واحد من مجموعة وراء المجموعة الأخرى . (١)

(١) من الأمور التى ينبغى التعرض لها فى الحديث عن الغلو :
أ - عيوب الغلو وآفاته :

ذلك في عجلة بعض خطوط التطرف أو الغلو .. اقتصرنا على شيء منها ،
 وأمسكنا عن أشياء ربما اتسع لها الوقت والمقام بعد ذلك (١)
 وننتقل إلى الطرف الآخر .. إلى القصور (أو التفريط) عن عمد أو عن جهل
 والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،،

=وقد ذكر في ذلك الدكتور يوسف القرضاوى عيوباً ثلاثة :

— التنفير .. فإن الغلو ينفر الناس ، ومن هنا كان أمر النبي ﷺ « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » (متفق عليه)

— إنه قصر العمر — لأن الاستمرار عليه غير متيسر ومن هنا كان قول النبي ﷺ « إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى ، اكلقوا من الأعمال ماتطيقون فإن الله لا يميل حتى تملوا ، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » (رواه الشيخان)

— انه لا يخلوا من جور على حقوق أخرى — لقول رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر حين بلغه اتهامه في العبادة انهما كما أنساه حق أهله ، « ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، قال عبد الله فقلت بلى يا رسول الله . فقال ﷺ لا تفعل . صم وأفطر وقم ونم .. فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينيك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا وإن لزويك عليك حقا » (رواه البخارى)

مظاهر التطرف :

وقد ذكر لها المظاهر الآتية :

- ١ — التعصب للرأى لا يعترف معه برأى الآخرين .
- ٢ — التشدد في نفسه والزام الآخرين .
- ٣ — التشديد في غير محله .
- ٤ — الغلظة والحشونة .
- ٥ — سوء الظن بالناس .
- ٦ — التكفير .

أسباب التطرف وبعائه :

وقد ذكر لها : ١ — ضعف المعرفة بحقيقة الدين

- ٢ — الاتجاه الظاهرى في فهم النصوص .
- ٣ — الاشتغال بالمعارك الجانيية .
- ٤ — الإسراف في التحريم .
- ٥ — التباس المفاهيم .
- ٦ — اتباع المشابه وترك المحرمات .

(١) نسأل الله أن يوفق إلى كتابة جزء من (نظرات في علم الأصول) — في أصول الدين بمشيئة الله .

المبحث الثاني اتجاهات قاصرة

تقدمة :

كما تميل النفس إلى العلو الذى فيه غلو ، فإنها تميل إلى الهبوط الذى يصبغه القصور أو التقصير ، ولقد يكون القصور أو التقصير .. فهما ، أو اعتقادا ، أو موقفا .

وكل ذلك يخرج بدعوة الإسلام عن شمولها ، ويخرج بها إلى التجزئة والتفرقة ، الأمر الذى ترفضه طبيعة الإسلام .
بيد أن لنا أن نقول كلمة إنصاف :

— إن بعض هذه الاتجاهات صريح مع نفسه ومع الناس : فهو يعلن أن يصرح أو يعترف بأنه لا يستطيع أكثر من ذلك ، وأن طاقته لا تحتمل المواجهة مع الظلمة أو المستعمرين .. أو أنه لا يتقن أكثر من هذا الجانب وفى الوقت نفسه لا ينكر غيره ، أو يتعاون مع غيره ..

وذلك اللون — رغم قصوره — نحترمه .. فقد يغفر الله بالصدق والإخلاص كثيرا من القصور أو التقصير ، وقد يكون فى مثل هذا الاعتراف مع لون من التعاون مع الاتجاهات الأصيلية أو « الأصيلية » كما يحلو لهم تسميتها ، أو الاتجاهات الأخرى ، قد يكون فى هذا التعاون ما يؤدي فى النهاية إلى « التكامل » .. مادام رائد الجميع الصدق والإخلاص .

لكن ذلك قليل إن لم نقل إنه نادر .

— لكن أكثر تلك الاتجاهات ، تعلن وتصر .. أن ما تقوله هو الإسلام ، وأن ماتنادى به هو الحق وماوراءه باطل .. ومن ثم تُضليل وتُضليل ، وتخدع بعد أن تنخدع .. فتتفرق صفوف المسلمين وتتعدد بالتالى جهودهم ، وتستقطب الجهات العاملة لهدم الإسلام بطرق عديدة وخبيثة .. كثيرا من تلك الاتجاهات ، فإذا بها

من حيث لا تشعر في أكثر الأحيان تدور مع مخططهم الآثم حيث دار ، وتفرغ طاقات الشباب وطاقات المتحمسين فيما يظنونهم قربى إلى الله .

— وبعض تلك الاتجاهات تقتصر على الفكر ، وإن كانت كثيرا ما تخطيء فيه .

وتغفل جانب التربية على العقيدة والأخلاق ، ثم تهمل بعد ذلك جانب الجهاد أو تخطيء سبيله ، فضلا عن أنها تفتقد قبل ذلك غايته .

وبعضها الآخر يقتصر على جانب التبعد .. فتكون بذلك قاصرة ، إلا أنها كثيرا ما تكون فيه غالية ، لذا فإننا وإن كنا في مكان آخر ^(١) عددناها من الاتجاهات الغالية ، فإننا نؤثر جعلها هنا في الاتجاهات القاصرة باعتبار أنها تقتصر على جانب من جوانب الإسلام .

وحتى في هذا الجانب كثيرا ما تكون خاطئة

والبعض الآخر إما يقتصر على ما نستطيع أن نسميه اهتمامات أو أنشطة إسلامية فرعية ، كجمعيات البر والإحسان ، والرأفة بالحيوان ، أو بالإنسان ، وهذه لانهمم بها لأنها في أغلب الأحيان — والحكم دائما لغلبة الأمر — صريحة لاتدعى أنها تقوم بالإسلام كله .

لكننا نشير في هذا القسم الثالث إلى جانب تطبيقي تقيمه الكثير من الأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية وتزعم بذلك أنها تقيم الإسلام أو تقيم شرع الله .

أولا : القصور عند الفكر

* الفكر في حد ذاته نعمة .. بها فضل الله سبحانه بنى آدم على كثير ممن خلق تفضيلا ، وهو طريق إلى الإيمان والعقيدة يلفت إليه القرآن بأكثر من تعبير ، وهو في الوقت نفسه مناط التكليف ، فمن فقد القدرة إلى التفكير فقد الأهلية للتكليف ومن ثم فإننا لانغض منه بل نندب ونأمر به ..

(١) أساليب الغزو الفكري .

* لكن الذى يؤلمنا ويؤرقنا هو الوقوف عنده أو الاقتصار عليه ، فتلك هى التجزئة التى نهينا عنها

* ولقد اهتم قوم من قومنا بالجانب الفكرى فى الإسلام ، فأحسنوا عرض الفكر الإسلامى ، ونادوا بتثقيف الشباب وبيانارة العقول ، وهو جهد مشكور فى وقت سادت فيه الخرافات ، أو مال الناس عن الجدل إلى تغييب العقل وراء كثير من الترهات أو التفاهات
بيد أنهم لو وقفوا عند ذلك لكانوا مشكورين .

لكنهم مضوا فصوروا الإسلام « فكرا مجردا » ، وثقافة محضة . وجاوزوا ذلك فنادوا بأن طريق الإصلاح « الوحيد » هو الفكر والثقافة ولقد يكون ذلك أحد الطرق . لكنه بالتأكيد ليس الوحيد
ولقد نختلف فى نقطة البدء أنبدأ بالفكر أم نبدأ بالقلب وهو مركز الإيمان والعقيدة ، لكننا لا نختلف فى أن الإسلام ليس هو نقطة البدء فقط « إنه أشمل وأوسع وأرهب » .

وإذ كان الإنسان هو المقصود بالإصلاح

فإننا لانتعبر إصلاح الرأس وحده كافيا .. إنه يلزم معه إصلاح القلب ويلزم مع ذلك إصلاحات كثيرة لسائر الجسد إن صح هذا التعميم — ونشير إلى اتجاهين رئيسيين أحدهما كان على ضفاف نهر طويل خلال قرن مضى ، والثانى على ضفاف نهر قصير خلال قرن نعيشه .

* أما الأول :

فقد نادى صاحبه — فى ظلال احتلال جاثم على البلاد — وبعد نفيه خارج وطنه وعودته من نفيه — نادى بأن طريق الإصلاح : هو تنقية الفكر من الخرافات ، والاتجاه إلى إصلاح التعليم .

واقترنت دعوته المهادنة بمهادنة للاحتلال ، أخذت فى بعض الأحيان صورة المداهنة ، إذ كان يسعى إلى المنسوب السامى فى أكثر المناسبات والعلم لا يسعى إلى حاكم — كما كان عليه السلف — ، بله أن يسعى إلى معتصب محتلا لأرض

كذلك وقع — واقعا — فى الانضمام إلى المحفل الماسونى الفرنسى ، ولكن كانت الماسونية غير معروفة الأهداف فى ذلك الحين ، فكان الأولى البعد عن مواضع الشبهات أو عن الأشياء غير المعلومة الأصل أو غير المعلومة الأهداف .

وربما أوقعه ذلك فيما راح يولفه من « جمعية التقريب بين الأديان » التى حوت مع المسلمين النصارى واليهود ، مما أسعد المبشرين وحقق آمالهم فى التوفيق بين المسيحية والإسلام ، توفيق أختين من أم واحدة (١)

— وحتى فى هذا المجال — مجال الفكر — ضل الإمام وغوى حين تحدث عن الملائكة وحين تحدث فى الجن والسحر ، ومعصية آدم ، وسجود الملائكة وخلق عيسى عليه السلام ، وقال فى كتاب الله « بالرأى » ما لم يقله السلف الصالح . ومع ذلك فلا ننكر فضله فى « تنوير العقول » وفى النهى عن كثير من الخرافات التى سادت فكرة التدين فى ذلك القرن أو فى ذلك الجيل .

* وفى الحديث ظهر حزب يتخذ الفكر أسلوبا لانقلاب إسلامى عاجل إذ يقرر « وقد بنى الإسلام العقيدة على العقل فيما يدركه ، أو عن طريق مصادر ثابتة بالعقل مثل القرآن والحديث المتواتر » (٢)

« لذلك يجب أن تكون الكتلة التى تحمل الدعوة الإسلامية كتلة سياسية ولا يجوز أن تكون كتلة روحية ولا كتلة أخلاقية » (٣)

وأما الدعوة التى تتحملها جماعة أو كتلة (إشارة إلى الحزب المذكور) فهى تتعلق بالفكر ولا تتعلق بالقيام بأعمال أخرى .

— وفى الوقت نفسه تفيد تعاليم الحزب المذكور القائم على الفكر أن لاشأن لهم

(١) راجع أساليب الغزوات الفكرية للمؤلف ص ٢٠١ وما بعدها ، وقد أشار إلى المفتش الإنجليزى جى ديلو انتز — جريدة الديلى تلغراف اللندنية فى ٢ شباط ١٨٨٨ ، وكان المذكور وهو عضو فى جمعية التقريب بين الأديان يشير إلى جهود رئيس الجمعية وإمامها — راجع كذلك غازى التوبة الفكر الإسلامى المعاصر ..

(٢، ٣) كتاب الإيمان ومفاهيم الحزب — مشار إليهما برسالة الشاب النابه حسين بن جابر — رحمه الله — « الطريق إلى جماعة المسلمين » .

بالأحكام العملية الإسلامية (كالصلاة والصيام ..) لأنها في ظنهم لا تقوم إلا أن تقوم الدولة . (١)

وهذا خلط بين الواجبات العينية التي تجب على الأفراد بمقتضى إسلامهم والواجبات الجماعية (أو الكفائية) التي تنهض الدولة الإسلامية أصلاً عليها وإن كان منها ما ينبغي أن يتجمع من أجله الأفراد ولو لم توجد الدولة .

— كذلك لاهتمام للحزب المذكور بالأخلاق — وقد تقدم نص ذلك — ويتفرع عنه عدم الاهتمام بالنهي عن الفحشاء أو المنكر . (٢)

وحتى في المجال الفكري فقد سقط الحزب في بعض الاجتهادات ومن بينها :

— إجازة مصافحة الأجنبية وإجازة تقبيلها .

— إباحة الصورة العارية .

— الاكتفاء بسجن من زنى بإحدى محارمه (كالأم والأخت) .

— اسقاط الصلاة عن سكان القطبين ، وعن المسلم إذا طاف في

الفضاء . (٣)

. — مناداته بإقامة دولة الإسلام في الدول العربية أولاً — وهو إن لم يقيم عليه أى دليل باختصاص تلك البلاد وعصية لامبرر لها ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾^(٤) « كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى »^(٥) .

وهذا يفترق عن حركات أخرى كانت بداية صحيحة لتحريك الشعوب مثل لجوء عبد الحميد بن باديس وأعضاء جمعيته أو جماعته إلى إنشاء المدارس لتعليم الشعب الجزائري القرآن واللغة العربية ، وذلك في مواجهة استعمار غاشم كان يصر على « فرنسة » الجزائر وإبعادها عن القرآن ولغة القرآن وقد نجحت إلى حد كبير في تنشئة

(١) المرجع السابق نقلاً عن مصادر الحزب .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق لحسن جابر — رحمه الله .

(٤) الحجرات آية : ١٣ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٤١١ .

جيل جديد حمل راية الجهاد ضد الاستعمار الفرنسى الغاشم واستطاع فى النهاية أن يحرر تراب الجزائر من أولئك المستعمرين وإن انخرقت الثورة بعد ذلك ، فلقد يكون راجعا إلى النقص فى التكوين أو قد يكون راجعا إلى انحراف طراً ، أو ضغط أو تدخل من قوى أجنبية خبيثة . (١)

★ ★ ★ ★ ★

ثانيا : قصور على التسك

التعبد والتنسك .. جزء عزيز من الإسلام لأنه أولا ينمى الإيمان ، فالإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصى .

ولأنه ثانيا تقوم به تزكية النفس ، وهى واسطة عقد فى تكوين الجماعة المسلمة أو المجتمع المسلم ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلوا عليهم آياته ، ويُزكّهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة ﴾ ولأنه قبل ذلك وبعد ذلك أمر من أمر الله ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. ﴾ (٢) ﴿ والله على الناس حج البيت .. ﴾ (٣) بيد أن الخطير فى الأمر .. هو الاقتصار عليه :

— أولا : لأن هذه تجزئة .. والتجزئة المقصودة .. كفر ، وجاهلية ، وفتنة .
— وثانيا : لأن ترك بقية الإسلام ترك لواجبات ، ومندوبات .. يعرض فاعله للعقاب والعتاب .

— وثالثا : لأنه يعطى صورة مشوهة لحقيقة الإسلام ، الأمر الذى حرص الأعداء أن يظهروا به الإسلام ، خاصة إذا اتخذ صورا شائهة تزيد ذلك التشويه .

★ والذى حدث أنه قامت فرق وجماعات قصرت الإسلام على جانب التعبد وغالت فى هذا الجانب أو شوهته بالبدع والانحرافات التى لم تعرف عن السلف

(١) الإخوان المسلمون محمود عبد الحليم ج ٢ ص ٣٩٦

(٢) الجمعة آية ٣ .

(٣) البقرة آية ١١٠ .

(٤) آل عمران ٩٧ .

الصالح ، والأمثلة كثيرة لا تخضع للعد والحصر ، فضلا عن أنها واضحة وقائمة لا تحتاج إلى تفصيل أو بيان .

* والذي نكتفى فيه أن نشير إلى موقف الرسول ﷺ من تلك الفرق حين قال بعض أصحاب النبي ﷺ وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر فلا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لآخشاكم الله وأتقاكم ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني « (١)

وحيث راح رسول الله ﷺ يعلم حنظلة ويعلم الأمة من خلاله الموازنة بين حاجات الجسد وأشواق الروح ، وذلك فيما يرويه حنظلة التميمي « كنا عند رسول الله ﷺ فذكرنا الجنة والنار .. حتى كأنها رأى العين ، فقمنا إلى أهلي وولدي فضحكنا ولعبت .. قال فذكرت الذي كنا فيه ، فخرجت فلقيت أبا بكر رضى الله عنه فقلت : نافقت نافقت ، فقال أبو بكر : إنا لنفعله ، فذهب حنظلة فذكره للنبي ﷺ فقال : يا حنظلة لو كنتم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم (أو على طرفكم) يا حنظلة ساعة وساعة « (٢)

— واعطى الدرس لمن انقطع للتعبد فسأل : ومن يطعمه ويسقيه ؟ قالوا :

أخوه .

قال : أخوه أعبد منه

ثم وضع جوانب أخرى للعبادة حين قال « الساعى على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله » (٣) وحين قال : (إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا

(١) البخارى ومسلم وأحمد ، واللفظ للبخارى .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) البخارى ومسلم والترمذى .

الصوم ولا الحج ، ويكفرها الهَمّ في طلب المعيشة (وفي لفظ عرق الجبين) (١)

وقبل هذا كان توجيه القرآن :

﴿ .. ذلك بأنهم لا يُصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مَحْصَةٌ في سبيل الله ولا يَطْمَئِنُّونَ موطئاً يغيظُ الكفارَ ولا ينالونَ من عدوٍ نيلاً إلا كُتِبَ لهم به عملٌ صالحٌ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقونَ نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعونَ وادياً إلا كتبَ لهم ليجزيهم الله أحسنَ ما كانوا يعملون ﴾ (٢)

ويعدد القرآن صفات فريق كتب له ﴿ جناتٌ عدنٍ يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكةُ يدخلونَ عليهم من كل باب ﴾ . (٣)

﴿ الذين يُوفونَ بعهدِ الله ولا يَنْقُضونَ الميثاقَ ، والذين يصلون ما أمرَ الله به أن يُوصل ويَحْشَوْنَ ربهم ويخافونَ سوءَ الحساب ، والذين صبروا ابتغاءَ وجهِ ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً ويدعونَ بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴾ . (٤)

(٥)

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر.. ﴾ الآية

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ... ﴾ (٦)

وفي مواجهة مغالاة تلك الفرق كان توجيه رسول الله ﷺ : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لأرضاً قطع ولاظها أبقى « والنصوص في هذا المعنى كثيرة .

★ بيد أننا نشير إلى جماعة قامت في القرن الماضي ، وذاع صيتها في هذا القرن ، وتشعب أنصارها على مساحة الأرض كلها

لانغض من قيمتها في مجال تزكية النفس وتربيتها ، بل نشير إلى نجاحها في هذا المضمار نجاحاً تغبط عليه وهي تعلن مبادئ ستة :

(١) الطبراني .

(٢) التوبة آية : ١٢٠ - ١٢١ .

(٣) الرعد : ٢٣ .

(٤) الرعد : ٢٠ - ٢٢ .

(٥) البقرة : ١٧٧ .

(٦) الفرقان : ٦٣ .

- ١ — الكلمة الطيبة : لا إله إلا الله محمد رسول الله .
 - ٢ — إقامة الصلوات .
 - ٣ — العلم والذكر .
 - ٤ — إكرام كل مسلم .
 - ٥ — الإخلاص .
 - ٦ — النفس في سبيل الله (أو الخروج في سبيل الله) .
- ولقد تحامل البعض على هذه الجماعة^(١) ، وذكرت لها كثير من الأخطاء^(٢) بعضها يتعلق بسلوك بعض أفرادها ، أو بنياتهم أو بتاريخهم ومواقفهم ، ومع ذلك فنحن نرى :
- ١ — أن أكثر هؤلاء ممن لقينا لمسنا فيهم الإخلاص ، والتجرد والتواضع ، والاعتماد على القليل من الزاد مما يدفعون من جيوبهم ، ويأبون أن يأخذوا من غيرهم .
 - ٢ — أنهم ناجحون في مجال التزكية وتربية النفس والبعد عن الفواحش والمعاصي .
 - ٣ — أن بعض قياداتهم تفهم شمول الإسلام ، ولكنها تعلن عن المبادئ الستة في مواجهة محاولات استتصال شأفة التيار الإسلامي .
 - ٤ — إستعداد أكثرهم للتعاون مع الجماعات الأخرى ، على غير ما يذهب البعض إليه .
 - ٥ — إلا أننا نرى أن الخطورة في الإعلان أشد إذ تلهي المسلمين عن الالتفات حول المفهوم الشامل للإسلام ، وتصرف جهود المسلمين عن الجهاد الحق لإقامة دولته ، وذلك كله فضلا عما في المبادئ الستة من قصور عن شمول الإسلام .

(١) نذكر منهم : القائد محمد أسلم — خريج الجامعة الإسلامية عام ٩٨ — ١٣٩٩ هـ — رحمه الله — في بحث قيم للحصول على عالية الشريعة (جماعة التبليغ عقيدة وفكرا) ، الدكتور الملالي « السراج المنير في تنبيه جماعه التبليغ » .

(٢) المراجع السابقة ورسالة الأخ حسين جابر ص ٣١٩ وما بعدها من الرسالة المخطوطة .

ثالثا : اتجاهات قاصرة وأنظمة مفرطة

أما الاتجاهات القاصرة الأخرى فنعنى بها كثيرا من الجمعيات التي تؤسس على هدف جزئى .. وقد أشرنا إليها فيما سبق .

ونشير هنا إلى الأنظمة الحاكمة فى أكثر البلاد الإسلامية ، والتي تزعم الإسلام منهاجها ، لكنها تجزئه تجزئة خطيرة ، فضلا عن أنها تقوم على هدمه فى نواحي كثيرة .

أما جوانب التجزئة :

فهو ما يظهر من قصرها الإسلام على المظاهر والأشكال ، ودون مآدنى اهتمام بالحقيقة والجوهر .

— ففتح المساجد ، وأحيانا إحسان تأيئها ، وزخرفتها مما يخرجها عن المسنون فى هذا الجانب .

— وحضور الحفلات الدينية ، والمناسبات المختلفة .. كصلاة العيدين والجمعة اليتيمة (فى آخر رمضان) .

— وإعلان البعض النصوص الخادعة مما لا يجد له مكانا فى التطبيق « الإسلام دين الدولة الرسمى » « الشريعة مصدر التشريع » « الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع » .. إلخ .

— وفى التطبيق تجزئة أخرى ..

هى اقتصار على جانب التعبد (إن وجد) ، وبعض الثقافة والفكر (مع منع الفكر الأصلى بين الحين والحين واتهامه بالتطرف) ، وبعض النواحي القانونية (وأكثرها فيما يخص الزواج والطلاق مما اصطلاح عليه بالأحوال الشخصية مع محاولة التعديل فى هذا الجانب بالبعد عن الأصيل من الآراء الفقهية فيه) .

وذلك كله مع بقاء العقيدة والأخلاق والمعاملات بغير كبير اهتمام .

أما جانب الهدم :

فيجرى فى مجال التعليم

وفي مجال الإعلام

وفي مجال القيم .. تحت أسماء كثيرة .. التحضر ، التقدم ، التحديث ، وأحيانا تستخدم العلمانية ليس بمصطلحها الذي بات عند أكثر المتعلمين مفضوحا ، بل بلفظها الذي لا يزال عند الكثيرين خاصة من العوام لا يزال خادعا غير مفضوح .

— وهناك هدم آخر متمثل في الفتنة التي تمارسها تلك الأنظمة بين الحين والحين حربا على الجماعات والتجمعات الإسلامية ، ومحاولة لاستئصال شأفتها ، وقد أدانت بعض الأحكام وبعض الوثائق تلك الأنظمة بالعمالة لأعداء الإسلام ، وإكتشاف هذه العمالة ليس بالأمر العسير .



المبحث الثالث اتجاهات معتدلة شاملة أو « أصولية »

مقدمة :

أطلق الغرب الاصطلاح الثانى « أصولية » وصفا للاتجاهات المعتدلة الشاملة ، وقد كان فى البداية يصفها « بالإرهاب » ويصمها بالتطرف ، لكنه لم يستطع الاستمرار فى تلك الأوصاف بعد أن ظهرت على الساحة اتجاهات وصلت فى التطرف حد التكفير بالمعصية ! « بالخروج على جماعة معينة ، وبعد أن وقعت تلك الاتجاهات فى أعمال عنف كان بعضه ماسا بكثير من الأبرياء » .

فضلا عن أن الاتجاهات التى نشير إليها قد اتسمت بالاعتدال .. فكرا وعقيدة ومواقف ، فلقد تلافت من ناحية أخرى القصور الذى وقعت فيه اتجاهات أخرى فكانت فى أهدافها ومناهجها وأساليبها مراعية الشمول الذى جاء به الإسلام ، ملتزمة بخط السيرة فى التطبيق ، وفى الوقت نفسه مستفيدة بالمأثور من الأساليب وبما يوجد من أساليب كذلك .

وليس الأمر على النحو الذى نكتب به .. إنه أصعب من ذلك وأشد عسرا إنه التفكير الطويل والسهر المضمنى ، والجهد المتواصل ، والمعاناة والتجارب ومعها الجهاد والتضحية .. أمور نعتزف فيها بالفضل بعد الله لمن سبقونا بالإيمان . والتجربة لاتزال على الساحة تظهر حيناً وتغيب أحيانا ، تهادن فترة وتتحارب فترات ، يتجمع عليها « دعاة جهنم » من كل فج خبيث ييغون الحيدة بها عن أهدافها ، أو احتواء أفرادها وقادتها .. وأخيرا إبادتها واستئصال شأفتها . والله من ورائهم محيط

ولسوف نعرض لخصائص هذا الاتجاه ، ثم أهدافه ، ومبادئه ، ثم شبهات ثارت

حوله . (١)

أولا : خصائص هذا الاتجاه

نختار له خصائص خمس :

١ - الربانية : موردا :

ونعنى أن صبغتها « ربانية » موردا ، واتجاهها ، وقيادة . أما ربانية المورد : فهو أنها آخذة من الكتاب والسنة ، أو بعبارة أخرى من الوحي ، والكتاب وحي بلفظه ومعناه ، والسنة وحي بالمعنى واللفظ من عند رسول الله ﷺ ، وربانية المورد تدفع الآخرين لإطلاق لفظ « الأصولية » عليها ، وهو تعبير لانرفضه بهذا المعنى .

وأما ربانية الاتجاه : فعنى به القصد إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنا إلى الله راغبون ﴾ (٢) وهو ما عبر عنه البعض بقوله « الله غايتنا » ، وهو أمر يصحب أعمال « العبادات ، وأعمال « العادات » فيحول حياة المسلم كلها عبادة ، ليتنم قولا وفعلا بقوله تعالى ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾ (٣) وهذا ما يبعد هذا الاتجاه عما يشوب غيره من مصالح « حزبية » أو « شخصية » أو « اقليمية » أو « عصبية » فيتوجه بوجهه إلى الله سبحانه ﴿ إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ (٤) .

وأما ربانية القيادة : فإنها تعنى إخلاص تلك القيادات حتى تبدو كأنها « ربانية » ، ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شىء ﴾ (٥) ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ (٦) ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ (٧) ، وهذا لانستطيع الخوض فيه ، لكنها شهادة نقدمها للتاريخ ، وقد التزمنا فى الشهادة ألا نكتمها ، كما التزمنا فيها أن نكون

(١) هذا الاتجاه بدأ فى إحدى البلاد العربية ثم ظهر له قرين فى إحدى البلاد الآسيوية ، ثم انتشر على مساحات

القارات الخمس يحمل معه نور « تجديد » الرسالة الإسلامية .

(٢) التوبة آية : ٥٩ . (٥) النمل : ٨٨ .

(٣) الأنعام آية : ١٦٢ . (٦) طه : ٣٩ .

(٤) الأنعام آية : ٧٩ . (٧) الطور : ٤٨ .

فيها ﴿قوامين بالقسط شهداء لله﴾^(١) ، أو ﴿قوامين لله شهداء بالقسط﴾^(٢) ،
ونترك للتاريخ من بعد ذلك الشهادة الأخيرة .
فإن اختلفنا .. فالله يحكم بيننا يوم القيامة فيما كنا فيه مختلفين .

٢ — العالمية :

هنا ينزل الاتجاه على عالمية الإسلام ﴿ومأرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾
﴿ومأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ ومن ثم تمارس « الدعوة » إلى الله على
مستوى العالم كله ... وهو أمر مشاهد ملموس بفضل الله ، كما يجرى « التكوين »
على مستوى العالم تخطيطا وترتيا وتنفيذا ..
وذلك كله .. في انتظار يوم تظل العالم كله « حكومة الإسلام » وهو يوم ليس
على الله ببعيد ولا بعزير .

٣ — الشمول :

ماسبق شمول « مكاني » وهذا شمول « موضوعي » فالإسلام عقيدة ، وعبادة ..
دين ودولة .. نظام إيماني ، ونظام خلقي ، ونظام سياسي ، ونظام اقتصادي .. وهذا
مانعيه بالشمول :

وفي قول أحد قادتهم أنهم :

— دعوة سلفية : لأنهم يدعون لأخذ الإسلام من منابعه الأصيلة : الكتاب والسنة .
— طريقة سننية : لأنهم يلتزمون السنة ، ويحيونها قدر ما يستطيعون .
— حقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس والارتباط على
الخير .

— هيئة سياسية : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم وإقامة الخلافة .

— وجماعة رياضية : لاهتمامهم بتحقيق قول الرسول ﷺ : « المؤمن القوى خير
وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »^(٣) .

(٢) المائدة — ٨

(١) النساء — ١٣٥

(٣) أخرجه مسلم في القدر ٤ / ٢٠٥٢ رقم (٢٦٦٤) ، وابن ماجه في المقدمة ١ / ٣١ رقم (٧٩) وفي
الزهدي ٢ / ١٣٩٥ رقم (٤١٦٨) . والإمام أحمد في المسند ٢ / ٣٦٦ ، ٣٧٠ . عن أبي هريرة رضي الله
عنه .

— ورابطة علمية وثقافية : لاهتمامهم بالعلم تحقيقاً لقول الرسول ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم »^(١) وهم يعنون بالعلم النافع .. دينياً ودينيوياً ، ولهم مناهج في هذا السبيل .

— وفكرة اقتصادية : لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه .

— وفكرة اجتماعية : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع ويحاولون علاجها .

ويختم صاحب تلك الكلمات هذا التصنيف بقوله : « وشمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل نواحي الإصلاح » .

٤ — الاستقلال عن التأثير الخارجي :

وقد جدد هذا الاتجاه تاريخياً حببياً لرسول الله ﷺ حين رفض الاحتواء لما خاطبه المغيرة بن شعبة « إن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا .. » الخ^(٢)

وحين رفض المهادنة والمداهنة فقال لهم بلسان الوحي ﴿ قل يا أيها الكافرون ، لأعبد ما تعبدون لكم دينكم ولي دين ﴾^(٣) .

وحين رفض التهديد والوعيد فقال قوله الثبات الخالد « يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه »^(٤) .

— وفي الحديث حدثت محاولة الاحتواء وحدثت محاولة المهادنة والمداهنة وحدث التهديد والوعيد ، وتجاوزه إلى التقتيل والتعذيب والتشريد فما لانت لهم قناة ..

٥ — التدرج في الخطوات

والتدرج مع الشمول خطان متوازيان لامتنزادان .. فالشمول فكر وعقيدة ،

(١) اخرج ابن ماجه في المقدمة ١ / ٨١ رقم (٢٢٤) . وأورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١ /

٧ . عن أنس بن مالك .

(٢) انظر البداية والنهاية ٣ / ٥٠ .

(٣) الكافرون .

(٤) انظر البداية والنهاية ٣ / ٤٨ .

وتخطيط ومناهج ، والتدرج « تكتيك » و « تنفيذ » ، و « تطبيق » ومن ثم فلا تعارض وقد أشار إمام جليل إلى أن مراحل التدرج للدعوة ثلاث :

التعريف

التكوين

التفصيل

ومرحلة التعريف هي مرحلة النشر والتبليغ ، وهي التي كان فيها رسول الله ﷺ يقول : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »^(١) وكان يقول « من يحمىني لأبليغ دعوة ربي »^(٢) وكان يقف فوق الصفا لينادي : لو أني أخبرتكم أن خيلا بالوادي تغير عليكم .. أكنتم مصدقي — فيقولون أنت فينا الصادق الأمين : فيقول فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد^(٣) وهي مرحلة تعتمد مناهج عدة : منها فطريا ، منها خلقيا ، منها علميا ..^(٤)

أما المرحلة الثانية — فهي مرحلة البناء والتكوين ولها سماتها :

صبر ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾^(٥) .
حرص « ولا تعد عينك عنهم »^(٥)

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنثتم ، حرص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾^(٦) .

إعراض عن كل ما يشغل عن الدعوة :
﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾^(٥) .

ولها وسائلها :

امتنال : ﴿ يتلو عليهم آياتنا .. ﴾ ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ يعملون حق العمل .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٤٩٢ . ٤ / ٣٤١ عن ربيعة بن عباد .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٣٢٢ ، ٣٣٩ عن جابر بن عبد الله .

(٣) انظر البداية والنهاية ٣ / ٢٨ .

(٤) مذكراتنا في مناهج الدعوة — المرحلة الجامعية — المعهد العالي للدعوة — جامعة محمد بن سعود الإسلامية .

(٥) الكهف ٢٨ .

(٦) التوبة آية : ١٢٨ .

تزكية : ﴿ ويذكهم ﴾ وفي التزكية تخلية ثم تحلية ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله .. ﴾ عقيدة ، خلقا ، تعبداً ، سلوكاً ..

علم وحكمة : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وعلم الكتاب علم واسع فضلاً عن أنه علم رفيع والحكمة .. صبر وحلم وعلم واختيار واختبار .

أما المرحلة الثالثة — فهي مرحلة التمكين والتنفيذ ويميزها : الذين إن مكناهم في الأرض :

| | |
|-----------------|-------------------------------|
| أقاموا الصلاة | — صلة بالله |
| وآتوا الزكاة | — بناء للمجتمع وتكافل |
| وأمرؤا بالمعروف | — بناء للمجتمع وتكافل اجتماعي |
| ونہوا عن المنكر | — تكافل سياسي أو نظام سياسي |

وهكذا تتدرج الخطوات ، وفي الخطوة الأخيرة قال إمام جليل : « اسمعوا مني كلمة داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمر الجامع ، إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول .. فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقطف زهرة قبل أوانها فلست معه بحال .. ثم يقول

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأنيروا شمعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة ، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، لاتصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها ، واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر وماهي منكم ببعيد

ثم يقول « والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم ، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بد منها ، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لا بد أن تسبقها خطوات^(١) .

(١) رسالة المؤتمر الخامس .

ثانيا . أهداف هذا الاتجاه

لاجرم أن الأهداف تقترن بالمراحل : فأهداف المرحلة الأولى : تبليغ دعوة الله : وهي التي عبر عنها الوحي ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ وعبر عنها الصادق المصدوق عليه السلام « من يحميني لأبلغ دعوة ربي » لكن هل البلاغ هدف في ذاته ؟ نعم . هو في ذاته هدف . . بالنصوص السابقة . لكنه يفضي إلى أهداف أخرى .
أولها : إلزام الحجة ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (٢) وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا (٣) .

وثانيها : اختيار العناصر للمرحلة التالية ، وهي مرحلة خطيرة .

أهداف المرحلة الثانية : اختيار اللبنة وإقامة البناء

الفرد المسلم .

البيت المسلم .

المجتمع المسلم .

وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الأهداف ، فلما اكتملت له في مرحلة مكة انتقل إلى أهداف المرحلة الثالثة :

أهداف المرحلة الثالثة : التمكين .

— إقامة دولة الإسلام أو « وراثتة الأرض » .

— الشهادة على العالمين ، أو إمامة الناس .

— إزالة المنكر — أي منكر — .

وإقامة المعروف — أي معروف — ولم نقل أمرا .. لأن بعد التمكين لم يعد

مقبولا مجرد الأمر ومجرد النهي ، بل أصبح الأمر والنهي تغييرا باليد لتوافر الاستطاعة فلا يصار إلى غيرها .

والله أعلم

(١) الشورى آية : ٤٨ .

(٢) النساء آية : ١٦٥ .

(٣) الإسراء آية : ١٥ .

ثالثاً : مبادئ هذا الاتجاه

لاجرم أن الخصائص والأهداف ، قد تكشف عن المبادئ .. فإن لم تفعل فإنها ترتبط بها ارتباطاً لايقبل التجزئة .
ولو قلنا أن الإسلام كله هو مبادئ هذا الاتجاه لكننا صادقين ولو أردنا البيان والتركيز لقلنا أنها خمس لزمنا للتجديد :

١ - الله غايتنا :

اتخاذ الله غاية لازم في زمن كثرت فيه الغايات ، وتدانت وتدلت حتى عافها المخلصون ، واتخاذ الله غاية ينسجم مع خاصية الربانية ..
فالله سبحانه هو الذى نأخذ منه ، والله سبحانه هو الذى نتجه إليه ومن ثم يكون : الصدق ، ويكون الإخلاص ، ويكون التجرد .
وهي سمات إن اتسمت بها جماعة كتب لها بإذن الله - النجاح - ومن وجد الله غاية .. فقد وجد كل شيء .
ومن افتقد الله غاية .. فقد افتقد كل شيء ..

ولانجاح لعمل إسلامي .. فردى أو جماعى .. بغير هذه الغاية : ﴿ أغير الله أبغى رباً وهو ربُّ كل شيء ﴾^(١) ﴿ أفغير الله أبغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾^(٢) ﴿ قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ﴾^(٣) .

٢ - الرسول قدوتنا :

وهي قدوة لازمة .. في زمن كثرت فيه القدوات ، وتدانت وتدلت .. حتى صارت حثالة المجتمعات قدوات للناس ﴿ يقمُّ قومه يوم القيامة فأوردهم النار ﴾^(٤) ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم

(١) الأنعام آية : ١٦٤ .

(٢) الأنعام آية : ١١٤ .

(٣) الأنعام آية : ١٤ .

(٤) هود آية : ٩٨ .

يصلونها وبئس القرار ﴿١﴾ .

وهي قدوة معصومة من الخطأ ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ، ومن ثم فالمقتدى بها يسير خلف صواب وحق .. فلا يضل — بإذن الله — ولا يشقى . بينما يضل الناس خلف زعامات كثيرة أصابها الغرور أو صاحبها الغرور ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون ﴾ (٣) .

٣- القرآن شرعنا :

وأى مبدأ أعظم من هذا المبدأ .. وأى تشريع أجل من تشريع القرآن . إنه إن اتسمت تشريعات الأرض بالقصور والجهل والهوى ، فإن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. « إنه وإن اعتدوا في تشريع الأرض « بالجزاء » ليكون الإلزام .

فلقد خلف التوجيه التشريع وسبق التشريع ولحق التشريع .. ليكون السمو للإنسان إلى المستوى الرفيع الذى يريده القرآن .

وفي علاج القرآن للمطلقة التى لم يدخل بها مثل بليغ : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ... ﴾ (٤) إنه وإن كانت التشريعات قاصرة على جانب « المعاملات » بفروعه القانونية المختلفة فإن تشريع القرآن أوسع وأرحب وأشمل فإنه يشمل « بالمعنى الواسع العقيدة والأخلاق ، والتعبد ، والمعاملات بفروعها : نظام سياسى ، ونظام اقتصادى ، ونظام اجتماعى .. وداخل الأخير فروع القانون العام وفروع القانون الخاص التى عرفها القانونيون الوضعيون .

إنه وإن افتقدت دساتير الأرض مهما حاولت عنصر الثبات (أو الجمود) فإن ثبات دستور السماء فوق كل تعديل أو تبديل أمر لا يستطيعه غير القرآن .

(١) إبراهيم آية : ٢٨ — ٢٩ .

(٢) المائدة آية : ٦٧ .

(٣) النحل آية : ٢٥ .

(٤) البقرة آية ٢٣٧ .

وأخيرا — ونكتفى بذلك : إنه وإن كان عدل الأرض نسبيا ، فعدل السماء مطلق لا يميل مع الهوى ، ولا ينجف مع الشنآن ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ^(٢) وهذه بعض أسرار « القرآن شرعتنا » .

٤ — الجهاد سييلنا :

تعددت وسائل الناس مع كثرة مآحق بهم من فساد .. حتى صار البعض إلى أن الغاية تبرر الوسيلة .. أخذنا من ذلك المبدأ الذى وضعه داهية إيطاليا « مكيا فيلى » منذ قرن أو يزيد .

وانساق المسلمون فى سياستهم وراء كثير من هذا الضلال . وتركوا .. الجهاد .. فذلوا .. واقتحمت عليهم ديارهم ، واغتصبت أراضيهم ، وهتكت لهم الأعراض والحرمات ، وكان لابد للبعث الجديد من بعث الجهاد فى النفوس ، فكان لابد — من ذلك المبدأ أو الشعار « الجهاد سييلنا » وقد جعله الإسلام ذروة السنام .. لمن أراد أن يبلغ الذروة ، ونحن لها راغبون « رأس الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله »

★ ★ وهتف بهم القرآن

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣)

وهتف بهم كذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ

(١) النساء آية : ١٣٥ .

(٢) المائدة آية : ٨ .

(٣) التوبة آية : ٤١ .

تحمونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين ﴿١﴾ :

وأخيراً : ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير ﴿٢﴾ .

﴿ ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴿٣﴾ .

★★ وسئل رسول الله ﷺ : يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لاتستطيعونه فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول لاتستطيعونه ، ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لايفتر من صيام ولاصلاة حتي يرجع المجاهد » الستة : إلا أبو داود)
وعنه ﷺ : « من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلثة » (الترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة) .

وعنه : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق » (مسلم وأبو داود عن أبي هريرة) .
وعنه : « عيناں لآتمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » (الترمذى عن ابن عباس) .

٥ - الموت في سبيل الله :

والناس غدت تحب الحياة حتى صح فيهم ما قيل في قوم سبقوهم ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴿٤﴾ والحرص على الحياة يورث الذل ، ولايغير من أمر الأجل

(١) الصف آية : ١٠ - ١٣ .

(٢) التوبة آية : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) النساء آية : ٧٥ .

(٤) البقرة آية : ٩٦ .

شيئا . والحرص على الموت يورث العز ، ولا يعجل من الأمر شيئا .
ومع ذلك فالناس حريصون ، وقد أذل الحرص أعناق الرجال .
والأمة التي تتقن « صناعة الموت » تتبوأ مكانا عزيزاً بين الأمم ، ولا يغير ذلك من
آجالها شيئا .

★★ من أجل ذلك علمنا القرآن الشهادة في سبيل الله ، وحدثنا عن مكان
الشهداء ﴿ ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا
خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضلٍ وأن الله لا يضيع أجر
المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرعُ للذين أحسنوا
منهم واتقوا أجر عظيم ﴾^(١)

﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾^(٢) .

★★ وكلمات رسول الله ﷺ يوم أحد : إن أرواح إخوانكم في حواصل طير
خضر تسرح من الجنة حيث شاءت ، ترد انهارها وتأكل ثمارها ، ثم تأوى إلى قناديل
من ذهب معلقة عند العرش إقرءوا إن شئتم ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا .. ﴾ الآية .

— للشهيد عند الله ست خصال « يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من
الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن يوم الفرع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج
الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج بائنتين وسبعين من الحور العين ،
ويشفع في سبعين من أقربائه » (الترمذى وابن ماجه)

— من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه (مسلم)
وعن حارثة بنت سراقة أنها أتت النبي ﷺ فقالت : « يا نبي الله ألا تحدثني عن
حارثة — وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب — فإن كان في الجنة صبرت وإن
كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال : يأمر حارثة إنها جنان في الجنة ، وإن
ابنك أصاب الفردوس الأعلى » (البخارى)

(١) آل عمران آية : ١٦٩ — ١٧٢ .

(٢) البقرة آية : ١٥٤ .

— وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ يقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابن لها قتل في سبيل الله ، فقال لها بعض أصحابه : جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة فقالت : إن أُرزأ ابني فلن أُرزأ حياً ، فقال لها النبي ﷺ : إن ابنك له أجر شهيدين .
قالت : ولم ؟ قال : لأنه قتله أهل الكتاب . (أخرجه أبو داود) .

*** **

رابعاً - شبهات حول هذا التيار

بين الصوفية والسلفية :

* يرمى البعض هذا التيار بالميل إلى الصوفية وما فيها من بدع . والحق أن أكثر الطرق الصوفية قد سارت في طريق البدع ، وقليل منها وصل حدًا يخرج من ملة الإسلام ، لكن من الحق أن يقال إنه ليست كل الطرق كذلك ، وإن بعضها قامت بواجب الدعوة إلى الله على أحسن ما يكون حتى أمكن نشر الدعوة في مساحات من الأرض واسعة كذلك حملت الصوفية راية الجهاد في مواقع كثيرة وأزمنة كثيرة .. كذلك من الحق أن يقال إن « الصوفية » سادت كمصطلح على « تزكية النفس » والامشاحة في الاصطلاح ، كما ذهب العلماء .

— فإذا جاء البعض ليرمى اتجاهها ما بالصوفية لأن أحد قادته قال « إنهم حقيقة صوفية » ثم فسرو بعد ذلك بأنهم « يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس والترابط على الخير » أفلا نفهم من ذلك أن المقصود هو التزكية وأن لامشاحة في الاصطلاح؟؟

وإذا حرص على أن يقول : « حقيقة » ولايقول « طريقة » أفلا يكون في هذا الحرص وهذا التحديد ما يفيد معنى التزكية ويؤكدده ؟

* وفي نفس الوقت رموا نفس الاتجاه بالبعد أو التنكر للسلفية منع أنه أعلن أن: « دعوة سلفية » والسلفية .. ليست مذهبا حتى ينادى به البعض ويتعصب له . وهي ليست ميراثا لأحد دون غيره يقصوه على نفسه ومع ذلك فالشبهة التي

أخذت على هذا الاتجاه أن إمامه قال : « معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه
أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من
التشابه ، تؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا تتعرض لما جاء فيها من
خلاف بين العلماء ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه : ﴿ والراسخون في
العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾^(١) وهى عبارة واضحة تعبر عما كان عليه
السلف في هذا الأمر . إلا أنهم يعيدون عبارة أخرى جاء فيها : ونحن نعتقد رأى
السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى
بالاتباع حسما لمادة التأويل والتعطيل .

فاعتبروا ورود كلمة (تفويض) وسط العبارة إشارة إلى مذهب (التفويض) وهو
اعتبار خاطيء لأنها وردت مجهولة وليست معرفة ، فهى لاتعنى المذهب المذكور
ولكنها استعملت بمعناها اللغوى بمعنى عدم الحوض فى كيفية الاستواء أو غيرها من
الكلمات أو العبارات المتشابهة وترك تأويلها وعلمها إلى الله سبحانه وتعالى بالوقوف
عند قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ .

فاذا أضفنا إلى ذلك أن الرجل أكد « مذهب » السلف — إن صح هذا
التعبير — فى أكثر من موضع نذكر منها :

« وكل ماجاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا
فالكتاب وسنة رسوله أولى بالاتباع »

« والتائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من
هذا الباب منكر تجب محاربتة (إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة) » .

وكل بدعة فى دين الله لأصل لها استحسناها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو
النقص منه — ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لاتؤدى إلى
ما هو شر منها » .

وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة

(١) آل عمران آية ٧ .

بالمقبورين أيا كانوا ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشديد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ومألحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا تتأول لهذه الأعمال سدا للذريعة « (١)

أى وضوح فى سلفية هذا الاتجاه بعد هذه الفقرات؟؟

٢ — هل هى جماعة المسلمين :

زعم البعض أن هذا الاتجاه يدعى لنفسه أنه جماعة المسلمين ، وجماعة المسلمين على الراجح هى التى يمكن الله لها ويكون لها إمام هو إمام المسلمين ، وقبل ذلك لا يصح هذا الادعاء .
ولقد صرح بعض قادة هذا الاتجاه أنهم جماعة من المسلمين ، لاجماعة المسلمين . (٢)

ولئن ذهب البعض إلى مثل هذا التعبير (٣) ممن لا يعدون من قيادات هذا الاتجاه ، فإنه أولاً ليس حجة على الاتجاه كله ، وأنه ثانياً قد روجع فيه وعدل وإن لم يعلن ذلك بعد .

ولقد يرتب البعض على القول الأول أنهم يكفرون غيرهم .
وهى تهمة يبرأ منها هذا الاتجاه بما أعلنه أحد قاداته : « لانكفر مسلماً برأى أو معصية وبما عرف من سلوكهم فى البعد عن وجهة التكفير .

٣ — تهم تاريخية :

قيل عن العنف . وقيل عن صلوات بالحكام . وقيل عن حروب تحت راية غير راية الإسلام أو قبل التمكين ومناقشة التاريخ تحتاج إلى شهود وحجج .. ليس مجاله هذا المقام ومع ذلك نقول كلمات قليلة بعون الله :

— إن تهمة العنف — إن صحت نسبتها — كانت دفاعاً أو رداً على عدوان سبقت إليه السلطة ، وعلى سبيل المثال لالحصر ، قتل النقراشى كان بعد وقوع

(١) رسالة التعاليم — مجموعة الرسائل .

(٢) دعاة لإقضاة — للمستشار — حسن الهضبيى — رحمه الله .

(٣) الشيخ سعيد حوى فى كتابه المدخل إلى جماعة الإخوان المسلمين .

(الخيانة العظمى منه) والثابتة بوثائق تؤكد استماعه إلى طلب سفراء دول ثلاثة حل الجماعة ، واعتقاله المجاهدين على أرض فلسطين أثناء جهادهم ، وطعنهم في ظهورهم وهم يواجهون عدو الله وعدوهم .

قتل السادات كان ردا على عدوانه على قيم الأمة ، واعتقاله لخيرة ذعاتها وتطاوله على ذات الله ، وعلى كرامة المؤمنين ، وذهابه إلى مصالحة اليهود وهم يحتلون جزءاً من أرض الإسلام .

— الصلوات بالحكام .

كانت لإيصال الدعوة .. وقد فعلها رسول الله ﷺ لما بعث الرسائل والوفود إلى الملوك ، وبعض هذه اللقاءات كان صورة مشرفة ومشرفة للدعوة بحمد الله (١)

— الحروب ..

في فلسطين وفي القنال كانت تحت راية إسلامية ولم يقبل هذا الاتجاه يوماً أن ينضوى تحت رايات وطنية أو قومية أو حكومية ، ولو فعل لتجنب محناً كثيرة خاضها وصمد فيها .. بحمد الله .

أما هل التحرك نحو القنال وفلسطين كان أولى أم التحرك نحو العرش .. فتلك تفاصيل واجتهادات لا محل للجزم بشيء فيها ، ويترك فيها لمن خاضوا المعارك تقديرها ، ولا يصلح للجالس على الضفاف والشواطئ أن يحكموا وهم هاتون بعيدون ؟ والله أعلم



(١) راجع محمود عبد الحليم — ج ٢ زيارة المرشد الأستاذ المصنبي للملك السابق فاروق .

خامسا : الاتجاه الإسلامى فى وجه الغزو الفاجر

تحدثنا عن سلبيات هذا الاتجاه ثم عن إيجابياته .. فكيف هو فى مواجهة الغزو الفاجر ؟

الناظر إلى الإيجابيات يستبشر ويتفاءل : البقاء للأصلح ، لكل فعل رد فعل ، قانون الاستخلاف ..

والناظر إلى السلبيات يتشائم : دعوة بغير دولة ، ضعف الدعوة ، وضعف الدعاة ، تفرق الدعوة ، وتفرق الدعاة ، قصور وتقصير ، دعاة جهنم ومحاولاتهم .. احتواء وإلا فتنة وبلاء .

بيد أن الاتجاه الإسلامى يعمل فى وجه الغزو الفاجر إنه يسحب البساط من تحت أقدامه .. إنه يؤلف الزحف القادم القاهر بإذن الله إنه أخيرا يستعد ليوم قريب .. إنه يوم الفصل .

١ — الاتجاه الإسلامى يسحب البساط :

— إن الاتجاه الإسلامى يعمل فى مجال الدعوة إلى الله بنشاط شديد ، رغم كل مايقال عن تفرقه وضعفه ، وإن مساحة الأرض اليوم كلها تغطيها دعوة الله — بحمد الله وفضله — مع تفاوت فى القوة والضعف ، وإن العقبات التى توضع فى طريق الدعوة يذلها الله سبحانه مع قدر من الإخلاص وقدر من الجهد يستر القدرة الإلهية الجبارة . وإن أشد هذه العقبات — فى نظر الناس — وهو تعريض للدعاة للفتنة .. إن هذه تزيد من لهيب الدعوة فإذا هى نار تحرق ونور يضيء .. نار تحرق الدخن والدخل وتصفى المعدن الأصيل من الشوائب ، ونور يضيء فى قلوب الدعاة ومن بين أيديهم وبأيامهم .

إن الدعوة — رغم هذا وبسبب هذا — تمتد أفقيا فى آفاق واسعة رحبية ، وتمتد رأسيا عمقا فى نفوس أصحابها وفى نفوس الناس ، أرادوا إطفاء جذوتها فازداد لهيبها وضياؤها ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

(١) التوبة آية : ٣٢ .

ولسنا نحتاج دليلاً على ما نقوله .

إن حديث العالم كله اليوم عن الصحوة الإسلامية ، حتى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، يؤلف اللجان ويستقصى المعلومات عن حقيقة هذه الصحوة وأعماقها ، ونحن لانعتبر ذلك سرا إذ تؤكده ونذيعه .

— والنتيجة الطبيعية لذلك الزحف الدعوى المبارك أن كل أرض تكسبها الدعوة إنما تسحبها من تحت أرجل الغزو الفاجر ، كل إنسان تكسبه الدعوة هو خسارة لأعداء الدعوة .. تلك بعض بدهيات الرياضيات .
ومن ثم فاللبساط يسحب يوماً بعد يوم من تحت أقدام الغزو الفاجر بأجهزته وأنظمتها وجيوشه وحراسه .. ومن ثم فأبشر له بسقوط قريب .

٢ — الزحف القادم القاهر يتكون :

إن كل لبنة من لبنات الدعوة تتكون إنما تقف إلى جوار أختها .. يتألف منها أساس ثم بنيان يشد بعضه بعضاً .. والقائمون على فكر واحد وعقيدة واحدة لبنات متجانسة .. والمغايرون في الفكر والعقيدة بإذن الله يقتربون ، والمحن التي تتسلط على الدعوة والدعاة بين الحين والحين تسرع في اقتربهم وتآلفهم .. لينضموا إلى البنيان المبارك الشاخ .

واعتقد أن ساعة النصر .. سوف تقرب البعيد وتجمع الشتيت . ومن ثم فنحن نلقت نظر الدعاة إلى أهمية فترة التكوين كما ننبههم إلى استبعاد أسباب الشتات .. فبقدر ما يعتدل الصف ينظر الله إليه .. فإن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج ، ﴿ إن الله يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بِنِيَانٍ مَرصُوصٍ ﴾^(١)

٣ — اقترب يوم الفصل :

إن الصحوة الإسلامية بآفاقها وأعماقها تبشر بيوم فصل قريب بيد أن للنصر شروطاً وله مقدمات :

(١) الصف آية : ٤ .

أما مقدماته :

— فثبات .. يجعل المبادئ والقيم تقرر في نفوس أبنائها ، وتشرف إليها نفوس المتطلعين .

— ذكر الله .. تقر به النفوس وتطمئن القلوب ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .^(١)

— طاعة الله ورسوله .. فيها يقترب النصر ، وبها يكون النصر ، وفي هذا من الآثار كثير .

— عدم التنازع لأن قرينه الفشل وذهاب القوة والريخ .

— والأخيرة صبر ، حتى يحين النصر ، وما بين النصر والهزيمة غير صبر ساعة .

أما شروطه وسماته :

فإقامة الصلاة — وهي عمود الدين .. أى إقامة الدين .. الدين كله .

إيتاء الزكاة — وهي عمود النظام الاقتصادى الإسلامى — وسند التكافل الاجتماعى ، فهى تعنى .. إقامة النظام الاقتصادى الإسلامى وإقامة النظام الاجتماعى الإسلامى .

وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر — هو عمود النظام السياسى الإسلامى فهى تعنى إقامة النظام السياسى الإسلامى .

بإقامة الأمة المسلمة ، والسلطة المسلمة ، التى تقوم على رضى الناس والتى تقيم شرع الله .

والله من وراء القصد — والحمد لله رب العالمين .

(١) الرعد آية : ٢٨ .

المحتويات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٥ | فاتحة |
| | الباب التمهيدي |
| ٩ | الغزو الفكري للعالم الإسلامي ونبذة عن : الاستشراق والتبشير |
| ١١ | تقدمة |
| ١٥ | الفصل الأول : الاستشراق |
| ١٥ | معنى الاستشراق وبدايته |
| ١٦ | مراحل الاستشراق |
| ١٧ | أهداف الاستشراق |
| ١٨ | وسائل الاستشراق |
| ١٩ | محاولات التشويه الاستشراقي |
| ٢٢ | ملخص الاستشراق |
| ٢٣ | الفصل الثاني : التبشير |
| ٢٣ | تعريفه ونشأته |
| ٢٤ | مراحل التبشير |
| ٣١ | الفصل الثالث : القهر السياسي .. يصحب الغزو الفكري ويدعمه |
| ٣١ | تقدمة |
| ٣١ | أولا : مرحلة الحروب الصليبية |
| ٣٣ | ثانيا : مرحلة الاحتلال العسكري للبلاد الإسلامية |

| الصفحة | الموضوع |
|--------------------|--|
| ٣٥ | إسقاط الخلافة الإسلامية |
| ٣٥ | ثالثا : مرحلة الانقلابات العسكرية |
| الباب الأول | |
| ٤٣ | الإتجاه الفكرى الغربى |
| ٤٥ | تمهيد |
| ٤٩ | الفصل الأول : العلمانية |
| ٥٠ | المبحث الأول : ظروف نشأة العلمانية |
| ٥٠ | توطئة |
| ٥١ | الظروف التى عاشتها أوروبا |
| ٥١ | أولا : الظروف الدينية |
| ٥٢ | الجانب الفكرى « العقدى » |
| ٥٧ | الجانب العملى |
| ٥٨ | ثانيا : الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية |
| ٦٠ | ثالثا : نتائج هذه الظروف « ردود الفعل » |
| ٦٢ | اليهود فى الميدان |
| ٦٤ | المذهب الفردى — والثورة الفرنسية |
| ٦٥ | العلمانية فى أوروبا |
| ٦٧ | المبحث الثانى : انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامى |
| ٦٧ | تقدمة |
| ٦٨ | أولا : عوامل انتقال العلمانية |
| ٧١ | ثانيا : وسائل نقل العلمانية أو « مجاريها » |
| ٧٢ | عوامل انتقال العلمانية « تلخيص » |
| ٧٣ | المبحث الثالث : تعريف العلمانية |
| ٧٨ | المبحث الرابع : تطبيقاتها وآثارها |
| ٧٨ | تقدمة |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٧٨ | أولا : آثار العلمانية فى أوربا وأمريكا |
| ٨٤ | ثانيا : آثار العلمانية فى المنطقة الإسلامية |
| ٨٤ | ١ - آثار العلمانية فى الأفراد |
| ٨٥ | ضياء كوك الب |
| ٨٧ | مصطفى كمال الشهير « بأتاتورك » |
| ٩٤ | رفاعة بك الطهطاوى |
| ٩٦ | تقييم سريع لرفاعة الطهطاوى |
| ٩٧ | على عبد الرازق |
| ١٠٠ | طه حسين |
| ١٠٣ | آثار العلمانية فى المجتمعات الإسلامية |
| ١٠٤ | أ - علمنة التعليم |
| ١١١ | ملخص علمنة التعليم |
| ١١٢ | ب - علمنة الإعلام |
| ١١٣ | ج - علمنة القانون |
| ١١٥ | ثالثا : آثاره فى الدول |
| ١١٩ | الفصل الثانى : الديمقراطية (الوجه السياسى الغربى) |
| ١١٩ | تمهيد وتعريف |
| ١٢١ | الديموقراطية تقوم على أعمدة ثلاثة |
| ١٢١ | أولا : مبدأ سيادة الأمة |
| ١٢٢ | صور تطبيقها |
| ١٢٢ | حكم الديمقراطية المباشرة |
| ١٢٢ | حكم الديمقراطية شبه المباشرة |
| ١٢٢ | الحكم النيابى (حكم الأكثرية) |
| ١٢٣ | سيادة الأمة فى الميزان |
| ١٢٥ | ثانيا : مبدأ المشروعية |

| الصفحة | الموضوع |
|---------------------|---|
| ١٢٥ | تعريفه ونشأته |
| ١٢٥ | مبدأ الشرعية فى وضع جديد |
| ١٢٦ | ضمانات لمبدأ الشرعية |
| ١٢٨ | مبدأ المشروعية فى الميزان |
| ١٢٨ | المشروعية الإسلامية العليا |
| ١٣٠ | ثالثا : الحقوق والحريات العامة |
| ١٣٠ | تقدمة |
| ١٣٢ | الحقوق والحريات فى الميزان |
| ١٣٧ | الفصل الثالث : الرأسمالية (الوجه الاقتصادى الغربى) |
| ١٣٧ | تقدمة |
| ١٣٧ | نشأة الرأسمالية |
| ١٤١ | خصائص الرأسمالية |
| ١٤٢ | آثار الرأسمالية |
| ١٤٣ | نقد الرأسمالية |
| ١٤٥ | الفصل الرابع : الوجودية (الوجه الاجتماعى الغربى) |
| ١٤٥ | تقدمة |
| ١٤٦ | نشأة الوجودية |
| ١٤٧ | عوامل ظهور الوجودية وانتشارها |
| ١٤٨ | ارتباط الوجودية الحديثة بسارتر |
| ١٤٩ | تقويم الوجودية |
| الباب الثانى | |
| ١٥١ | التيار الفكرى الشيوعى |
| ١٥٣ | فصل تمهيدى |
| ١٥٣ | أولا : بواعث الشيوعية وحقيقتها |
| ١٥٥ | حقيقة الفكر |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ١٥٨ | انتقال الفكر إلى الشرق الإسلامي |
| ١٦١ | ثانيا : خطورة الشيوعية |
| ١٦٢ | أ — من جهة المبدأ |
| ١٦٤ | ب — تهيؤ الأرض للنبت الخبيث |
| ١٦٦ | ج — الأهداف |
| ١٦٩ | أخطر أهداف الشيوعية |
| ١٦٩ | أولا : القضاء على الأديان غير الدين اليهودي |
| ١٦٩ | ثانيا : اتجاه الشيوعية إلى عالمية الدولة بعد مناداتهم لعالمية الفكرة |
| ١٧٠ | ثالثا : صلة الشيوعية باليهودية وصلتها بالأديان |
| ١٧٠ | أ — صلتها باليهودية |
| ١٧١ | ب — صلتها بالأديان |
| ١٧٢ | وثيقة خطيرة |
| ١٧٤ | رابعا : تنبؤات ماركس وعوامل فناء الشيوعية |
| ١٧٤ | أ — حول تنبؤات ماركس |
| ١٧٤ | عوامل فناء الشيوعية |
| ١٨١ | الفصل الثاني : الأيدلوجية الشيوعية (الأسس الفكرية للشيوعية) |
| ١٨١ | تقدمة |
| ١٨٢ | الجدلية المادية أساس الفكر الماركسي |
| ١٨٥ | نقد الجدل الماركسي |
| ١٨٧ | المادة عند ماركس |
| ١٨٩ | نقد عام |
| ١٩١ | الفصل الثالث : النظام الاقتصادي الشيوعي « الاشتراكي » |
| ١٩١ | تقدمة |
| ١٩٢ | أولا : قوانين الاشتراكية |
| ١٩٣ | إلغاء الملكية الفردية وملكية الدولة لوسائل الإنتاج |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ١٩٣ | ثانيا : الرد على قوانين الاشتراكية |
| ١٩٦ | ثالثا : حول التطبيق الاشتراكي |
| ١٩٦ | ١ — مثل من روسيا |
| ١٩٨ | ٢ — مثل من مصر |
| ١٩٨ | ٣ — أمثلة أخرى |
| ١٩٩ | الفصل الرابع : النظام السياسي والاجتماعي (الشيوعي) |
| ١٩٩ | تقدمة |
| ٢٠٠ | ١ — تركيز السلطة أو الطغيان |
| ٢٠٤ | ٢ — انعدام الديمقراطية « أو الشورى » |
| ٢٠٥ | ٣ — إطلاق الشعارات وتوجيه الغضب |
| ٢٠٦ | ٤ — الوشاية والتجسس |
| ٢٠٧ | ٥ — الانحلال الاجتماعي |
| ٢١١ | الباب الثالث : الاتجاه الصهيوني |
| ٢١٣ | الفصل الأول : (الأفعى اليهودية) |
| ٢١٣ | تقدمة |
| ٢١٤ | أولا : صفات الأفعى اليهودية |
| ٢١٦ | ثانياً : مراحل الأفعى اليهودية |
| ٢٢٥ | الفصل الثاني : حول حقيقة الماسونية ونشأتها ومصادرها |
| ٢٢٥ | حقيقة الماسونية |
| ٢٢٨ | نشأة الماسونية |
| ٢٣٤ | مخطط « بايك » العالمي |
| ٢٣٥ | الماسونية والأديان |
| ٢٣٧ | تباين الماسونية في حقيقة الإله |
| ٢٣٨ | الماسونية والمرأة |
| ٢٤٠ | مصادر الفكر الماسوني |

الباب الرابع

| | |
|-----|---|
| ٢٤٣ | اتجاهات إسلامية معاصرة |
| ٢٤٥ | مقدمة |
| ٢٤٧ | الفصل الأول : سمات عامة للدعوة المعاصرة |
| ٢٤٧ | المبحث الأول : سمات سلبية |
| ٢٤٧ | ١ — دين بلا دولة |
| ٢٤٩ | ٢ — ضعف الدعوة وضعف الدعاة |
| ٢٥١ | ٣ — تفرق الدعوة وتفرق الدعاة : |
| ٢٥٣ | ٤ — قصور وتقصير |
| ٢٥٧ | ٥ — دعاة جهنم .. تغرير ، وتضليل ، وإلا فتعذيب وتشريد ، وتقتيل ... |
| ٢٦٢ | المبحث الثاني : إيجابية الحركات والاتجاهات الإسلامية المعاصرة ... |
| ٢٦٢ | أولا : قانون البقاء للأصلح « أو قانون الزيد وماينفع الناس » |
| ٢٦٥ | ثانيا : قانون رد الفعل |
| ٢٦٥ | القانون الأخير : قانون الاستخلاف |
| ٢٦٧ | الفصل الثاني : اتجاهات متغيرة على الساحة |
| ٢٦٧ | تقدمة |
| ٢٦٨ | المبحث الأول : اتجاهات غالية |
| ٢٦٨ | مقدمة |
| ٢٧٠ | أولا : غلو عقدي |
| ٢٧٤ | ألوان من الغلو في التطبيق الفقهي (أو الفرعي) |
| ٢٧٧ | ثالث ألوان الغلو : غلو في المواقف |
| ٢٨١ | المبحث الثاني : اتجاهات قاصرة |
| ٢٨٢ | أولا : القصور عند الفكر |
| ٢٨٦ | ثانيا : قصور على التنسك |
| ٢٩٠ | ثالثا : اتجاهات قاصرة وأنظمة مفرطة |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٢٩٢ | المبحث الثالث : اتجاهات معتدلة شاملة |
| ٢٩٣ | أولا : خصائص هذا الاتجاه |
| ٢٩٣ | ١ - الربانية موردا |
| ٢٩٤ | ٢ - العالمية |
| ٢٩٤ | ٣ - الشمول |
| ٢٩٥ | ٤ - الاستقلال عن التأثير الخارجي |
| ٢٩٥ | ٥ - التدرج في الخطوات |
| ٢٩٨ | ثانيا : أهداف هذا الاتجاه |
| ٢٩٩ | ثالثا : مبادئ هذا الاتجاه |
| ٢٩٩ | ١ - الله غايتنا |
| ٢٩٩ | ٢ - الرسول قلدوتنا |
| ٣٠٠ | ٣ - القرآن شرعتنا |
| ٣٠١ | ٤ - الجهاد سييلنا |
| ٣٠٢ | ٥ - الموت في سييل الله |
| ٣٠٤ | رابعا : شبهات حول هذا التيار |
| ٣٠٤ | بين الصوفية والسلفية |
| ٣٠٦ | هل هي جماعة المسلمين |
| ٣٠٦ | تهم تاريخية |
| ٣٠٨ | خامسا : الاتجاه الإسلامي في وجه الغزو الفاجر |
| ٣٠٨ | الاتجاه الإسلامي يسحب البساط |
| ٣٠٩ | الزحف القادم القاهر يتكون |
| ٣٠٩ | اقتراب يوم الفصل |
| ٣١٠ | مقدماته |
| ٣١٠ | شروطه وسماته |
| ٣١١ | الفهرس |

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٠٢٥ / ٨٦

الترقيم الدولي ٨ - ٨٢ - ١٤٢٠ - ٩٧٧

مطالع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلکس : DWFA UN ٢٤٠٠٤

هذا الكتاب

لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، ولا يستبين الحق من لم يعرف الباطل .

كذلك لا ينافح عن الإسلام من لم يعرف أعداءه ومحاربيه ، ومن لم يدرس خططهم وأساليبهم .

وهذا الكتاب « الإتجاهات الفكرية المعاصرة » الذى أعده المستشار الدكتور « على جريشة » يتعرض فيه لإتجاهات أعداء الإسلام ومذاهبهم التى ظهرت على الساحة ورفعوا شعاراتها المستمدة من الغرب والشرق .

فجاءت من الغرب العلمانية والديمقراطية ، والرأسمالية ، والوجودية ، والإباحية .

وجاءت من الشرق المادية الجدلية ودكتاتورية البروليتاريا ، والإشتراكية العلمية ، وشيوعية النساء ، وإلغاء الأسرة .

وكانت هناك أيضا الماسونية بأفكارها وخداعها وتلونها ودور اليهود فى تأصيلها ونموها .

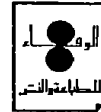
ثم تعرض بعد ذلك لما عرف فى المنطقة الإسلامية من إتجاهات إسلامية قاصرة ثم إتجاهات أخرى أصيلة ضارعت الغزو الفكري من الخارج وعمقت أصول الإسلام فى نفوس الناس من الداخل .

نسأل الله أن يعم بهذا الكتاب النفع والفائدة .

وعلى الله قصد السبيل

الناشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م.
الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده الواجى لكية الآداب
ت ٢٤٢٧٢١ / ٢٥٦٢٢ / ٢٥٦٢٠
المكبة : امام كلية الطب ٢٧٤٢٣ ص ب ٢٢٠ بكن DWA UN 2008



تطلب جميع منشوراتنا من :

دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء

٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٦٠٦



To: www.al-mostafa.com